

٢٩

916.2:U481A

عمر ٦ محمد
المؤرخين اوسر تاخرهم.

916.2
U481A

~~_____~~
~~_____~~
JUN 1975
J. Lib.

~~APR 5 1972~~
~~_____~~

FTN OCT 66 20 NOV 1983

~~AUG _____~~

~~21 FEB 67~~ J. Lib.

~~4 MAR 1985~~

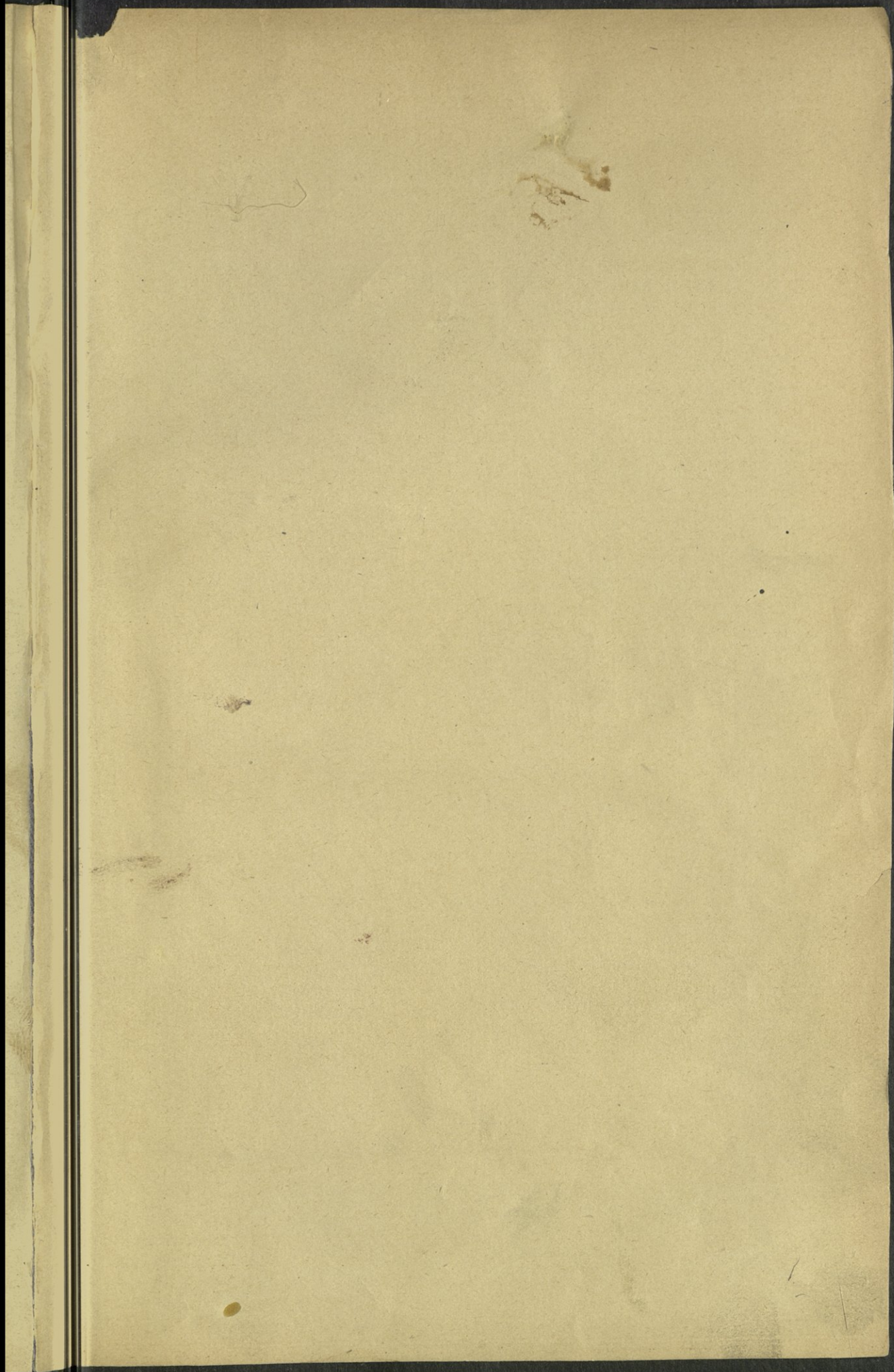
~~AUG 5 82~~

~~_____~~
~~_____~~

~~Feb 64~~

J. Lib.

~~3 JAN 1985~~



٩٤٦

LIBRARY

916.2

U481A

C.1

كتاب
حاضر المصريين
اقبال
سبب تدهورهم

تأليف

محمد عمر

من مستخدمي مصلحة البوستة المصرية

THE PRESENT STATE of THE EGYPTIANS

OR

THE CAUSE OF THEIR RETROGRESSION

BY

MOHAMMED OMAR

Egyptian Post Office.

طبع في مطبعة المقتطف بمصر

سنة ١٣٢٠ هجرية و ١٩٠٢ ميلادية



مولاي

اتشرف باهداء كتابي هذا لرب المآثر الجميلة وعنوان الشرف
والكمال والفضيلة الوزير الاعظم عطوفتوا فندم

مصطفى فهمي باشا الافخم

رئيس الوزارة المصرية الجميلة الساهر لايقاظ ما اندرس من
شريف عاداتنا المجدد لما خلق من ثياب آدابنا ومعارفنا فلا زال
للوطن نصيراً ولرفعة شأنه ظهيراً والامة باسرها كعبة آمالها ونقطة
امتداد حياتها المادية والادبية . آمين

المحسوب
محمد عمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة على رسوله

وبعد فان انفع العلوم علم يهدي الباحث فيه الى حال امته الذي هو فردٌ
منها من صعود وانحطاط ورشد وغواية وتفرق وايتلاف وخلل ونظام فاذا رآها في
مصاف ذوي الصفات الصالحات جدَّ معها في شوطها وافتنخراً بأنه كان واحداً من
تلك الامة الراقية والقوم الصالحين واذا رآها في الدرك الاسفل من سوء الاعمال
وقلة المال وتخاذل الرجال اهرع الى الاصلاح يلتمسه لها من بابها واجتهد في تبيين
النافع من الضار ضارباً الامثال باحوال مجاوريها من الامم وما كانوا فيه واسبابه
وما صاروا اليه وابوابه مفصلاً علل التأخر موضحاً وسائل التقدم مشجعاً على الانتقال
من حال الى حال معيراً بالبقاء على ما ظهر ضرره مشخصاً للداء معيناً للدواء مذكراً
بالآباء الاولين والاجداد السالفين فما هو الا ان يجتمع اليه كثير يعملون بفكرته
ويقومون بنصرتهم فلا يلبثون حتى يعم هذا الفكر الصالح وينتشر النور وهذا هو
الاجتماع وال عمران

ولقد مضت السنون الطوال وتتابعت القرون والاجيال والناس عندنا لاهون
بالخيال مجدون في الخيال عن هذا العلم النافع غافلون وبغيره مما لا يفيد فائدة

مشتغلون وبقي ذلك كذلك الى ان ظهر تحت سماء مصر كتاب الاستاذ الكبير العالم الاجتماعي الشهير ديمولان الذي ابان فيه كل احوال الفرنسيين في هيئاتهم الاجتماعية كلها وبين ما في كل واحدة منها من النقص وقابل ما عندهم بما عند جارتهم الامة الانكليزية من كمال تلك الهيئات ومثانة اصولها مبيّناً اسباب ما لديهم من ذلك الكمال ولذلك وسمه باسم (سرّ تقدم الانكليز السكسونيين) ولما اعترتني الصدفة بهذا الكتاب ترجمته الى اللغة العربية ليعم النفع به فانه

ان بقي على اعجميته كان بالنسبة الى بلادنا كأنه لم يكن ما وجد هذا الكتاب مترجماً في ايدي الناس وقرأه العامة والخاصة منهم حتى تربت عليه الفائدة التي قصدها والتفت حضرة الفاضل محمد افندي عمر الى ما عليه امتنا المصرية من التأخر والانحطاط فقام ينظر في الاسباب وطرق لذلك جميع الابواب حتى استجمع كثيراً من احوال الاغنياء والمتوسطين والفقراء وجمع الجميع في كتاب سماه (حاضر المصريين او سرّ تأخرهم)

تصفحت هذا المؤلف الجديد فاذا هو قد ألمّ بالمطلوب ووفى البحث حقه فتكلم عن اخلاق الطبقات الثلاث التي ثلّف منها امتنا المصرية وعن عاداتها وحالها في كل مجتمعاتها بما ابان العلة وشخص الداء وارجع جميع الادواء الى اصول الاخلاق وبرهن على ان العمل انما هو الموصل الى السعادة

الحق احق بالاتباع والضرر انما هو في تمويه الحقيقة بما يسمونه تستراً والنصح ان كان مرّاً ربما حات عاقبته وحمدت غايته على انه ان كانت النصيحة بالتي هي احسن فلا يضيع فيها الصدق بالاخبار عن الواقعيات وقد يكون الواقع اشد ما يكون سماعه على النفوس فلا بد اذن من ان يتحرى الناصح الحق وبين العيب ويدعو الى التنصل منه والتخلي عنه ولا بد من ان البذرة تثبت متى وضعت في

ارض صالحة واستكملت الشروط وكل النفوس صالحة لتلقى النصيحة ولا ينقصها
الا ان يكون زارعها مستجماً لشروط القبول ومتي صلحت النية فكل عمل
صدر عن صاحبها فهو وان كان صعباً يكون مقبولاً

كان يسرني كثيراً ان انتقد على هذا الكتاب في موضوعه فاقول ان هذا
العيب الذي ذكره مؤلفه في الصنف الفلاني غير موجود ونسبته اليه غير صحيحة
غير اني آسف اسفاً شديداً لما رأيته من ان صاحب الكتاب لم يذكر عيباً في
طبقة ولم يندد بعادة ولم يعير بخصلة ولم يتعرض الى خلة الا وجدته بعد التدقيق
مصيباً فيما قال صادقاً فيما نسب بل رأيته مستعملاً الرقة في البيان والتلطف
في المقال

الحقيقة التي لا ريب فيها ان مجموع الاغنياء منا منصرفون عن هذا العالم بأمره
غير عالين بانهم في هذه الدنيا فما عليهم منها اذا عمرت او عمم الخراب ولذلك نرى كل
واحد منهم وحده يهيم في لذاته غير مبالي بضياع المال الذي جاءه عفواً بطريق
الصدقة لانه ابن فلان وارتفعت فيما بينهم صفات التعارف وضاعت من ايديهم
ثقة كل واحد باخيه فكانوا بذلك هملاً تضع ثروتهم ولا يعلمون ويؤخذون على
غرّة وهم غافلون وهم اولى بان لا يعدون من الامة فضلاً عن انهم هم العالون
سرت هذه الحال من الاغنياء الى المتوسطين لانهم اقرب اليهم وربما خالطوهم
او سمعوا من اخبارهم والوهم قتال فتشبهوا بهم على غير روية وقلدوهم بحكم تساط
طبع القوي على الضعيف فالوا ميلهم وطبعت نفوسهم على محبة الظهور الباطل
وتنافسوا في الشهوات وتفاخروا في اللذائذ وقالوا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا ولم يقولوا
فاصلونا السبيل فكانوا بذلك خاسرين ضائعين
الفقراء وهم السواد الاعظم مسيرون لا مخيرون وليس في ايديهم ما يصرفونه

هباء في لذة ورأس ما لهم الذي هو قوتهم وعافيتهم وصبرهم على تحمل المشاق مدخر
عندهم في خزانة الكسل وليس لهذا مفتاح الا نصيح الناصح مسموع الكلمة وهو لا
يكون الا من طبقة اعلى بحكم العادة القديمة وهذا كما تقدم لا يهمل صلاح ولا
يعنيه فلاح في نفسه فما الظن به في غيره ان نام الفقراء وضاعت رؤوس اموالهم
التي اكتسبوها بالطبيعة وكانت تنفعهم كثيراً لو صرفوها في تحصيل الرزق
الواسع وما هم بفاعلين

لو التفت الاغنياء والمتوسطون الى ان ذنب اولئك الضعفاء الفقراء في
رقابهم واقبلوا على العمل النافع لانتقل اولئك المستضعفون من حالهم الى ما هي
خير منها ولعاشوا في نوع من السعة والنعيم. اذ كان بعض الاغنياء وغيرهم من كبار
المتوسطين اقلعوا من زمان غير بعيد عن استمرار ليالي المآثم الى الاربعين كما كان
الحال من قبل فلم يعمل بالامر الجديد سوى اثنين او ثلاثة حتى علق به اصاغر
المتوسطين واخذة قاعدة جديدة عميمة وسمعا في كثير من الاندية والمحافل
شديد التنديد بالعادة القديمة والتنويه بالجديدة وانتقل الناس بعد ذلك من تقصير
ليالي المآثم الى سير سرير الجنازة واخذت العادة الشنعة تلتطف ولا شك انه اذا
بقي الكبراء على ذلك تبعم الفقراء وحل الجديد النافع محل القديم المضر في هذا
الامر وان كان ليس بالعظيم

واذ كر كذلك ان بعض الامراء أقبل اليوم على تحسين حالة الزراعة فالتفت
الاصاغر من مجاوريه الى مذهبه ولا ارتاب في ان الحالة المعاشية يمكن ان تصير
الى حسن ثم الى احسن ان لم يصرف اولئك الاصاغر ما يحصلونه فيما لا قبل لهم
به تقليداً للامراء وكذلك لا ارتاب في انه لو كثر امثال اولئك الامراء لانتشر
عملهم الصالح بين تلك الطبقات فاني لا ارى هذا الاقبال من الضعفاء الا في

المجاورين لقرى اولئك الامراء ولا اشك في انهم لو صلح حال جميعهم في صرف
ما يشتغلونه اصلح حال مجاورهم كذلك في هذا الباب وبذلك يتبين صدق ما
قلناه من ان علة خسارة الضعفاء هم اكابر الاغنياء والمتوسطين وكذلك هم سبب
التقدم والنجاح

وبما تقدم كله يستبين اني حكمت في امر هذا الكتاب بانه كتاب نافع
فيما أُلّف فيه وانه قد استوفى كل ما يقال فلم يبق الا ان احث الناس على الانتفاع
به وان اعلمهم بان ما فيه هو فينا واتنا يجب علينا ان نسارع الى الخروج عما وصمنا
به بحق وان مؤلفه لا يبتغي مناسوي الصلاح وكنا احق بان نطلبه لانفسنا ولو
بدون منبه فمن نبهنا اليه فقد وجب علينا له الامتنان

احمد

فتحي زغلول



غرض المؤلف

وضعت كتابي هذا على مثال كتاب (سرّ تقدم الانكليز السكسونيين) المعرب بقلم سعادة العالم القانوني الفاضل احمد فتحي زغلول بك رئيس محكمة مصر الابتدائية الاهلية . ولكنه مع الاسف يشرح سرّ تأخر المصريين لا تقدمهم . وغاية ما أودُّ ممن يطالع هذا الكتاب ان لا ينظر اليه بعين الاستغراب لما حواه من كشف المخبات ورفع الستار عن المعايب التي في جسم الامة وتؤدي بها الى الهلاك بل ارجوه ان يكون على ثقة باني ما كشفت ذاك الستار إلا حباً بأمتي وشفقة عليها لا شماتة . علنا اذا عرف الداء سارعنا الى اخذ الدواء قبل استفحال الخطب فنندم حين لا ينفع الندم

اذا انت لم تخبر طبيبك بالذي يسوءك أبعدت الدواء عن السقم
اردت بجمع هذه الادواء التي تضر بصحة امتي ان احث البقية الصالحة من الامة فتهب من غفلتها وتلم شعنها وتراب صدعها وتسد خللها وتبحث عن دواء نافع وبلسم شافٍ تداوي تلك الادواء التي اثقلتنا ونحن عنها غافلون . هذا ما قصدت . وانما الاعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى

محمد عمر

القسم الاول

في الاغنياء

الاغنياء والعصبية

ما فازت طائفة . ولا ساد قوم ولا عزت أمة ولا علا شأن جماعة إلا بالعصبية . هي التي تربط الافراد وتجمع الاشتات وتحيي النفوس فيشتد ازر الواحد باخيه ويقوى الكل على تحصيل سعادة الامة . والسعي في دوام ارتقائها حتى يعز جانبهم ويخافهم القريب ويهابهم البعيدو حتى ينصروا بالرعب من ابعد مكان وفي قوله تعالى " كأنهم بنيان مرصوص " اشارة الى معنى العصبية وهذا الارتباط . وما البنيان الذي يهولك منظره ضخامة وشموخاً إلا لبنة فوق لبنة وأجرة فوق آجرة . ولو أمعنت النظر لوجدت ما تستعظمه من الاجسام انما هو جواهر فردة لا تراها العين لتناهيها في الصغر . وانك لو لقيت عشرة رجال ونازلت واحداً واحداً منهم وكنت تفوق كلاً منهم في القوة شيئاً قليلاً لافيتهم عن آخرهم ولكنك لا تستطيع ان تقاوم ثلاثة منهم اذا اجتمعوا عليك حتى ولا اثنين . وعلى هذا جاء القول المشهور " وضعيفان يغلبان قوياً " . وبهذه العصبية عز المسلمون في القرون الاولى وسادوا ودفعوا بها الغوائل عنهم واخافوا من حولهم وصحبتهم هاته القوة في كل ناحية

واصل العصية انما تكون في اهل الدار الواحدة لا واصر القرابة ولحمة النسب
 ثم تمتد من اهل الدار الى الجار وجار الجار وهكذا وقد اوصى النبي صلى الله عليه
 وسلم بالجار الى اربعين جاراً وجعل للجار حقوقاً وما الشفعة الاً بعضاً منها
 ثم تمتد العصية بالتربية الى كل الجمعية لاتحادهم في تعلم ما يتعلمونه فينشأون
 على مشرب واحد لتخرجهم على اصل واحد . ثم تمتد العصية بالدين الى الامة
 بتمامها ولا تبلغ في الحقيقة عصبية قط ما تبلغه العصية الدينية ولا ترى شيئاً اقوى
 من رباط تربطه القرابة فقد جعل الله المؤمنين وان تءات اقطارهم وتباعدت
 ديارهم اخوة بقوله " انما المؤمنون اخوة " وهذا هو الاصل الذي تمحي عنده كل
 جنسية او وطنية او عصبية مهما كان شأنها . وردهم بذلك الى اصل العصية وهو
 القرابة والنسب . وبهذه العصية غلب المسلمون وهم شرذمة قليلة على اكبر الممالك
 في قرونهم الاولى وغلبهم الاجنبي الآن وهم اربى من حصي البطحاء لزوال العصية
 بفقد التربية واهمال امر الدين فاصبحوا في ذلٍ قد علام فيه من كان دونهم وأخذ
 بمقاليد امورهم وهم مغمورون في الجهل لا يسبحون عن عيونهم غبار هذه الغشاوة
 ليروا ما هم فيه من العار والذل ولو طال عليهم هذا الحال يخشى ان يصلوا معها الى
 ما لا تحمد عقباه . والتربية تطهر الاخلاق وتهذب النفوس فتكون الى الاتحاد
 اقرب والى الارتباط ادنى وناهيك بالدين فانه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
 ويدعو الى المحبة ويحض على مكارم الاخلاق فيزيل الحسد ويمحو البغضاء ويمحق
 الخداع فتتألف القلوب وترتبط النفوس وحينئذٍ تظهر في ابهى مظاهرها ومن
 تدبر آي القرآن الحكيم رآه يدعو الى العصية ورأى من اعظمهم الشيطان تفريق
 تلك العصية وان امضى سلاحه في ذلك هو المال فهو ينثره بين الناس فيجفوا
 الابن اباه والاخ اخاه وتختلف اهواء من في البيت الواحد ويمسد الجار جاره

فتشتد العداوة ويشغلهم ما هم فيه فيهملون امر التربية فينشأ كل واحد منهم على هوى غير هوى صاحبه فتختلف اميالهم ولا تجمعهم جامعة فيجب على المسلمين ان ينفضوا عنهم غبار الكسل ويتآمروا باوامر الله حتى يصدق عليهم قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم "الآية"

زواج الاغنياء

اذا طرَّ شارب الفتى واخضرَّ عارضه والهمه الله رشده رأى من نفسه ما يدفعه نحو أليف يألف به ليعاونه على عيشته وليشاركه في سراء الحياة وضرائها . فاذا اقترن بفتاة على حسب سنة الله في خلقه كان اول ما يتوخاه الراحة والعيش الرغيد . اما اغنياؤنا فهم احد رجلين رجل يعرف كيف يجب ان يكون النظام العائلي فيعيش عيشاً رغداً ويتمتع باطياب الحياة وقليل ما هم . ورجل لا يعرف ذلك النظام فيعيش ولا يهتأ له خاطر فيتوغل في المآثم مثل كثير من اغنيائنا ويستنزف ملذات الحياة في زمن صباه ولا يرعوي عن غيه حتى اذا سئمت نفسه الملذات وادرك بعض ما كان فيه من الخطأ مال الى الزواج بفتاة تكون اكثر منه ثروة واعرض جاهها وارفع منزله حتى يرقع ما تحرق من جلباب ثروته فاذا وفق الى وجود تلك الضالة فاز بالاقتران بها على سنة الله وعلى هذه الخطة يسير ابناء اغنيائنا لكنهم قبل الاقتران يهتمون باعداد لوازم الفرح ولا يكاد هذا ينتهي الا ويطرق ابواب العروسين رؤساء الحرف ويبد كل منهم قائمة الحساب . هذا يطالب بثن الخضر وذلك بقيمة المصاييح وآخر بثن المسكرات وغيره باجرة المغنين والمغنيات

واكثر ما ينفق في هذين السيلين هو ما يأخذه الاجنبي ثمن الشموع والمشروبات
ولا ينتهيان الا وقد اورثتهما هاته الافراح الدمار والاتراح والشاهد على ذلك عدة
بيوت قد استنزفت ثروتها في هذا الطريق يعلمها القارئ فلا حاجة بنا الى ذكرها
غير اننا تأتي على ذكر شيء مما يجري في بعض افراح الاغنياء . ليعلم القارئ
الحالة المتبعة الآن فيقيس عليها المستقبل ويقف على سر تأخرنا من جهة الافراح
فيشعر به ويتأمله . ولا نقصد بذلك ايلام القارئ فحقيقة الحالة ورداءتها تؤلم
وتكدر وليس علينا من ملام ما دامت افراح اغنيائنا من اسباب تأخرنا ايضا
يجري في افراح الاغنياء امور كثيرة غير التبذير الكثير والاسراف المضر
كلها نقائص وفضائح ما كان اغني الاغنياء عنها وعن كل ما يقاربه لو علموا الحقيقة
والواجب في هذا الشأن ولا نعدد الآن ما يبيع من املاك ورهن من اطيان بسبب
افراح الاغنياء وتبديد الثروة على هذه الكيفية . بل نذكر النقائص التي كان
الاولى بهم البعد عنها

نعددها ونشهرها فانا ولو تأخرنا عن اشهارها فقد اشهرها الافرنج قبلنا
ونشروها ونحن لاهون عاكفون على المباراة والتنافس والمباهاة فيها وهم قائمون على
البعد عنها ضاحكون منا . ولا ندري اضحكهم هذا هو سرور لنا ام تأسف على ما
لحق بنا واستنزائ . والاغلب ان يكون ضحكهم استهزاء لا حنانا ولا شفقة بنا وهذا
الامر ظاهر لهم فهم ينظرون فيما عندنا ليأخذوا منه الكمالات ويتركوا لنا
النقائص . نرى الوالد والولد الغنيين منا يقولان ان اقامة الفرح وتبذير المال من
ضروريات الزواج كيف لا وهي عادة اخذناها عن فلان اليك وفلان الباشا . وكيف
نبطلها ونحن لسنا باقل منهم ثروة او ادنى منهم وجاهة فكيف تقصر نحن عنهم وهم
لم يقصروا ونحجم نحن وهم قد اقدموا . وكفى حجة للافرنج على استهزائهم بنا تهافتهم

للذهاب الى افراح الاغنياء والتفرج عليها . فانهم مع ما يظهر لهم رب البيت من حسن الوفادة والاكرام . (ولولم يكن له بهم سابقة معرفة) يدخلون وتدخل نساؤهم دار حرمانا وبأيديهم آلات التصوير يظنها الرائي شنطة في الايدي فلا يسأل عنها فيأخذون ويأخذ نساؤهم بها صور الرجال والنساء ويطبعون منها المئات والالوف وتبقى عندهم صورة تلك الثريفة الاصل العالية الفرع^(١) مطمحا لانظارهم وعرضة لنظر اولادهم ولمن يزورهم وعليها بينون قواعد التربية والتعليم بينهم ولا يظن اقايرى انا مبالغون فيما ذكرنا فلدى بياعي الصور امام فندق شبرد بمصر^(٢) صور شتى عن حفلات اغنيائنا تباع وتشترى فيها صور نساءهم ومناظر حفلاتهم للسياح والوافدين الى ديارنا من الغرباء عنا ويا ليت الحال قد اقتصرت على الاغنياء منا فقط . الا انها لتناول الوسط حتى الفقراء . فاني اذكر ان جارنا وهو يسقي قنصلية احدى الدول بمصر كان محفلا بزواج ابنته ولداعي صحبته بترجمان قنصله دعاه للفرح فلبى الدعوة وأتى معه بعض صحبه من السياح ودخلوا حفلة العرس وييد بعض نساءهم آلات التصوير واخذوا بها صور النساء وما كاد الفرحة ينتهي بقليل من الزمن الا وشاهدت حفلة زفاف البنت معروضة امام فندق شبرد للبيع ولمعرفتي بالبنت وامها وبعض اقربائها تحققت انها هي بالذات

وقد اصبح بعض الاغنياء الآن من شدة شغفهم في تقليد الافرنج وتعلقهم باهداب تمدنهم يجعلون الفرحة على نوعين احدهما على الطرز الاوربي والاخر مجاملة على الطرز الشرقي اي بعمل بوفيه حاو من انواع المسكرات المعتقة في الدنان والاخر بمد السماط . وهنا مجال للقارىء يمكنه ان يتصور فيه ما يلزم لكل ذلك من

(١) والتي قامت لاجلها القيامة على سعادة قاسم بك امين بعدم رفع الحجاب

(٢) لديهم جملة من صور افراح الباشوات والامراء

النفقات الزائدة والتبذير المضر. كما اني لا ادري كيف يتسنى للمدعوين الفرح
والسرور وهم سكارى وقد كان الواجب عليهم ألا يعدموا الشعور ويضيعوا الاحساس
ليأتى لهم مشاركة صاحب الفرح في فرحه وسروره وانسه وحبوره. ولكن التقليد
والجهل وكثرة المال المجموع بغير تعب او الموروث عفواً اوجد كل ذلك فينا من
تافهٍ وسقيم

ولا يحتاج الحال بنا الى استلفات نظر القارىء الى بهرجة الرجال في لبسهم
وتبرج النساء حتى انهن ليزدن عن تبرج الجاهلية فيحتاج بنا الامر لعلم جديد ودين
يفهم بعد مضي ثلاثة عشر قرناً وهم في الاسلام

ولا يخلو الفرح من الترح ومن السرقة والسلب والسب والشتم والضرب
وكثيراً ما يتسبب لرب الفرح مشا كل فيتقدم لاجلها الى المحاكم

ولا تغفل احضار الراقصات الفاسدات الاخلاق المتهتكات ليرقصن بين
بنات ابكار واخوات وامهات ابرار صالحات. فلولا ان عميت قلوب الرجال وتأصل
الخوف في النساء لدرجة لا يمكنهن المطالبة حتى بالصون كما امر الله لما امكن ان
يوجد هذا بينهم وفي ديارهم

يحضرون الراقصات ويزعمون ان ذلك مجلبة لسرور المدعوات وهم لا يدرون
ما في ذلك من ضياع الادب وفقد الصون والعفة

وقبل ان نختم القول على زواج الاغنياء نقول ان من تأمل وعرف ما درج
عليه كثير من الشبان بيننا رأى كثيرين من الذين يتزوجون من اولاد اغنيائنا
يودعون عشيقاتهم قبل ليلة الزفاف بالبكاء والنواح فضلاً عما يبذله البعض لمن
من الهدايا والتحف وكثيراً ما تكون الهدية مشابهة تماماً لهدية الزوجة الشرعية والآ
فللعاشقات تأثير على عقول شبان الاغنياء وكثيراً ما يشرن عليهم بطلاق زوجاتهم

بعد قليل فتطلق الزوجة الشرعية من غير ذنب جتته سوى قلة تربية الزوج وعدم اهليته للزوج وفرط الجهل المتغلب عليه والهوى المستولي على عقله . وكنت اود ذكر ما فعله بعض الشباب تشهيراً لسوء عملهم الا اني اترك كل ذلك لفكرة القارىء وفطنته عليه يتذكر بعضهم فيعلم سر انقراط الزوجية بين الاغنياء وهم الاغنياء بما منحوا من سعة العيش والراحة ولكنهم بالحقيقة فقراء العلم والتربية والفهم والله مصرف الامور كيف يشاء

المحبة بين الزوجين الغنيين

محبة الرجل للمرأة هي ثمرة امتزاج عواطف وحاسيات كل منهما عند اشتراكهما على تكميل ما في كليهما من النقص . والمحبة بين الزوجين الغنيين امر ضروري يجب وجوده لدوام السرور وجلب الراحة والطمأنينة . وهي التي عليها مدار لذة الحياة كما هي الاساس لبناء التقوى وردع النفوس عن الشكوى . والمحبة هي الحياة الحقيقية التي ان فقدت كان من ورائها الموت وربما كان الموت اسهل منلا على نفس من يدرك معنى المحبة وفقدتها . وكم من مرة كانت سبباً للسوى عند المصيبة والفرح عند الحزن . ويمكننا ان نقول ان المحبة هي الروح الحيوية التي تنبعث في قلب الزوجين كانبعاث الدم من القلب الى العروق والمفاصل . ذلك تعريفنا عنها وربما اتخذ غيرنا خطة في التعريف خلاف خطتنا ولكن مرجعها الى هذه النتيجة بلا ريب . وخلاصة القول عنها انها الكل في الوجود . فاذا كان هذا حال المحبة كما بيناه وذكراه فإلم اليها القارىء نتجسس خلال ديار اغنيائنا علنا نجد بعض الشيء منها او نقف على آثار من ناضلوا عنها نضال الرجال فغبطهم التاريخ وكانوا خير سلف عاش بسلام مطمئن

ارسل ايها القارئ رائد نظرك معي وتأمل ايها الصامت فيما اقصه عليك
وانظر عن يمينك وشمالك واحكم بما تراه بلا امتراء؟

الست ترى ان المحبة الزوجية مفقودة والشقاق شاملاً بين الزوجين والمساعي
مخففة في ارجاعها والنفور سائداً بينهما لبعدها عنها بعد المشرقين والدلائل على ما
ذكرنا كثيرة فانك تسمع كل يوم طرفاً من غيها مع ان الدهر خصهما بنعمه وافاض
عليهما بوافر خيره وكرمه

لقد وجدنا في سلام وولدا في رخاء وسعة من العيش أهل منع ذلك السلام
الذي ولدا فيه والرخاء الذي نشأ عليه انشغال البال وثقاء الحال؟ مسكن فسيح
الجوانب وقصور مشيدة الاركان تكاد تتأطمح السحاب علواً فهل منع ذلك ضيق
العيش فيها وانحطاط ذويها الى درجة فقدائها المحبة والطأنينة؟

راحة موهوبة واطمئنان موروث!!! ولكن مع من مع من لا يدركه
ولا يفقه له معنى!!! عطاء بغير نصب وخيرات بلا تعب وامل ولا رجاء!!! مع
من هذا؟ مع من لا يدركه!!!

صحة جيدة عند النشأة ونظر سليم فهل اثمرت الصحة وابصر النظر المحبة
وفوائدها؟ كل ذلك لم يثمر حقيقةً وان اثمر فمحبة حيوانية صادرة عن ميل غريزي
فلذا ترى المتزوج من اغنيائنا سريع الحب والكراهة ولا يدرك دافع الميل ولا معنى
الانعطاف. وقل من يدرك معنى الحب الزوجي فلذا تجد منهم اميالاً قريبة الزوال
سريعة الفقدان ولا تجد في اخلاقهم من المتانة شيئاً. والاسباب كلها جهالات
بعضها فوق بعض فأم جهول وزوجة اجهل تدعي الاولى بحق التربية والثانية تدلي
بحق الزوجية فلا يتفقان ولا يتخذان طرق المسالمة بينهما اذ هما عدوتان للراحة بعيدتان
عما يجلبها لا اختلاف المشارب والآراء ولو كانتا في سعة من العيش ورفاهية من النعيم

راحة مجهولة وعقل مفقود لا يشعر بفقدانه إلا العاقل فكيف يتفقان والحب
والوئام غير موجودين

أب يحب وام تحب وابن يحب وزوجة تحب ولكنهم لا يدركون معنى
الحب ولا ما هو المراد منه

ان محبة الزوج لزوجته امر يترتب عليه نفع كبير وفائدة عظيمة . امر يبنى
عليه طيب العشرة ودوام السرور والراحة وعليه قوام السعادة الحقيقية اذا وجد
والعيش الهني الصحيح بدون جدال ما زال موجوداً بين شخصين اتفقا على دوام
الاتحاد لدفع طوارئ الزمن وكوارث الايام . ومحبة الزوجة لزوجها فيها نفع اكبر
واتم ان وجدت كانت فيها التعزية عند الكوارث والطمأنينة عند المخاوف والراحة عند
التعب والاقدام عند المواقف الحرجة ولكن اين ذلك فيما بين الاغنياء منا والزوج
رجل بماله لا بصفاته والزوجة بمثابة الطفل الذي لا يدرك ولا يعقل من حياته
سوى المطعم والملبس فاذا فقدت المحبة لم يبق غير الزينة والراحة الوهمية والتمتع
بملذات الحياة المكسوبة عفواً دون شقاء وعناء

أليس في ذلك كله دليل على سوء المحبة بين الزوجين . او ليس ذلك سرّاً
للاخطا ايضاً في داخلية امور اغنيائنا . وكيف الحال والزوج جاهل والمرأة جاهل
وهي الشريكة في الحياة . او كيف البقاء والارتقاء وهذا كله لا تدرك حاجاته
وكمالياته إلا محبة صادقة ووداد ثابت . فما علينا اذا إلا ان نعلم نساءنا ونشقف
رجالنا لنصل الى معرفة المحبة قبل الزواج وهي أسه والله ولي المؤمنين وهو على كل
شيء وكيل

العشرة بين الزوجين الغنيين

تكلمنا فيما سبق عن الطريقة التي يتبعها الاغنياء وصولاً للزواج وبقي علينا ان نتكلم عنهم بعد زواجهم وكيف يتصرفون في بيوتهم ليعلم القارئ لاي درجة وصلنا من الانحطاط على كلامنا يكون عبرة للعتبرين وعظة للمتعتزين

قلنا ان الرجل اذا تزوج فهو لا يعرف في امرأته باديء بديء الا الصفات التي كان قد سمعها عنها قبل الزواج وهي على الغالب مكذوب فيها او مبالغ بها فعوضاً عن ان يتمكن بنفسه بعد الزواج اخلاق امرأته ومقدار معارفها للتوصل الى ايجاد طريقة او صفة فيها تكون مشتركة بينهما وبالتالي موضعاً للالفة تراه مشتغلاً عن ذلك بما يحيط من مقامه ويشين بعائلته اذا كانت تعلق على الشين الهيمية . ولا نعلم الذنب في هذا على من أعلى الزوج الذي اذا لم تكن عائلته قد ربتة لم يترب هو من الدهر . ام على الزوجة لفساد اخلاقها التي اكتسبتها فيما بين الخدامين والخصاة وزادتها بلائاً بمعاشرة والدتها ورصيفاتها اللواتي لا شغل لهن الا التبرج والزينة والحلاعة والسفاهة مما يجعل القلم ان يخط عنه حرفاً واحداً

انما مرجع كل ذلك الى اساءة التربية ولذلك ترى المرأة لا تهتم بشؤون زوجها كما انه هو لا يهتم بها ويعيشان في بيت واحد ولكن قلوبهما متفرقة (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون) ومتى تفرقت القلوب فهناك المصيبة التي لا مرد لها لما يتأتى بينهما من الشقاق وربما الفراق والانفصال . وعلة ذلك عدم ادراك معنى المحبة اولاً والمعاشرة ثانياً وتسليمهم انفسهم بانفسهم الى العوامل الخارجية والاحوال التي تتقاذفهم كيفما شاءت . ومن امعن النظر في ذلك رأى الرجال لا يهتمون باعمال زوجاتهم حتى ان المتأمل يظن ان لا عشرة هناك ولا زوجية . وكثيراً ما

سمع القارئ ان الزوج منهم لا يحنط لعدم وقوع زوجته في الخيل والشباك التي
تعمل لها اذ هما بلغت العشرة وطال عليها الامد بين الزوج وزوجته الغنيين لا ياتمن
بعضها البعض فلذا ترى في كثير من الدوائر جماعة الكتبة فريق منهم قابض على
حساب الزوج وفريق على حساب الزوجة ولو سألت عن الاسباب الداعية لذلك
ترى النفور والحسد والاثرة بين الزوجين هي المسببة لما ذكر والمرأة منهن كثيراً
ما تكون ذات قسوة مكتسبة في نفسها وليست امرأ طبيعياً فيها لعلها بتوفر رزقها
ولعلها انها اغنى من زوجها وكان الواحدة منهن عند ذكر الغنى والثروة زادت
فيهن الحركة والصوت فلذا لا تستأنس احداهن بزوجها ولا ترق عليه ولا تذلل
لديه ولا تسكن اليه الا قليلاً وهن المهذبات المربيات وقليل ما هم . واذا لم تحترم
شخصه فهي في شقاق معه طول عشرتها اياه . يغنيننا عن اتيان الدليل واثبات الشاهد
تفكرة القارئ في حالة العشرة الزوجية الغنية فانه لا يرى بينها سوى احندام
الكلام قائماً منصوباً ووطيس الشقاق مبثوثاً بينهم والسبب يكون اما من غنى المرأة
على الرجل من جهة او انحطاط الزوج في شرف النسب من جهة أخرى . ولكن
الاغلب والذي جر هذه الكوارث فرط جهل النساء وعدم تعليمهن طرق المعيشة
وجهل الزوج واجبات الحياة وشرائط احترام الزوجة والنسب والاهل كما قررتة
شريعتنا الغراء ولكننا نرجع بالذنب كله على الاب لسوء ما ربي والام لسوء ما
ارشدت وسوء ما فرطاً كليهما واليك مثال تربية الاولاد لتجعله قياساً من الحاضر
على المستقبل

تربية اطفال الاغنياء

”قال حكيم“ — ربّ الولد في طريقه فمتى شاب لا يحيد عنها —

الولد سرُّ ابيه وامه يأخذ من مزاياها واخلاقهما ويدل عليهما بين الاهل والمعارف كما يدل عليهما في الجماعة والوطن . وكل مولود يولد ففيه نفع لاهله وتقوية لجامعته فاذا عرفنا هذا وتحققناه فهل هذا نشعر به كتنا او على الاقل هل يعرفه الاغنياء منا ؟ . او ماذا يكون الولد في نظر هؤلاء الاغنياء ؟ اذا كان ذكراً احبه ابواه معاً واذا كان أنثى كرهها ابوها واحبتها امها كما قال الله عز وجل عن امثالهم ”واذا بشر بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم“ اذ لا يميل الاب الى البنت ميل الام اليها . وكم أدى ذلك الى النفور والخصام بين الوالدين اذ ربما كان عدم ثقيل الاب لبنته سبباً يدعو امها الى ان تفتوه بكلمات سيئه والّا كان الميل خداعاً واستعطافاً لها ومواربة منه اليها وكم نشأ من هذا القبيل حكايات كثيرة كانت سبباً لزرع الشقاق بينهما وربما جرت الى الفراق واذا استفحل الامر فالى الطلاق . الا من حسنت آدابهما وتكاملت اخلاقهما فانهما لا يعتدان بما ذكرنا بل يهتمان بالطفل لا فرق عندهما ذكراً كان او انثى بل يجعلان كلا منهما امام نظرها سيمان ولا يجعلان لمثل هذه الامور تأثيراً عليهما . الا ان الام تستنكف ارضاع الطفل فتأتي بمرضع لارضاعه وهذا امر اصبح لا يتناول الاغنياء فقط بل كاد يكون عاماً حتى ان تناول الوسط واصبحت لذلك المرضعات تعد بالالوف ولا يخفى ما يتشربه الطفل الرضيع مع اللبن من أمزجة هؤلاء فضلاً عن الامراض التي كثيراً ما تصاب بها الاطفال وقل ان تجو منها ولذا تكثر بين اطفال الاغنياء الامراض ويصابون بالعقد الحنازيرية وغيرها

نعم لا ننكر ان ذلك يمدح ان كان مزاج الام غير ملائم وغير مساعد على الرضاعة ولكن ما القول اذا كان نساء الاغنياء يستنكفن ترفعاً منهن وعظمة عن ارضاع اطفالهن وحتى لا يقال انهن غير متمدات - قال عالم فاضل -
 نساوى في نظري العاقر والتي لا ترضع اولادها - فما القول الآن ولا توجد امرأة ترضي بارضاع اطفالها وفي سير النساء المسلمات في صدر الاسلام وفي بهجته وعزه كانت نساء الخلفاء والامراء هن اللواتي يعتنين باطفالهن ويرضعنهم مع مقدرتهن في ذلك الوقت على احضار من شئن من المراضع

لا شك ان هذا الامر المنتشر بين ظهرانينا مضر بنا وله علاقة كبيرة في فساد اخلاقنا وضعف تربيتنا واضمحلال قوميتنا وقد عرف هذا كثير من علماء الاخلاق فنبهوا عليه وحذروا منه. ويمكننا القول عنه ايضاً بأنه سبب مهم في تغيير الامزجة وجر الامراض على اطفال العائلات الغنية من حيث تدري ولا تدري. وتربية الطفل ليست من الامور اليسيرة حتى يستهان بها او يتقاعس عنها الى حد يوذي بها الى ما لا تحمد عقباه كما نراه ونشاهده الان بل الحقيقة ان الطفل اذا دب على الارض لزم له الاعناء العام وما دامت نشأته في الحياة كنشأة النبات في النمو والظهور وجب ان يعتنى به وبما يحفظ قواه وينميها والا ذهب ضحية جهل والديه من حيث لا يشعرون كذلك النباتات اذا لم تسق بما يحياها من حين الى آخر فذبلت او ماتت^(١)

وعلى الوالدة المحافظة على ولدها ومساعدته بكل ما يمكنها من الوسائط لنموه

(١) وابلغ من هذا ذهاب بعض فلاسفة التربية الى ان الاعناء بالتربية يبتدىء من زمن الحمل وهذا معقول لا امرء فيه ولا ارتياب

وارتقائه وهذا سهل عسير . سهل اذا كانت الام الكبرى بين اخواتها ورأت امها تربي
اطفالها . وصعب عسير اذا اعتمدت على نفسها بدون ان تسترشد من سواها وكانت
من لا يدركن علم تربية الاطفال كما عليه اغلب نساء الاغنياء اذ هن لا يعرفن
ما يلزم مما لا يلزم وهذا مما يدعوننا الى الاسف في عصرنا الحاضر وهو علة جلب الخادمت
واستخدامهن وهن اجهل منهن في هذه الامور وان كان اغلب نساء الطوائف الاخرى
قد انتبهن الى تربية اطفالهن وجعلن لها دروساً تعطي عند تعليم البنات في مدارسهن
الا نحن فنسأوننا أجهل من ان يدركن معنى علم تربية الاطفال وهن في مقدمة
نساء العالم بانهن لا يهتممن بهم قدر اهتمامن بزينتهن وبهرجتن وفي مقدمة
ذلك التهاون تسليم الاطفال للخدم زعماً منهن انهن سعداء يمكنهن جلب المراضع
والخدم لاولادهن ولكن شتان بين ام تربي طفلها بيدها وهي به ارحم كما هي عليه
اشفق من ليس عملها الا مقابل اجرة تتقاضاها عاجلاً بخلاف الام فانها مسئولة
شرعاً وذمة امام الانسانية وامام الله بكل ما لحق باولادها وهم صغار فهل ادرك
ذلك نساء الاغنياء وعملن به ؟ كلا كانهن عدمن تربية امهاتهن هن والشفقة
والحنان عليهن

وعلى هذا النسق نترك الامهات الاطفال حتى اذا بلغوا سن السادسة او السابعة
فرحبت الام واستبشر الاب وحمدوا صنيعهم قائلين لبعضهم قد كبر الابن او
البت فهل بنا تعلمهم ونهذبهم على طرق يصحون بها متمسكين بالاداب وبما
يشبه تربية الافرنج لاولادهم كما نسمع ونرى فيأتون لهم بخادمت من غير ابناء
العرب لكي يعلموهم ويرشدوهم على قولهم حتى ان الولد ليأتي بعمل تلقاه من مربيته
الاولى ولا يقع لدى الاخيرة فتستهجنه قائلة أف من فعال ابناء العرب فيضيع عند
ذلك من الولد ما تلقاه وهو صغير ويصبح حائراً لا يدري كيف يسترضي

الاخيرة^(١) وناهيك ما يقع فيه الولد وهو صغير من الارتباك والتشويش فضلاً عما يتجدد في نفسه من الكره لاخلق وعوائد أمته وبني جنسه وهو لا يدري الا صوب فيتبعه . هذا غير فقدان ما تعلمه من لغة قومه واهله وكثيراً ما يقف محتاجاً لترجمان بين امه ومربيته الجديدة . وهذا ايضاً امر قد دخل جديداً في التربية واوجد الفتور فيها والقلق . والدليل على ذلك ان اولاد اغنيائنا لا يكونون مثل اباؤهم او امهاتهم في الاخلاق الأنادراً . ولا يستغرب مستغرب ما نقوله فها هم اولاد العظماء لديه فليتأمل فيهم يرى لما نقوله صحة ولما نشير اليه حجة

ان شئت ان تعرف كيف تتولد البغضاء وتتولد النفور بين الاولاد وهم صغار فسببه ايضاً فساد في التربية وسببه الاكبر سوء تصرف الاباء والامهات معهم . اذ هم يعاملون اولادهم معاملة المحاباة معاملة تفضيل احدهم على الآخر في كل شيء من مأكل وملبس وهم لا يدرون ان بعملهم هذا يزرعون الجفاء بين الاولاد يزرعون البعد بين القلبين فينشأوا وهم شابون على كراهية بعضهم بعضاً شابون على جفاء متمكن منهم واين لي بمن يفهم الوالدين ان في عملهما ذلك مجلبة لحرمانهما من الراحة فيما بعد والا لو عقلا الاسباب وفقها النتائج ووهبا عقلاً ما فعلا ذلك ولا

(١) مما يدل باجلى بيان على ضرر استخدام الاوربيات مربيات للاولاد . اني اعرف صديقاً لي كنت معه يوماً نتزعه في حديقة الازبكية فاوقفته احدى الافرنجيات ومعها جملة اولاد وبنات صغار وقالت له 'الا تعرفني فقال كلاً فاجابته تأمل في جيداً فلما لم يعرفها قالت له 'كيف تنساني وانا التي كنت في "البار" الفلاني وكنت تتردد عندي ليلاً فاستغرب ذلك منها خصوصاً لما رأي الاولاد الذين معها فسألها عن حقيقة حالها فقالت بعد ان استخلفتها بكتان امرها انها الآن في سراي الباشا بصفة مربية للاولاد ووكيلة في السراي وصاحبة الامر والنهي في جميع تصرفات السراي جميعها وعمار السراي وخراجها متوقف عليها . ثم ودعها والتفت اليّ قائلاً تأمل فان مثل هذه المرأة يعلمن اولاد وبنات الذوات على المبادئ التي يعرفونها فتتفست الصهداء متأماً متوجعاً على هذه الحالة المحزنة

اقدماء عليه ولكن اني لها ان يفقها وهما بعيدان عن معرفة ما يرجحهُ العقل من ان
الحب يتوارث والبغض يتوارث. ولذا ترى الاولاد يشبون على كره الواحد للآخر
والشواهد عديدة يعلمها الكل ومن شاء معرفتها فليُنظر لاختين ربيتا على ما تقدم
وتزوجنا وهما لا تزور احدهما الاخرى. لا شك انه عند معرفة ذلك يقول قد صح
الحكم واتضحت الاسباب وصدقت الآية الكريمة "الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين" نسمع باذاتنا ان بعض الاخوة تمر عليهم الايام وتكر عليهم السنون
وهم لا يتذكرون انه يجب عليهم السؤال عن بعضهم. هذا امر نشاهده او نسمع
به وهو حاصل بين اولاد ذواتنا حاصل بالاخص بين بناتهم وذلك غير ما كانت
عليه بنات ذواتنا قديماً ولدينا كتب السير نقرأها نراهن على جانب عظيم من المودة
الحالصة والوفاء الحميد. لا شك انا فقدنا منهم ما كان معروفاً فيهم قبلاً ولا ندري
الى اي طريق يصلون ولا ندري تعليل هذا الجفاء في زمن اصبحنا فيه بعيدي الدار
بعيدي المحبة والائتلاف

أدب الاولاد الآن ناشئ من الخوف ناشئ من استبداد الاباء
والامهات عليهم وليس هو الادب الذي كان معروفاً عنهم قبلاً الناشئ عن الفهم
والعلم والمعرفة الحقة او المكتسبة من الدرس والمطالعة والتعليم ولذا نرى كثيراً من
اولاد اغنيائنا في حضرة ابائهم وامهاتهم يظهرون ادباً وبالاخص امام الزائرين. اما
في حالة وجودهم في البيت على انفراد فمدار عملهم كل ما يخالف الحشمة ويضاد
الادب وذلك مع الخدم والجواري وهذه المعاملة السيئة تكره الخدم خدمة
الاسلام وتتفر عنها ويفضلون الخدمة عند الطوائف الاخرى لان اولادهم اعلى ادباً
واوفى كمالاً يأمرون بالمعروف الذي كان فينا وبالاحسان الذي كان يعرف قديماً
عنا. والا نخذ لذلك مثلاً خادماً او خادمة في منزل رجل غني مسلم قائم

بواجبات شؤونهما كما يجب . سواء كانت من نظافة او طبخة او غيرها فاذا لم يطيعا حالاً ما يؤمر به ولو كان من غير عملهما المخصصين له . يجدون من انواع السباب والاهانة ما يغيب منهما الرشد ويبعد عنهما الصواب . والسبب سوء خلق اهل البيت من ولد و بنت وزوج وزوجة ولا يمكننا وصف حالتهم بدون تذكير القارىء بما اصحت عليه الغنيات من خشونة الطبع وسوء الخلق في معاملة خدامهن . بيد انه يوجد منهن عدد عديد لا يدركن معنى الحياة فلذا تراهن ياتن الخدم ويعاملنهم معاملة حسنة مقابل جعلهم مستودعاً للاسرار . حتى بلغ البعض من جراء ذلك لدرجة كثيراً ما يتأتى منها الضرر . ولو شئت معرفة تأثير اخلاق الامهات في الابناء والخدم فانظر للحرية التي خلقت للانسان منذ خلقته ووهبها له الله ليعمل بها العمل الطيب البار النافع . وتأمل لشرطها وهو احترام حقوق الغير وعدم تعدي الناموس الاديبي والذي عرفها العاقلون ولم يعرفها الجاهلون امثال امهات و اباء اولاد الاغنياء منا تجد الحرية بينهم تجر الاضرار والاذى . لانها حرية مظلمة تربى في النفوس الرذيلة وتنتهي المفسد والقبايح . تجدها فيهم ويا للأسف حرية مفسدة للاخلاق والتربية واليك مثالها

تخرج الام من خدرها وتبرز من بهوها الجالسة فيه اغلب ايامها بدون عمل وبعد ان تتأق بقدر من الرياش والترف وما يتبع ذلك تذهب لزيارة صديقة او لزيارة مقام فتلون نفسها بكثير من انواع مذمومات الخلق والشرثم ترجع الى منزلها فتحدث بما رأت وما سمعت من قول واشارة فتفسد الام بقولها هذا ما عندها من الابناء وتجرب الضرر من حيث لا تدري وكم من ام تود الربح فتقع في الخسارة وناهيك عن يتردد الى البيوت من اسافل القوم ورعاع الجماعة من عجوز وصبي وما شاكلها . اذ بهذه الحالة تنبت المفسد وتربو الاخلاق السافلة في الابناء

فضلاً عن تأثير اخلاق الخدم من مذمومات الخلق الذي يدربون عليه الاولاد وهم صغار لا يعقلون اذ لو اردنا البحث في تأثير الخلق من الخدم لرأينا ان الموكل بالاولاد منهم الاغوات الذين لا يفقهون الصالح من الطالح. حتى ولو اطالت الاولاد الستهم ورفعوا ايديهم لا ينتبهون ان عملهم هذا خطأ في حق الاولاد اذ ترتقي مع الولد قلة الادب وفقدان التربية ما ارتقي في السن ان لم يكن له رادع سيما والانسان بعيد عن الكمال محب للرزيلة

كثيراً ما يأمرهم الخدم بكل قبيح ويعلمونهم السرقة من الاباء والامهات وكثيراً ما يُعطى الاولاد دراهم لا لزوم لها فيصرفونها على شرب السجائر وهم صغار او تعاطي مواد أخرى مضرّة بالصحة. والمعلم والمنبه لكل هذه الامور الخدم والحواشي ومن العابهم تعرف درجة انحطاطهم فمن يماثلهم في السن من الطوائف الاخرى. ولا يخفى على المتأمل في حقائقهم سوء العواقب الوخيمة وسوء المغبة والمآب فاحكم بعد ما تقدم بما وصلوا اليه وما سيصلون في زمن تربية المدرسة والتعليم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

تعليم اولاد الاغنياء

قال الامام الغزالي رضي الله عنه "الصبي ودیعة عند والديه"

اعناد الاغنياء منا تعليم اولادهم في ثلاث مدارس . المدرسة الاولى هي المدرسة المخصصة اي التي يأتي اليها المعلم في البيت . والثانية والثالثة المدارس الاميرية والاجنبية . اما الاولى فهي مكونة من معلم شيخ او غيره وتلميذ او اكثر يعطون حصة او حصصاً في النهار . واما الثانية والثالثة فامرهما معلوم وسيأتي الكلام

عليها . والمدرسة المخصوصة هي كما تقدم يأتي اليها المعلم ولا يذهب اليها التلميذ
 للتعليم . مدار التعليم فيها المبادئ الاولية من قراءة وكتابة بسيطة لا تكفي لتعليم
 الناشئين تماماً اذ لا يكون التلميذ امام معلمه وهو في بيته الا كمثل من يضيف زائراً
 فيقدم له الاحترام ما مكث . وليس من وجود لطاعة او سماع لاشارة ولا للربي
 من سلطان ما دام في نفس المعلم لشخص المتعلم احترام ورهبة اكثر مما في نفس
 المتعلم اذ ليس في نفسه انقياد واذعان لما يؤمر به من معلمه ولا يمكن ان يتحصل
 التلميذ بهذه الكيفية على فائدة ثقتي او توهل الطالب الى وسائل النجاح حسبما ذكر
 والا واليك بيان كيف تنقضي ساعة الدرس في تلك المدارس المخصوصة بين
 المعلم والمتعلم . اذا حضر المعلم نودي التلميذ من بين الخدم او الحرم فاذا جاء وقابل
 معلمه واهدى اليه السلام جالس بين يديه يتلوه درسه برهة ويقص عليه ما جرى
 بينه وبين خدمه برهة اخرى ثم يكتب دقيقة ويتكلم معه بضع دقائق في شأن
 ما عزم عليه ابوه من شراء خيول وتجهيز عربات حتى اذا ازف الوقت وانتهت
 ساعة الدرس (وهي تنتهي بلا درس) قام المعلم مودعاً وقام التلميذ ضاحكاً ولعب
 مولعاً مشتاقاً وليس من اب ينبه على المعلم بالاغنياء بالتعليم او يلاحظ ما يستفيده
 ولده من معلمه حتى يرى اذا كان أثر هذا التعليم صالحاً مفيداً مهذباً لابنه ومغنياً
 لعقله ومقويماً لفهمه او لا . كل هذا لا يلتفت اليه بالنسبة للولد المتعلم بل يترك
 وشأنه لذلك المعلم ولا مرشد للابن بين له ثمرته في الصغر عملاً بقول الرسول صلى
 الله عليه وسلم - لان يودب احدكم ابنه خيراً له من ان يتصدق بصاع طعام ^(١)
 وهذا عكس ما كان عليه الاغنياء من قبل عند ما كانوا يوصون معلمي اولادهم

(١) حكاية ابن ابي جرير في شرح البخاري

ومؤدبهم بقولهم^(١) "ليكن اول اصلاحك بني اصلاحك لنفسك فان عيوبهم معقودة بعيبك فالحسن عندهم ما فعلت والقيح ما تركت . علمهم الدين ولا تمهلهم فيه فيتركوه ولا تتركهم منه فيهجروه وروهم من الشعر أعفه ومن الكلام اشرفه ولا تخرجهم من علم الى علم حتى يحكموه فان ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم . تهددتم بي وادبهم دوني وكن كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء وجنبهم معادثة السفهاء وردتم سير الحكماء" هكذا كان يأمر الاباء بتعليم الابناء وبهذا نشأ السلف الصالح على نشأته الاولى من ادب وكمال ولكن الآن قد بعد عن ذلك المعلمون الخصوصيون والاباء واصبحت ساعات تعليمهم في مدارسهم الخصوصية ساعات فكاهات وهو ولعب من قص حكايات وتجاوز مناقشات تبعد الدواء وتجلب الادواء وتجبر تعليم السفه وقلة الاكثارات بالعلم حتى اذا عكف المعلم والمتعلم حيناً من الزمن خرج الولد من بين يدي المعلم سفياً قليل الادب والتهذيب . ثم اذا شاهد الاب عدم نجاح الابن سعى جهده وأخذ بطوق ابنه الى المدرسة وبذل ما في وسعه لادخاله فيها فاذا دخل الابن وتم له القبول كان رفيقاً لاولاد صغار على كبره في السن هم الاعلى وهو الادنى . ولذا ترى أغلب اولاد اغنيائنا زملاء لاولاد صغار في المدارس كلهم يتعلمون ويكدحون نحو التقدم . الأهم فانهم يتأخرون ويتقاعسون عن التقدم في التعليم فضلاً عن اتيانهم صباحاً متأخرين عن ميعاد المدرسة مجهدى قوى تقولهم صباحاً للاحتياجات التي يقدمونها كل يوم للاساتذة مع ان لهم الركائب والخدم والوسائل التي تسرع بحضورهم الى المدرسة . وهنا يتبين لنا شي غامض في زمن المدرسة الا وهو انحطاط

(١) قول لعمر بن عنبة بن ابي سفيان يوصي مؤدب ولده به

اولاد الاغنياء وارتفاع اولاد الفقراء والفضل لسوء تربية الاولين في الترف
والنعيم والدلال . ولحسن تربية الآخرين منذ الصغر على المناضلة والتنازع لمعاركة
ما هم فيه من الانحطاط والفقير فينمو في الاولين البطالة والكسل وفي الآخرين
الاجتهاد وحب العمل . ومن شبَّ على شيء شاب عليه . لا شك بعد هذا اذا نظرنا
الى مستقبلهم في التعليم فانا نراهم مقصرين الا في اللعب والعريضة ولذا ترى سيرهم
وسلوكلهم مع الاولاد الآخرين سيئاً للغاية فتراهم عديمي المحبة لآخوانهم في
التلمذة كيري النفوس والحقد والبغضاء عليهم تمر السنة المدرسية وهم لاهون غير
شاعرين واذا جاء زمن الامتحان قصروا واذا قصروا رفتوا من سلك المدرسة
وقبل رفتهم يتعللون كل يوم لآباءهم بسوء التعليم وقلة الانتباه وكثيراً ما
تلقى حيلهم هذه اذناً صاغية فيخرجهم الاباء من المدرسة قبيل زمن الامتحان
ويدخلونهم الى مدرسة أخرى وهكذا حتى ان كثيرين منهم قد يطوفون على
جميع المدارس ثم يدخلون المدارس الاجنبية وهذه كما لا يخفى كثيرة العدد
كثيرة الوجود قل ان يخلو منها حي غير ان هذه المدارس لما مشارب واغراض
لا توافق من كان مثلنا يرجو النفع الحقيقي ويؤمل الغاية الصحيحة من التعليم والآن
فكل مدرسة من هذه المدارس عاملة على نشر لغة قومها . قائمة على بث مبادئ
اصحابها فمثلاً مدارس الجزويت والفرير تجتهد في تعليم اللغة الافرنسية والعربية
الا ان للاولى العناية الحقيقية والثانية العناية الوقتية فضلاً عن بث مبادئ الديانة
المسيحية للتلامذة سواء كانوا مسلمين او مسيحيين من عقيدة تخالف عقيدتهم اذ
الكل مكفون ساعة الصلاة بالركوع ورسم الصليب . وتلاوة الصلاة بالخشوع
التي كثيراً ما يكون التلميذ المسلم عارفاً بدين اصحاب مدرسته اكثر من دين اهله

وقومهم فضلاً عما يرمي اليه اصحاب هذه المدارس من الاغراض التي اصبحت غير خافية على احد والتي نرجو من جميع مدارسنا التمسك بمثل هذه المبادئ . غير اننا نقول ان مدارس المرسلين الاميريكاني هي احسن كل هذه المدارس تعليمياً وادباً وتربية وصحة مبادئ و تقويم اخلاق . غير ان اساس تعليمها ايضاً مبني على تعليم الديانة البروتستانتية ونشرها بين الناس من مسلمين ومسيحيين ويهود وغيرهم وهي ايضاً لا يرجى منها لنا نفع في تعليمنا وتقويمنا الا اذا كان تعليمها للدين ممنوع للمسلم مباح للمسيحي . ومن الاسف ان نرى جميع اولاد ذواتنا في هذه المدارس يتعلمون ومنها يتخرجون فاذا كان ذلك كذلك فلنبحث عن سلوكهم مع التلامذة وعن درجة تقدمهم . اما عن سلوكهم في هذه المدارس فسلوك حسن نوعاً ما عما يكونون في المدارس الاميرية . غير انهم لا يزالون يعتبرون انفسهم انهم اعلى ممن يقارنهم من التلامذة ولو كانوا في الحقيقة ادنى منهم في الدرس والتعليم اهل لعب وبطالة وعريضة ودعارة اكثر منهم سفهاً وادعاءً وخيلاء فضلاً عن كثرة انقطاعهم وحيلهم وقل منهم من يعتني بفهم الدرس كزملائه فلذا لا يصطبب احدهم باخراً الا اذا كان اعلى منه فهماً وعقلاً . تراهم مقصرين في الدروس النافعة مجتهدين في ما يجر الى الانحطاط عقلاً وادباً . ولدينا شواهد حالهم في المدارس اذ هم معتادون ان يكتبوا كل سفيه وان يقرأوا كل رذيل^(١) ولذا تراهم قد اعتادوا

(١) يكثر بين اولاد الاغنياء وهم في المدرسة قراءة قصص الافرنج ونضيب اوقاتهم في مطالعة الروايات السافلة وغيرها من كتب الخلاعة والهذيان عربية كانت او افرنجية بخلاف اولاد الطوائف الاخرى فان الابهاء يهدون الابناء في الاعياد الكتب التي تفيدهم وتجتهدهم على الافادة

قال "المقتطف" الاغر عن هذه الكتب . ان هذه الكتب تؤلف لهذه الغاية وتقصده

الكتابة لبعضهم من امثال ما ذكر جملاً والفاظاً سافلة يجمر منها وجه الادب حياة
 وخجلاً واكثر ما يقع منهم هذا في وقت المدرسة او في وقت المسامحة اذ منهم
 كثيرون يكتبون على ابواب بيوت بعضهم ما يدل صراحة على درجة براعتهم في
 النقائص والمعائب واني اعرف حادثة جرت بين ولدين من اولاد الاغنياء سببها
 واجدًا ولكنها كبرت معهم حتى قام كل منهما وطبع في حق الآخر كراساً حشوه
 البذاءة وقلة الحياء وقد وزع كل منهما على اخوانه ومعارفه تلك الكراسة مجاناً
 ولم يتركها طريقة لزيادة انتشارها الاطرقاها حتى انهما ادراجها في جريدة من
 الجرائد السافلة . هذا هو سلوكهم مع اخوانهم في التعليم فتأملهُ . اما سلوكهم مع
 الاساتذة فسلوك رياء مصطنع واحترام يقدمونه للاساتذة ما داموا في المدرسة
 اما خارجها فلا يوجد ثمة احترام . ويستكفون التسليم عليهم لثلاثي يظن
 الناس اذا سلم احدهم عليهم انه تلميذ يحترم استاذهُ ولا يخفى على القارئ فعل ابناء
 الاغنياء وعملهم في مدرستي الطب والحقوق سنة ٩٢ وسنة ٩٦ وعدم اطاعتهم
 لمعلمهم واساتذتهم

اذا مرت السنون ووصل احدهم لنهاية الفصول من المدرسة يقدم بغير روية
 امتحان امام نظارة المعارف فيسقط امام الامتحان ويعززون سبب سقوطه لقلة اهتمام
 معلميه به ثم اذا مكث سنة أخرى اما ان يستأجر من يقدم نيابة عنه باسمه لاخذ

بها الفائدة وحدها او الفائدة والفكاهة فلا يكاد الولد يبلغ العاشرة من عمره حتى يصير عنده
 مكتبة صغيرة فيها من نخبة الكتب التي يستدير بها عقله وتوسع معارفه حتى يسير في هذه
 الدنيا على هدى ولا يخبط فيها خبط عشواء . ثم قال "المقتطف" وكما تهدي اليه الكتب
 تهدي اليه الجرائد العلمية والادبية فيشارك باسمه فيرى نفسه مشاركا لاهل العلم والادب في
 حديثه وببذل جهده ليقوم بحق هذه المشاركة اه

الشهادة^(١) او يترك المدرسة معتقداً بانها لا تصلح له ولا يصلح لها حيث قد وصل الى سن الرجولية وعار عليه البقاء في سلك التلمذة لحين اتمام الدروس الانتهائية وما دام انه رأى اصغر منه سنّاً قد خرج منها ظافراً بشهادته وارتد هو عنها خاسراً وهنأ لا ندري كيف يكون لنا قوام في هؤلاء الابناء وهم لم يحصلوا على شيء من العلم يكسبهم صفات الرجولية الحقيقية ويجعلهم اهلاً لها اذا دخلوا في دور تربية المرء نفسه بنفسه اي ان يمرن المرء نفسه بالممارسة في ميدان هذه الحياة ومعرفه شؤونها لا شك بعد ما تقدم ان نظرنا للمستقبل نظرة عمومية وارتد بنا البصر حاسراً ووقف القلب حائراً واللسان ممسكاً عن المقال ولكن لا بأس من ذكر ما قد اصبحوا عليه فيما يلي حتى نعلم سر انحطاطهم وتأخرهم والله مقيم العباد فيما اراد

تعليم بنات الاغنياء

البنات في العائلة مدعاة لمعرفة ما اذا كانت تلك العائلة في درجة من النجاح في هذه الحياة ام لا . وجلي ان بحياة العائلة حياة الامة . اذ الامة انما هي مجموع عائلات ليس الا ولذا من اراد استطلاع كنه احدى العائلات ليعلم درجة تقدمها في النجاح والفلاح فعليه ان يمعن بصيرته في الفحص والتنقيب عن أدب وتعليم البنات في تلك العائلة . فان وجدت ادباً وألفى التعليم ليس بمفقود علم ان حياة هذه العائلة حقيقية وعيشها رغيد غير مشوب بالاوهام والشبهات . وان الامة التي تتكوّن من هذه العائلات هي متقدمة دون ريب والعبرة ليست بكثرة الافراد في

(١) لا ينسى القارئ ذلك الاثنين من اولاد الذوات اللذين زورا الامتحان امام لجنة

الامتحان ثم حكمت عليهما المحاكم بالسجن ثمانية عشر شهراً

العائلة بل بعدد المتعلمين فيها من البنين والبنات اذ مها بلغت كثرتها فهي لعدم التعليم اصغر في نظر العاقل من عائلة صغيرة افرادها متعلمون . انظر في تاريخ نشأة الاسلام الاولى تجد العائلات وقتئذ متقدمة تقدماً عظيماً حتى انك ترى بينها كثيراً من الكاتبات الاديبات والعالمات البليغات . تعلم ذلك اذا رجعت الى الاطلاع على تمدن القرن الاول حتى السادس من الهجرة زمن انتشار المعارف والآداب التي تقصر عن تحصيلها بنات عائلات الاميريكان والانجليز والامم المعاصرة لنا . ونحن نفتخر بفضل كان فيهم لافينا وهم لو تكلموا وخرجوا من اجداثهم لقالوا لنا بلسان عربي فصيح " هذه محاسننا فاين محاسنكم املوا مثلما كنا نعمل واقتفوا آثارنا والآفتحن براء منكم " لا ريب في اننا فقدنا في تعليم البنات والبنين كل شيء وتشببت منا المهمة الموروثة عنهم وغابت عنا تلك العزائم التي كانت تشاهد منهم . ورب سائل يقول - كيف تعلم البنات في تلك الاعصر الخالية حتى اصبحن على نحو ما نقول - وجوابنا انه كان لهن مجتمعات عامرة وكانت بهن عناية وافرة واهتمام زائد ناشى عن الاحساس بما يثمره تعليمهن وتهذيبهن ولذا خرج منهن عالمات فاضلات يبتثن روح التعليم في بنات جنسهن وفي الرجال . وبلغن في الفنون والصنائع والتأليف والتصنيف والاشعار البديعة شأواً عظيماً وغاية ليس وراءها غاية . ولذا كانت الواحدة منهن عالمة فاضلة . اما الآن فلا مدارس للبنات يتعلمن بها كما كان لهن من ذي قبل ولا عناية بامرهن ولا اهتمام مطابقاً ولذا تراهن على ضد ما كنن عليه بنات جنسهن في الزمن الغابر . كيف لا وهن قد اصبحن يتباهين الآن بما عليهن من الخلي وما عندهن من الملابس وكل واحدة منهن تفاخر اقرانها بوسع نعيمها وثروتها لا بعلمها واطلاعها ولو علمن لكن يفخرن بحسن المبادئ والعلم والادب ولكن يجعلن مما هن عليه الآن . اذ البنت

لو تعلمت لكانت كنز فوائد لا يفنى على كرور الايام بل كلما ازدادت في فهم العلوم
ازدادت المادة وغزرت كالبر يكثر فيها الماء اذا نزحت وتنضب اذا تركت
لشأنها بل وتفسد . وكانت لاطفالها بعد زواجها هادياً ومرياً صالحاً . ونعم ما قالت
احدى السيدات الفاضلات في هذا الصدد ونصه^(١) "ولو اراد النساء ان
يقتصرن على الهم من مطالبهن لقلن لرجالهن انما نطلب منكم ان تهتموا بتعليم بناتنا
كما تهتمون بتعليم بنينا ولا نطلب فوق ذلك لان الابنة المتعلمة تعرف مقامها في
الهيئة الاجتماعية"

والبنات المتعلمات ربحانة النفوس وتفاحة القلوب ومخففات هموم الرجال اذ
لا خليل اوفى ودا من امرأة متعلمة مهذبة ولا اعطف قلباً وارق فواداً من امرأة
تعنتي بعياها وتر بهم على حب الفضيلة والتقوى . ومما روي ان قطر الندى بنت احمد
ابن طولون لما زفت الى المعتضد بالله شغف بها فوضع رأسه في حجرها فنام فتلطفت
في ازالة رأسه عن حجرها ووسدته وخرجت من البيت فلما استيقظ دعر ونادها
فاجابته من مكان قريب منه فقال اسلمت نفسي اليك فذهبت عني فقالت لم
ازل كائنه لامير المؤمنين قال فما اخرجك من البيت قالت ان مما ادبني به ابي
اني لا اجلس مع النيام ولا انام مع الجلوس . على هذه الحالة من الادب كانت
بنات ونساء الاغنياء من قبلاً ولذا ارتقت بينهم العائلات وسعدت منهم الافراد
وقويت بهن الامه حتى اذا اراد احد معرفة الامه وحياتها وسبقها في ميدان
الحضارة والتمدن فعليه بالاستعلام عن درجة نساؤها في العلوم

وانا لو بحثنا الآن عن مدارس البنات بيننا لما وجدنا سوى المدارس
المختصة بتعليم بنات المسيحيين والتي فيها التعليم موكول الى نساء من الاجانب

(١) قول لحضرة مدام صروف انظر المقتطف سنة ١٤

لا يدركن كنه حاجة البنات المسلمات وما يلزمهن من المبادي^(١) اذ البنت المسامة ولو كانت في سن السادسة او السابعة ليست على استعداد يوازي استعداد ما للبنات المسيحية منذ الصغر من التهذيب وطاعة المهذبين واحترام المعلمات وتتميم الواجبات . اذ مما سبقنا فيه نساء المسيحيين هو تعليم بناتهم احترام الحق واحترام التهذيب منذ زمن الطفولية بخلاف بناتنا اللواتي يتربن على ضد ما ذكر تماماً . تأمل طبقة بنات الاغنياء تجد فيهن اموراً مدهشة كلها ناطقة بلسان فصيح على بعد ما بيننا وبينهم والسبب في ذلك جهل الام وسقم فهم المربيات

نعم نرى بناتنا وهن ذاهبات الى مدارسهن صباحاً بلباس ايض ناصع حتى لتخاله منظر ابرار وهيئة ملائكة طهر وترى زرافاتهم كطيور الجنة . ولكن عقولهن وآدابهن التي نشأت عليها احط قدرها واخس هيئة ونقصيرهن امام الطوائف الاخرى منذرنا بسوء الطالع وعظم المصيبة . تأمل عظم البعد في الادب بين بنت منا وبنت من طائفة اخرى تربوناً شاسعاً وفرقاً بعيداً . وياحبذا تعلمين لو تم على ما نود ونرغب . لكننا نراهن لا يتعلمن في مدارس الاجانب سوى فن البيان واللغات الاجنبية من فرسايوية او انجليزية . اما لغتهن العربية فلا يصلن اليها ولا يتلقينها في هاتيك المدارس . ولو شئنا معرفة مستقبلهن لحارمنا العقل وانذهل . كيف والحاضر عنوان المستقبل وهو مؤذن بالجهل التام في العلم والدين واطاعة الاقارب واحترام الزوج على حسب ما تقتضيه الشريعة المحمدية . فهل يرضى بذلك المسامون وهل لا يزالون يقولون "سود المهاجر لا يقرآن بالسور" او وهم الاغنياء منا حتى انهم لا يدركون معنى تعليم البنت ولا يفقهون ما يلزم لها وينبغي

(١) يلزمهن علم حقيقة الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته وولده واهله وخدمه

ان تكون عليه حتى تكون بناتهم غنيات يعقولن وتربيتن يجمعن الى وافر الثروة
جودة العقل وطهارة الدين

اولاد الاغنياء واللغة العربية

يكفي التعريف عن شرف اللغة العربية انها لغة الدين والقرآن والحديث
الشريف . ولذا كان قديماً لا غنيائنا ولع كبير بالاغنياء بها وتحصيلها . وقل من كان
ليس له المام بها ومعرفة بفروعها اذ كانوا يتنافسون بجمع كتبها سواء كانت خطية
او مطبوعة . وكننت اذا نزلت عند احدهم ترى عنده مكتبة كبيرة جامعة للكتب
العلمية والتاريخية والادبية التي بعضها مما يندر وجوده الان . اما في وقتنا الحاضر
فقد ضاع كل ذلك الا من عدد قليل يعد على الاصابع . شأن كل نافع كان لنا
وفقدناه باهالنا . فقد اصبحنا نرى الان تطرق الحلل في التكلم والتعبير بالعربية
ويغنيك شاهداً الان عندما نتكلم مع احدهم بالعربية الفصحى . فانك تراه لا يدرك
معنى اللغة فضلاً عن دس كلمة او كلمتين من لغة الغير بين كل جملة وأخرى إما
بالفرنساوية او بالانجليزية حتى ان اللغة العامية المصرية نفسها قد حرفوها عن
مواضعها وتنازلوا فيها الى من اخلط معهم من الاجانب غير المتعلمين مثل قولهم
(امسكتوا من واحد دكان) بدل اشتريت من دكان وهكذا قد انسلخنا عن كل شيء
حتى لم يبق لنا ما يمكن ان ينسب اليها او ينسب له مما يعده الناس شيئاً . ومنهم من
اذا تكلمت معه يقصر تعبيره عن فكره فيقول معنى ذلك باللغة الافرنجية مثل قولهم
لا توأخذني فاني اليوم تأخرت عنك لانه كان بيني وبين آخر (رندقو) او
متشكر (مرسي) او لا مواخذة (بردون) وان نهبت احدكم الى ذلك اعذر وهز

بكتفيه مستهزئاً وهو يقول لا ادري اللفظة التي بها أوّدي المعنى الذي اریدهُ
بالعربية كأنه ليس من ابناءها. ومن الغريب ان الاجانب عن اللغة قد تعلموها واصبحوا
وهم يكلونك ويكاتبونك بها. اما ابناء العرب الاغنياء فقد هجروها ولم يتعلموها ولذا
هم يستعينون في التعبير عن اغراضهم بلغة الغير^(١) نعم ان الذي جرّ الى ذلك ملكة
اللسان الافرنكي منهم اذ لا يخفى ما لملكات اللغة في اللسان من التأثير العظيم
وجلب الخلل على لغة الاصل ولكن لو كان لهؤلاء اغنياء بتعلم لغتهم ما فسدت
اللغة معهم او لو كثرت مطالعتهم لكتب الاجادة في اللغة بدلاً عن كتب الهزء
والسخرية لارتقت معهم. اما وهم على ما تعلم لا يقرأون الا كتب الهذيان والسفه
وجرائد اللغة الدارجة^(٢) فلا عذر لمعترض عليهم. تأمل ما اصبحوا عليه تراهم
يقصون عليك ذكر ما كتب في السفه والاقتراء والغزل والشجن. فضلاً عن
كثرة مخالطتهم للغريب في المهارشة والمداعبة التي افسدت عليهم صيتهم وسمعتهم
كما ضيعت عليهم لغتهم عدا عن ضياع الثقة منهم في الكتب والجرائد النافعة.
ومن الاسف ان اكثر من يحرر هذه الوريقات السافلة المسببة لضياع لغة الدين
لغة القرآن والحديث الشريف هم من المسلمين. او لا يعلمون انهم يهدمون في قبة
مجدد هم يعاولون من سنتهم وأيديهم. واكثر القراء في هذه الجرائد هم من المسلمين
واولادهم وهي تصدر في احيائهم وتباع في الاكثر بين ظهرانيهم ويأتي بها الاب

(١) حدثني صديق ان ابن احد الاغنياء استعار كتاب "تحرير المرأة" من آخر ولما
قرأه ولم يدرك له معنى قال لا شك ان قاسم بك امين مؤلف هذا الكتاب قصده سيئ
وغرضه التضليل بلغتنا والدليل اني كنت اقرأ كتابه ولم افهم له معنى

(٢) ظهر من تقرير البوستة سنة ١٩٠٠ ان من هذه الجرائد ١٧ جريدة كلها تنشر
باللغة الدارجة ولو لم تكن غير جريدة تطبع كل اسبوع ما يقرب من الاربعة آلاف

ويستدعي لديه الابن ويرجوه ان يقرأها على مسامعه حتى اذا تم الابن قراءته
 يدحها للابن قائلاً "لله در منشئها فانه يقول الصدق والحق في قالب تفهمه
 الخاصة والعامة" ولا يبعد عليه القسم لو اراد تفضيلها . اما الجرائد العربية الفصيحة
 فلا يقرأونها الا اذا كان لهم فيها امر يهم من اعلان او مسألة خصوصية . وقد
 سرى تغلب الافرنج بين اولاد الاغنياء في الاحكام والمتاجرة والصنائع والحرف
 حتى ان شدة اخلاطهم بهم افسدت عليهم لغتهم وكادت تذهبها من بينهم قطعياً
 فاذا كنا لا نزرع في قلوب ابنائنا في صغرهم محبة الوطن واللغة ولا نرضعهم
 لبان الشهامة وحب التقدم فمن اين لنا ان نسابق الفرنجة في اعمالهم او نصارعهم
 في صناعاتهم او نجاريهم في مخترعاتهم . ونكون قدوة لغيرنا كل هذا يجب على
 الاباء الانتباه اليه والعمل به . والا اصبحنا يوماً ما ونحن بلا دين ولا لغة وهذه
 شر الميمات الادبية فلنتناصر اذاً على منع كل ما من شأنه جر الويل والضرر علينا
 وعلى اوطاننا قبل ان نتمكن يد الضلالة منا فنندم حين لا ينفع الندم ويصبح
 المقتدي بنا أطف منا في فقد اللغة مكيالاً . وأخف في حفظ كيانها مثقالاً والله
 على كل شيء رقيب

دين اولاد الاغنياء

انه وان كان يظهر أثر الدين جيداً على وجوه اهل البادية او المتدينين
 المتقشفين من الحضرة المتجافين من الملاذ وفي معاملتهم غنيهم وفقيرهم بالنسبة
 لتسكهم بالدين وجريهم على سننه واوامره الا انه يكون اكثر واجمل ظهوراً لو
 وجد في اهل المدن وخصوصاً الاغنياء منهم الذين هم في رغبة من العيش وبسطة

من الرزق . لانه بظهوره على وجوههم تكون مملوءة بالبشر وفي احوالهم تكون انفسهم
بجمالة انبساط وارتياح . ومن هاتين الحالتين المصاحبتين يكتسي المرء ذلك الاثر
ثوب كمال وجلال هو عز الدين ولطفه وكماله واقتداره فله اولئك الاغنياء الذين
يظهرون بهذه الصورة ولكن اين هم

اني لألفت عيني حين افتحها على كثير ولكن لا ارى احدا

نعم لا نرى غنيا وعليه اثر من هذا الاثر فان الاغنياء بعد ان طرح من
جملتهم اولئك الذين لا يبالون بدنيا او آخرة بحياة طيبة مستقيمة او رديئة وخيمة
فان الباقيين منهم دينهم المال يأترون باوامره وينتهون بنواهيهم . واني وان كنت
التمس لهم عذراً وذلك من وجه ان المدينة الحاضرة الملقاة بذورها بينهم تثبت مثل

هذه العواطف الا اني ارجع عليهم باشد اللوم من جهة قبولهم منها ما يجرح الدين
في جوهريات قواعده مثل اكلهم المال سحتاً واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم
اموال الناس بالباطل . او كنت ارحمهم لتفشي الجهل بينهم فاني اثني عليهم
بالتأنيب لانهم لا يعملون على ازالته بل قد يهدون له طرق التوطن بينهم بمثل
الابتعاد عن مواقف التعاون والتخلف عن مواطن التعليم والتنوير . واليخل في
الاتحاد على انشاء المدارس الاهلية التي تربي ابناءهم التربية القومية الدينية
الصحيحة حتى جر عليهم الجهل بكل هذه الولايات خراباً في دينهم ومواتاً في
قلوبهم واتساعاً في ذمهم فاصبحوا والقسم الكاذب عندهم من ابسط الامور . مع
ان حال الاسلام قديماً ينبئنا انه لم يكن ليقدم انسان على حلف يمين وان اقدم
جعلته تحت شرط عملاً بقول المرشد الاعظم صلى الله عليه وسلم - من كان
حالفاً فليقل ان شاء الله فانه يدفع الحنث ويذهب الحنث وينجز الحاجة - اما
الآن فالمشاهد بين اغلب اغنيائنا المسلمين قلة الدين وكثرة الحلف لاقل مناسبة .

وقد يملفون على الله الكذب وهم يعلمون ولو كانت اليمين الكاذبة أقبح من اليمين الفاجرة . اولو كان مع الكذب الاستهانة باليمين اذا كانت حقة فكيف بالباطلة ولو كانت الاعراض الدنيوية اوخم امراً وأخس قدراً من ان يفزع فيها الى يمين الله كل ذلك اصبح مشهوراً عن اغنيائنا الحاضرين واولادهم " الا البعض منهم " حتى ان المرء لتأخذهُ هزة عند فكره فيما اذا كان هوئلاً ككفاراً او مسلمين . فان الدين يعلمهم بقوله - (ولا تجعلوا الله عرضة لايمنكم) - الآية - ولكن انى لهم معرفة ذلك وهم غير متعلمين - الدين يعلمهم - ولا تشتروا باياتي ثمناً قليلاً - ولكن انى لهم المعرفة وهم يستنكفون عن المخالطة باهل الدين . لو كان في هوئلاً دين صحيح لرغبوا عن الحق الممقوت لاقبل سبب اذ الدين هو الذي يأمر بمكارم الاخلاق ويعلمهم بقوله - (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) - ولكن انى لهم ذلك وقل منهم من يكون طيب الخلق هادىء الطبع كما اشتهر ذلك عن اجدادهم

لقد كانت عوائد آباءهم واجدادهم التأهيل والاحنفاء بشيخ القرآن المرتب للقراءة في البيت صباحاً وقد كان هوئلاً قاعات مخصوصة يقرأون فيها جالسين اما الآن فاصبحنا نرى بعضهم " الا القليل منهم " يترك الفقهاء يقرأون بجانب غرفة البواب او في غرف الخدم كأن هوئلاً الخدم مسلمين وصاحب الدار ليس بمسلم . اما الحقيقة فهي انهم لا يودون انزعاج خاطرهم على زعمهم بكلام الله تعالى في رقدة الصبح التي هي لديهم بعد طول السهر اشهى شيء في الوجود . ولكن لا تظن ان نومهم استماع وانصات عملاً بالآية - واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون - بل هو سهو مستطيل هذه عاداتهم يجرون عليها الآن ولم تكن فيهم من قبل وهي تسوؤنا ان نذكرها ولكنها الحاضر المشاهد فكيف لا نذكره ونشره واذا

استقرينا هذا الحاضر نقيس عليه المستقبل المخيف بشروره وكثرة محارمه . ولقد افراط الاغنياء واولادهم الآن في شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ولا يذكرها احدهم الا في وقت الموت اوربما نسيها وغفل عنها في حياته وعند مماته وهي اولى الفرائض الاسلامية فهل من مذكر

تهاون الاغنياء واولادهم بالصلاة فلم يؤدوها حقها وان ادوها فلا يؤدونها باركانها وضعها الكبير منهم والصغير "الا القليل" وهي المفروضة على المؤمنين كتاباً موقوتاً وثانية الاركان المبني عليها الاسلام

تهاون الاغنياء واولادهم في اداء الزكاة الى الفقراء والمساكين وتناسوا الآية والاصناف الثمانية المذكورة فيها - انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل - وعملوا بصد قوله تعالى - خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها - واصبحوا وهم ممن نص عنهم الكتاب الشريف بقوله - والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم - وتركوا الصوم وجاهروا بالانطراب في شهره واطاعوا انفسهم وافرطوا في الوقوع في نواهيهِ حتى اصبحنا نرى بعضهم يحث البعض الاخر بقوله "ان هذا الصوم ليس من شروط التمدن الحاضر ولا نفع منه" وفاتهم معرفة الصوم وفوائده للدين والصحة

تركوا الحج للبيت الحرام واتبعوا الحج كل سنة لبلاد هي مرتع الفساد تركوه ولم يفكروا فيه ظناً منهم انه لا يليق بهم ادائه ما داموا لا يفقهون له معنى ولا مبنى . هذا ما نبذه الاغنياء واولادهم ظهرياً من اساسات الدين الخمسة . ثم لا يخفى عليك ما كان عليه ابائهم واجدادهم من اتباع الكتاب والسنة والاحسان الى الفقراء والمساكين خصوصاً في ايام العيدين وباقي المواسم . تركوا كل ذلك

حتى فيما بينهم ولا يأتون بشيء من هذا لا خلقاً ولا تخلقاً لا رياءً ولا سمعة . لا رهبة ولا رغبة واصبحوا في ركوب متن الشرور سواء . حتى اصبح العاقل وهو يخاف عليهم ان يصيبهم ما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث له " لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساوا هلكوا " اُبعد ذلك اعراض منهم وانكار وانت لو سألت احدهم عن الاسلام اعرض ونأى بجانبه وربما انكر الاسلام علانية فتأمل وقل سبحانك اللهم تضل من تشاء وتهدى من تشاء

المحبة الاخوية

"سنشد عضدك باخيك" قرآن شريف

تتولد المحبة الاخوية بين الاخوة لما بينهم من صلة الرحم وامتزاج الدم ولحمة القرابة ولانهم يربون في بيت واحد ويدرجون تحت ظل اب واحد يرون منه انعطافاً عليهم وحناناً فتألف قلوبهم بالطبع على تبادل الحب وتنزرع في قلوبهم المحبة الاخوية . فاذا كان الابوان متهذبين يعلمان كيف تربي الاولاد نمت دون ريب بذور المحبة بينهم واينع غرس التربية الحسنة في قلوبهم ومن شب على شيء شاب عليه . كما يقولون في الامثال . والغلام يربو على اخلاق مرشده بلا خلاف . حتى اذا شب ثبتت فيه تلك الاخلاق ولم يستطع تغييرها العمر او نكبات الزمان مهما تكاثرت وتوالت . واذا اتفقت اهواؤهم على عمل ما كان من ورائه النفع لهم واستحكمت تلك المحبة بينهم فاتمرت منهم الاعمال الجليلة واشتهرت عنهم الامور العظام . واذا اخلفت منهم المشارب والآراء كان منه تعرقل المساعي واستحكام الشقاق وخراب تلك الهيئة التي يتألف من جملتها النظام الاجتماعي . فاذا عرفنا

عنها ما ذكر وبجثنا عن وجودها بين اخوة اغنيائنا فلا ريب اننا لا نجدها بينهم بل نجد بدلها النفور سائداً والحصام مستحكماً والقطيعة والتدابير وقلة الانصاف ذلك لما رُبوا عليه كما مرَّ بك في فصل تربية الاولاد حتى صحَّ فيهم قول القائل ولم تنزل قلة الانصاف قاطعة بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم -
والألو كانت الحبة موجودة لتهداوا وتحابوا بدلاً من ذياك النفور والحفاء المشاهد بينهم الآن اذ التهادي والتحابب يضاعفان الود . ويذهبان بغوائل الصد وعوامل الحقد ويمحقان البغض من القلوب . ثم ان الذنب في عدم وجودها بين اولاد الاغنياء راجع الى الآباء والامهات اذ هم ايضاً لا يعرفونها ولم يتلقوها منذ صغرهم بل كل منهم تراه يريد استبدال طبعه وخلقه والتطبع بضده لغاية دفينه في النفس الامارة بالسوء الا من رحم ربي . حتى انه ليتعسر على الناقد البصير التمييز بين اخلاق وطباع الاغنياء . ما داموا يأنفون العودة الى اخلاق اهليهم وعوائدهم الاصلية . لما استحكم فيهم من بواعث الكذب والغش فتراهم جريئين على النفاق والمكر والخديعة كأن طيب نسبهم وذكاء منبتهم لم يغنينا عنهم شيئاً وقد مرَّ بنا في باب المعيشة الزوجية انهم قائمون على الشقاق والانفصال عن زوجاتهم واستباحة كل محرم كأن لم يكن الدين شيئاً مذكوراً وكان الآداب لم تكن الا لتزيدهم جرأة على اتيان الموبقات وارتكاب المحظورات المنهي عنها في كل شرع وعرف فلذلك اذا ولد لهم اولاد لم يقوموا منهم عوج الاخلاق دائبين وراء تهذيبهم بل تراهم احوج اليه من اولادهم . وعلة ذلك الشقاق والانقسام وفقدان الحبة الكافلة بقوامهم وتقدمهم طمعاً في ميراث زهيد او ربح تافه او اثره لا معنى لها وكل ذلك لا يزيدهم ان حازوا عليه ولا ينقصهم اذا لم يستحصلوا عليه والسبب في كل هذه الامور المجلبة للتكد في المعيشة والباعثة على

ما لا يحمد بين امثال هؤلاء الافراد هو عدم المحبة وتبادل المنافع بلا طمع ولا زيادة ولذلك كان الانقسام بين اولادهم طبيعياً فينشأون ولسان الاخ يقول لآخيه هذا فراق بيني وبينك . والدلائل للقارىء كثيرة يكفيه النظرة في اخوة احد الاغنياء او ذلك البرنس المسجون وما فعله معه اخوه واخته في اول محنته التي حكم عليه بها جهله وطيشه فان الاثنين تزوجا اول شهر قضاء اخوهم في السجن معذباً . كأن اواصر القرابة والمحبة الاخوية قد افقدها مصاب ذلك الاخ الذي سجن ضحية جهله وهو لوربي على ما يخلق بامثاله من الامراء لكانت التربية حرزاً حريزاً له عن اتيانه مثل ذلك الذنب واحتمل ذلك الجزء والحلاصة اننا لو دققنا البحث ما وجدنا اثر المحبة بين الاخوة الاغنياء وليس ثم شيء يمكن التعبير عنه بالمحبة الاخوية بينهم فليتدبر المنصفون

عوائد اولاد الاغنياء المستحدثة

لقد تطرقت الى عوائد الاغنياء منا وخصوصا الشباب منهم عوائد قبيحة جلها او كلها مأخوذ عن عادات الاوربيين غير المستحسنة والتي لم يكن الاسلام يسمح بها بمبادئه القومية . اما الآن ولا زاجر للنفوس من دين ولا ادب فتري عادات "المساخر" في اعياد المرافع للافرنج قد انتشرت بين الشباب الاغنياء منا . وياليتهم جاروهم في اعمالهم النافعة بدلاً من هذه الامور التافهة واليك ما شهدته في اعياد المرافع الماضية . بينما كنت ذات ليلة من ايام المرافع جالساً مع صديق لي في احدى المنتديات العمومية واذا بثلاثة اشخاص احدهما في زي امرأة والاخر في زي خادم هرم والثالث في زي الرجال ولكن

صورة وجهه بدلاً من ان تكون صورة آدمي هي صورة كلب يعرف عند الافرنج - بيول دوج - هجمت علي الاولي فغضرتني بكر باج ييدها والثاني اخذ كأس الماء من امامي ورش ماءها علي والثالث ضحك واستغرق في ضحكه كثيراً علي ما حصل . فظننتهم سكارى فحفت ما بي من الغيظ وكنت ما لحقني من الأذى ظناً مني انهم ربما يكونوا من الاروام والاروام السافلون منهم مشهورون بكل قبيح وبقية فاعتم ان ناداني احدهم بامي وبين لي محل خدامتي فعرفت انهم يعرفوني وانهم ربما كانوا من مستخدمي مصلحتي الافرنج . ثم بعد قليل دخلوا المنتدى ونادوا صاحبه وامروه بان يحضرنني اليهم فحضرت قاصداً الوقوف علي حقيقتهم فاذا احدهم نجح لفاضل والثاني نجح لآخر من الذوات . اما الثالث فهو رجل صاحب جريدة عربية اسلامية ظهر شهراً وموت دهوراً وعادته يتزيى بري الطيلسان والعمامة ولكن شهدت فعالة بفقدان كماله وعدم استقامة خاله

تلك بدعة غير بدعة او عادة مستحدثة ظهرت في الاسلام بفضل اولاد الاغنياء وقد رأيتها مرأى العين من هؤلاء فاذا لم يتدارك امرها شملت الامة باسرها واذا سرت ومرت عليها السنون فمن يدري حينئذ انها ليست من عوائد الاسلام واخلاقه وقد بلغني ان بعضهم سأل الشيخ الذي تزيى مع هؤلاء في اليوم الثاني من عمله هذا . فقال ان هذا العمل غير مكروه في الاسلام وكان يعملهُ عمر ابن الخطاب عند تجسسه لحالات المسلمين في خلافته . فيا للعار والفضيحة ويا للافتراء والبهتان علينا من انفسنا . فتأمل حاضرنا وانظر كيف يكون المستقبل ومن عوائدهم القبيحة المستحدثة ايضاً انه اذا ولد لاحد من مولود سموه باسماء الافرنج او باسماء أخرى لا تفهم إلا بعد التفكير الكثير فقد وقفت علي ان بعضهم ولد له ولد يوم فتح ام درمان فدعاه "كتشنر احمد" كما اني اعرف غنياً آخر

متفرنجاً للغاية ولدت له ابنة فسماها "فكتور يا محمد" بدلاً من اسم فاطمة او عائشة او خديجة . وعلمت ان آخر ولده ولدان سمي احدهما "رداميس" والثاني "رمسيس" وبالاجمال قد خالفوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم - ان من حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه وادبه - تلك امور تربك الفكر وتوجب الحيرة والدهشة . تلك دلالة صريحة على عظم تمسكهم باصطلاحات الافرنج - كأن الاسماء المألوفة من عرفهم والمعروفة فيما بينهم ليست أهلاً ولا تليق بان يسموا بها اولادهم او بناتهم لئلا يتشبهوا بالفلاحين الفقراء فيالله من سقوط الامة في التاخر بعد تلك المحافظة على العوائد والتقاليد والتمسك بالمبادئ المليئة التي اكسبت الاسلام العظمة والصلوة . ومن عوائدهم المستحدثة ايضاً - ضرب الارض او الناس من العامة او خدامهم بالرجل حال الغضب وهذه العادة لم تكن تعرف عنهم قبلاً بل كانت معروفة عن بهائمهم فاخذوها عنها لولعهم الآن بها بدلاً من اخذهم عن اديب مرشد او نصوح عاقل

يحكى ان ابا حنيفة مرَّ ببعض الطرقات فاصاب بقدمه صبيّاً فقال يا ابا حنيفة اما تحشى القصاص يوم القيامة فوقع مغشياً عليه وقال رضي الله عنه يؤدي الظلم الى سوء الخاتمة . والعياذ بالله ان يصيبهم ما قاله ابو حنيفة

ومن العادات التي احضروها معهم من اوربا ويستعملونها الآن هي انهم ان شاؤا السلام على بعض سلموا برفع الكوع حتى يتساوى برأس المسلم عليه وسبب هذه التحية^(١) ان اميرة وبلس الحالية "من بلاد الانكليز" اصيبت منذ بقصع سنوات بدمل في ابطها الايمن فلم تستطع ضم ذراعها الى جنبها ولهذا التزمت ان ترفع يدها في السلام كي لا تحتك الذراع بالابط . هذا هو السبب في السلام

(١) انظر مقتطف شهر اكتوبر سنة ١٨٩٩

برفع الكوع ولا ندري كيف نطلب المذر لشباننا الاغنياء في مثل ذلك التقليد
الاعمى . ولكن نقول ان هذه التقاليد هي ناشئة عن تقليد الغير البعيد عنا ديناً
وعادة والآمتي كان شباننا مصابين بدمامل تحت ابطهم حتى انهم صاروا يقلدون
النساء بدل الرجال ولا عجب بعد ذلك لو صدقت علينا جملة الفيلسوف العربي
الحكيم . من ان المغلوب يتبع الغالب في زيهِ ولباسهِ وعوائدهِ واخلاقهِ لاعنقادهِ
في نفس الغالب تمام الكمال الذي لولاه لما غلبه واستولى عليه

اوهام الاغنياء

للاغنياء اوهام وسخافة فكر لا يقدر القلم على وصف بعضها . ومنشأ كل
ذلك قلة المأمم بالعلم وجهلهم للحقائق . حتى انهم اذا اختلج حاجبا احدهم واشتكي
ذلك لاحد اصحابه يقول له ان اخنلاج الحاجبين يدل على اصابة خير كثير
على رأي بعضهم وعلى شرف عال عند البعض الآخر فيصادف هذا الكلام اذناً
صاغية وشكراً يذكر . وفات هؤلاء ان اخنلاج الاعضاء بحركة الجسم يتأتى من
تغير الدم . وبعضهم يتوهم شراً لو رأى جنازة في طريقه او رأى شخصاً احوال في
صباحه ويتحاشى البعض منهم السفر في بعض الايام زعماً منهم انه مكروه فيها . كما
انهم لا يأكلون السمك واللبن او لا يأكلون الالبان في يوم الاربعاء قط ولو
اعترض عليهم معترض لقالوا ان آباءنا بهذا يأمر

بل رأيناهم يتطيرون لاقبل حادث من مثل هذا حتى ولو نحلت أكفهم
فانهم يتعشمون انهم في يومهم سيقبضون . والفضل في تلقيح الابناء هذا التشاؤم
والتفاؤل راجع للآباء فان من الاغنياء في هذا القطر قسماً كبيراً يقضون جل

العمر وراء تحويل النحاس الى ذهب . ولهم ولع كبير في البحث عن كتب الكيمياء وغيرها لأمل كاذب في نفوسهم على نيل ما ربههم حتى ان بعضهم ليضيع ماله وعمره ولكن لا يضيع امله في صحة معتقده في تحويل النحاس الى الذهب والسبب في ذلك غشاوة الجهل والغرور المنتشرة على ابصارهم وبصيرتهم ولو انقلب فكرهم هذا الى عمل نافع مثل تحويل الجهالة المظلمة من بين الامة الى النور والعلم لم نصل الى ما نحن عليه من التأخر عن الطوائف الاخرى في التعليم . والظاهر ان هذا الداء متأصل في الاغنياء ولا يزال باقياً ما زالت الجهالة والغشاوة على اعينهم لا تمكنهم من رؤية النافع لهم

وهذه الصناعة اي صناعة تحويل النحاس الى ذهب جاءت للمصريين واغنيائهم من المغاربة الذين وفدوا ويفدون في كل وقت لبث خزعبلاتهم بين المصريين وسلب اموالهم وابتزاز ثروتهم

ويكفيك ايها القارئ ان نتأمل قليلاً فترى من اغنيائنا قوماً اخنى عليهم الدهر بكلكله فاصبحوا فقراء بعد ان كانوا سراة اغنياء والمغربي الدجال يأتي مصر فيدخل دار المسلم المتمول زائراً وبعد مدة قليلة يقص على مسامع من في بيته ما اتاه زيد وعمرو اللذان بفضل صناعته قد اصبحا من اعظم الموسرين ثم يريه مقادير طائلة من المال فيغتر صاحب المال ويندهش ويتمنى ان يعطى له ما اعطى لغيره . ثم يتفقون على الشروط اللازمة وابتدئ المغربي في اتمام الحيلة الى ان تبدد اموال الغني الذي كد في جمعها وجد او ورثها من ابائه واجداده ومن افقرهم هذا العمل جماعة كثيرة يعلمهم المطلعون ويدركهم الاذكياء . وهذا العمل اغلب ما يعمله المتقدمون سنناً

ولكن الشبان منهم الآن قد رزئوا ياشغال البورصة التي من فعلها تحويل الغنى

والسعادة مرة واحدة وفي اقرب وقت الى فقر مدقع واحتياج عظيم - ولا غرو
 فالاول شغل المغاربة والثاني شغل ابناء العرب وبين هذا وذاك اتصال وثقارب -
 واسبابه ايضاً الوهم المتسلط على افكارهم من ان نصيحة السمسار تغنيهم في نهار واحد .
 حتى خربت اخيراً بيوت عظيمة سيأتي معنا بعض الاشارة اليها في باب (التبذير)
 اما النساء فامورهن في الوهم مضحكة مبكية دالة دلالة صريحة على انهن دون
 الحيوانات فهماً وادراكاً . فلا تزال الكثيرات منهن يعتقدن في المرض المعروف
 عند الاطباء بمرض الاعصاب وعند العوام بالارياح المتسببة من مس الشياطين
 وان لادواء له غير (تبييت) الاثر وعمل الزار الذي عم ضرره وانتشرت مفسده حتى
 ولو لحقتهن الخمة من الراحة لظنن انه من تحرك يد الشيطان في اجسامهن واين
 لهن المعرفة بان ذلك ناتج من سوء الهضم وتلبك المعدة من كثرة الطعام
 يضعن حاجاتهن في منازلهن لعدم الترتيب ثم يترمن الخدم ويسألن فلا
 يهتدين لمعرفة ما فقدنه فيذهبن الى دكاكين المدعين معرفة الغيب وعواقب
 الامور فيعرضن حالتهم وينقدنهم كمية من المال فيكشفه الخادع المنافق كذباً بخط
 على الرمل ويسمونه المنجم وطرق بالحصى ويسمونه الحاسب ونظر في المياه ويسمونه المندل
 ويا للاسف ان هذه المنكرات فاشية اكثر ما تكون في الامصار والقرى بمعرفة
 المسلمين والمروج لها بالاكثر هم المسلمون فيا سبحان الله اين من يعلم ما تقرره الشريعة
 من ذم ذلك وان البشر محجبون عن الغيب الا من اطع الله على شيء من عنده
 واليك شيء حصل لي عند ما كنت دون سن الحلم في مكتب لوالدة
 جنتم كان المرحوم محمد علي باشا الصغير . دعاني يوماً استاذ القرآن ودعا آخرين من
 امثالي سنّاً حتى بلغنا العشرة عدداً فاخذنا ذاهباً بنا الى قنطرة الدكة (١) ولما دخلنا

(١) حارة في قسم الازبكية بمصر

بأب السراي واستأذنوا لنا في الدخول جميعاً فدخلنا بهواً ذا نمارق مصفوفة واستار
حريرية مدلاتٍ دونهُ قول بن عباد

وهو تباهى الارض منه سماءها باوسع منها آخرًا واوائلًا

وبعد ان جلسنا جيء بشيخ يبلغ سنهُ سبعين سنةً فاحضر اليه مجمرَةً
بها فحم متقد وسله بها بخور من جميع الاصناف . ولما جلس قرأ فاتحة الكتاب كما
قرأها الحضور من نساء وجوار واخذ يضع البخور على النار فشمنا رائحة مقبضة
لنفس مدمعة للعين . وحيء بواحد منا بعد واحد وبعد ان يعصب له جبهته بمنديل
ابيض يأمره الشيخ بالنظر الى طبق به نقطة من حبر واخرى من زيت ولا يزال
يتقدم واحد منا بعد آخر حتى جاء دوري فتقدمتُ ولما نظرت قليلاً أغمى عليَّ
وأغشى علي بصري ودهشت كثيراً فكنت ارى نفسي كمن هو في حلم
او كمن هو ممتليءٌ من بنت الحان . فكنت اهذي بكلامٍ لا افقههُ واقول عن
شيءٍ نظرتهُ والحال اني ما نظرتهُ . ولما انتهى ما يريدون كوفت من دولة البرنيسيس
بقليل من المال وخرجنا بعد ان اطمأن بال الجميع على مريضهم "رحمة الله"
ومكثت بعدها اربعة ايامٍ لا اتحقق شيئاً بنظري تماماً

هذه حكاية جرت معي من فضل مروجي المنكر والاوهام المدعين معرفة
الغيب ومعرفة الاسرار . ولا يعلم غيب ربك الا هو . أليس بعد ذلك نقول
القال والرجز والكهات كلهم مضللون ودون الغيب افعال
ولكن لا يدري هؤلاء ذلك وقد تكذب الواحدة على الاخرى وقد تحلف
اغلظ الايمان واوثق الاقسام ان كل ذلك مفيد وقد وجدت بفضلهِ ما افتقدته
وعثرت على ما ضيعته اوشفي ما كان بها من المرض . وكل ذلك تغرير وافساد لغيرها
حتى تقع فيما وقعت فيه . وهؤلاء مروجو الاوهام والسخافة كثيرون منتشرون في

الطرق والدكاكين . واكثر ما يوجدون في الدرب الاحمر وشارع الساحل بقرب
الدائرة السنية وفي جهة باب الشعريّة والجمالية وبولاق . اي انهم منتشرون في كل
ناحية اكثر من انتشار المدارس التي تحيي الحق وتبطل الوهم وتربي عقل الانسان .
وكل هؤلاء قد نسوا قول الرسول الكريم " لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء "
أفبعد ذلك عبرة واستدلال باننا على غير ما كنا عليه والله يزيد في الخلق ما يشاء
وهو اله السموات والارض

كرم الاغنياء الماضي وبخلهم الحاضر

يجدر بنا قبل ذكر بخل اغنيائنا ان نذكر طرفاً مما كان عليه السلف منهم
حتى نقيس عليه الحاضر وتأمله فنقول

ان من راجع كرم السالفين من اغنيائنا يقف حائراً مبهوتاً من جراء كرمهم
للاعمال الخيرية فقد جاء في كتب الاخبار والسير عن كرمهم شيء كثير مثل
انشاء المستشفيات والملاجئ الخيرية وبناء الاسبلة وتعمير دور العجزة والعميان
والمستضعفين من بني الانسان . ولم يقتصر الحال فقط على ما ذكر بل قد وصل
كرمهم الى الحيوانات العجم ايضاً ولكي يطالع القارئ على بعض هذا الكرم ويعلم
به حقيقة العلم نأتي هنا على ذكر خلاصة بعضه

جاء في خطط المرحوم علي باشا مبارك ان اول خانقاه (تكية) بديار مصر
أنشئت في زمن صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٦٥٩ هجرية برسم الفقراء
الواردين من البلاد الشاسعة

ولما انتقضت دولة الايوبيين حذا حذوهم السلاطين الجراكسة وبعض الامراء .

واول من بنى المارستان في مصر احمد بن طولون وكان رحمه الله يركب بنفسه كل
 يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها من الاطباء . وينظر الى المرضى وسائر
 ارباب العاهات والمحبوسين من المجانين
 ولما كانت الدولة الاخشيدية في مصر بنى كافور الاخشيدى مارستاناً . ولما
 استولى الفاطميون بنوا في القاهرة مارستاناً ايضاً
 وفي زمن صلاح الدين يوسف بن ايوب امر بفتح مارستان للرضى والضعفاء
 واستخدم له اطباء وجراحين وعمالاً وخداماً وامر بفتح المارستان القديم
 وفي زمن السلاطين الجراكسة بنى المارستان المنصوري واقف عليه من
 الاملاك في مصر وغيرها ما يقارب ريعه في كل سنة الف الف درهم . وهذا القدر
 يعادل الآن اربعة وعشرين الف بنتو ذهباً . وجعله وقفاً على كافة طبقات الناس
 ورتب فيه العقاقير والاطباء وقرر لهم ما يلزم من الفرش ونصب الاسرة وافرد لكل
 طائفة من المرضى موضعاً فجعل مواضع للرضى بالحميات ونحوها . وافرد قاعة
 للرمم . وقاعة للجرحى . وقاعة لمن به اسهال . واخرى للبرودين . وافرد للنساء
 قسماً مخصوصاً . وجعل الماء يجري في جميع هذه الاماكن . وافرد مكاناً لطبخ الاطعمة
 والادوية والاشربة وغير ذلك
 الا انه في زمن الفرنسيين تحرب المارستان المنصوري وتغيرت معالمه .
 وكان الموجود به من المرضى ستين مريضاً
 وفي خطط الفرنسية ان عبد الرحمن كتحدا انشأ استبالية للنساء وكانت
 تحت الربع وكان بها حين ذلك ستة وعشرين من المرضى
 وكان يطلق عليها اسم تكية ” وهي الآن تكية الجلشانية الموجودة للآن
 والتي يأوي اليها السليم الكسول بدل المريض والمكسور

واما الرباطات فكانت من المحلات الخيرية ايضاً وبعضها كان لاقامة الصوفية وبعضها كان للنساء المنقطعات او المهجورات او المطلقات او العجايز الارامل العابدات وكان لها الجرايات والمقامات المشهورة من مجالس الوعظ . وقد انقطع ذلك كله الآن

واما الاسبلة فقد جاء عنها ايضاً في الخطط انها كانت كثيرة العدد وكان السبيل يتألف من ثلاث طبقات الاولى تحت الارض وهي الصهريج والثانية في مستوى الارض او فوقه بقايل وفيه المزملة لتفريق الماء بكيزان من النحاس مربوطة بسلاسل

والثالثة مكتب لتعليم الاطفال . وكان المنشئون لها يعتنون ببنائها ويوقفون عليها الاوقاف الدارة بالريع الكثير . والاعلب الآن قد اندثر بسبب نسيان فعل الخير وبسبب الاهمال والترك الذي استولى علينا وفقد الاحساس والشعور بالمنفعة العامة اتى عليها مدار بقاء هذا النوع الانساني من جهة وحياته وسعادته من جهة اخرى واما دور العميان فكانت كثيرة . ولم يبق منها الآن سوى زاوية العميان في الازهر المعمور . وقد جاء في تاريخ الجبرتي انها من انشاء المرحوم عثمان كئندا القازدغلي تابع حسن جاويز القازدغلي والد عبد الرحمن كئندا القازدغلي صاحب العمائر الكثيرة والانشاءات الخيرية بناها في سنة ١١٤٠ هجرية

ولم يقتصر احسانهم على بني الانسان فقط بل شمل الحيوانات ايضاً . اذ كان لها احواض بالقاهرة (شبه احواض جمعية الرفق بالحيوان) لسقي الدواب وكانت العناية بها شديدة وكان اغلبها بقرب من الاسبلة وهي احواض من الحجر تسقى منها الدواب على اختلاف اجناسها . وكان لها اوقاف يصرف عليها من ريعها (ولكن لم يبق منها لنا الآن شي بل الذي تراه في باب الحديد وامام سراي

المحافظة انما اسسه جماعة الافرنج بيننا وهو مأخوذ منا كما مر عليك (ذلك فضلاً عن انشاء الحمامات للفقراء والمساكين والتي كان اغلبها موقوف على هذا الغرض غير المقابر والمدافن للفقراء والمساكين المنقطعين . هذا ما كان السلف الصالح من الاغنياء يتنافسون ويتفاخرون به ويتزاحمون عليه

اما الآن فقد فشا في الاغنياء من ضياع عمل الخير والنافع وتمكن منهم عمل سوء والضرار واشتهروا ببخلهم في عمل الخير وهذا لم يكن معروفاً في الاسلام قبلهم اذ تراهم يسخون في الاعمال المجلبة للتلف فلم فيها اكبر كرم واطول ساعد ممدود . كيف لا وقد يبذر الواحد منهم على الملاهي ما استطاع وعلى الملاهي يحرص ما وصل اليه جهده وفي الفجور لهم عمل مشهور . من ذلك ان احدهم كان اغني انسان يشار اليه بالبنان فلما قربت ايامه واشرف على توديع اهله وامواله قام لاحياء ذكره وبدلاً من انشاء مستشفى او ملجأ للعجزة والمعوزين شيد ناد مشهوراً وظن انه بعمله هذا قد اتى شريف الاعمال . واحسن للمحتاجين والمحتاجات . وهو لو انشأ مستشفى لدا الكلب لكان فضله اوفى واتم . افلا يعجب القارئ من هذه الامور المشينة وهل لا يستغرب اذا رأى جماعة الايطاليين في مصر وهم على ما تعلم من قلتهم اول من انشأ هذا المستشفى يعالجون فيها من مرضانا بهذا الداء العدد العديد

اولو كان لهؤلاء الاغنياء من محبة لامتهم ولببلادهم لما بخلوا بشيء فيه نفع للامة وكان الاخرى بهم عند ما يقلدون الافرنج في ازيائهم وعوائدهم ان يقلدوهم ايضاً في الاعمال الخيرية التي لا يبخل الواحد منهم ببذل النفيس لعملها لكانوا يميون ذكرهم بالاعمال الخيرية النافعة والقارى لا بد ان يعلم ماثر ذلك الرجل العظيم (افيروف) الذي لم ينس بلاده وما لها عليه من الحقوق والواجبات فوهبها المبالغ الاتية

جنيه

٢٠ الف لبناء مدرسة زراعية

١٠٠ " لانشاء طراد حربي يسمى باسمه

٢٠ " لترقية العلوم والمعارف والصنائع

١٠ " لمدرسة الفنون

٢٠ " للمتحف الاثري ببلاده

٣٠ " لاعمال نافعة ببلدته

هذا ما فعله ذلك الرجل لامته افلا يعتبر اغنياً لنا بعمله وفيهم من لا يزال
تقدر ثروته بمئات الالوف

ام لا يزالون مصرون على استخلاف اولادهم على اموالهم كي يستنزفها النزلاء
في البلاد ليحيوا بها موات بلادهم وتخرب بلادنا

او لا ينجل الاغنياء عند ما يذهبون الى ملجأ العجزة بشبرا التي فيه كل يوم يرون
الموائد ممدودة وعليها الاطعمة الشهية لمن في ذلك الملجأ من العاجزين والفقراء
والبائسين من كل الطوائف والملل. او لا ينجل امرئ منهم لو زار ذلك الملجأ ووجد
ابن ملته وجنسه هو الذي يطعم اكثر من غيره في هذا الملجأ. مع ان منشئه من
غير ملته. ام لا يدركون نقص مروءتهم لو رأوا نساء قناصل الدول الجزائلية
وعقيلات النزلاء واقفات حول اولئك العجزة يخدمهم بانفسهن ويناولنهم الطعام
بايديهن ولا يستنكفن

وهذه هي ضروب الصدقة التي كانت تجريها الامة قديماً. وهذه هي الصدقة
التي كانت تعطى من امثالهم لفقير عاجز لا سند له ولا قوة عنده
نسبنا ما كان لنا وتر كناه فاخذنا عنا الاجانب وفعلوه ونسبوه اليهم

تلك كانت مروءتنا التي كنا نساعد بها الكسيع الاعمي وننتشل بها المقعد في الارض والذي ليس له نصير ولا ناصر. ضيعناها فاخذها غيرنا وعقدوا النية على فعل الخير بها

اما اغنياؤنا فينفقون كما قدمنا نفقات طائلة على الملاهي والملذات وانواع الترف ويخلون اذا فتح باب لمساعدة الفقراء ويجهدون جلب الوسائط اللازمة للتباعد عن سماع انين الفقراء. خوفاً من تأثير اذهانهم عند سماعهم كلامهم. حتى تزايدت حالة الفقراء سوءاً على سوء واشتد بهم الضنك ولا ندري اين الضمائر الحرة التي كانت فيهم قبلاً والرحمة التي عليها مدار العمران وهي منشأ الخير والاحسان. ومن علامات المسلمين التصديق على المرضى والبائسين. وما احلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن الصدقة انها "تطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار" لا جدال ان اغنياءنا ينحطون في ادراك الخير كل يوم عن يوم حتى تأخذهم السنة والنوم وشواهد الحال ظاهرة ودلائله واضحة باهرة فقل الله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الآباء الاغنياء في نظر الابناء

قلنا في فصل تربية الاولاد ان مضار تمييز الرجل بعض اولاده عن بعض مفسد لنظام العائلة موقع للعداوة والبغضاء بين الاسرة وبالاخص بين الاخوة. اذ يتولد من هذا التفضيل نفور تستحکم حلقاته ما دام الاخوان في قيد الحياة والسبب في ذلك انه لو غضب احدهم على ولده او ابنته واراد ان يتشفى منها يفضل احدهما على الآخر وهذه دون ريب جناية من الوالد ياؤها للتشفي والانتقام ولا

يدري عواقبها الوخيمة فتربو نفس المفضل على حب الخيلاء والكبرياء على اخوته
واخوانه فيته في دنيا الغرور والخسران

ثم يتطرق في نفسه الميل الى السيئات معرضاً عما سوى ذلك نابذاً اياه ظهيرياً
قال احد الفلاسفة " ان فطرة الولد مركبة من متضادات لا تفتقر عن اثارة معتك
بين نفسه وجسده وان احدى جهتيه لا تزال راجحة تارة ومرجوحة اخرى حتى
اذا تغلبت احدهما على الاخرى رسخ اما في الصلاح واما في الطلاح وانبت سائر
افعاله بعد ذلك على الركن الذي نشأ عليه وان غاية التربية ان تستظهر جهة
الصلاح حتى يكون لها الغلب على جهة الطلاح "

وذلك القول لا يدرك له الاغنياء منا معني ولذا تراهم عاملين على ضده في
ابعاد اولادهم عن التربية وتفضيل الصلاح على الطلاح . فكان نصيبهم غير ما تقدم
انهم اصبحوا وهم متأثرون من اولادهم متأفقون من سوء سلوكهم شاكون دواماً من
عدم احترامهم لشخصهم وهم الكبار حتى انك لتري عدداً منهم ليس بالقليل يميل في
حياته وقبل مماته الى ايقاف املاكه او تقسيمها امام عينيه على الورثة والمستحقين
خوفاً من ان اولاده يبددون ويبذرون ثروتهم فتخرب بيوتهم العامرة وفقاً لما شاهدوه
من اولاد اصحابهم الذين توفوا في زمنهم او شفقة منهم لئلا يموتوا والابن يقوم من
بعدهم معارضاً لزوجة ابيه قائلاً انها ليست بزوجة شرعية كما جرى كثيراً من اولاد
الاغنياء الذين ادعوا ذلك ووافقهم البعض من رجال النفاق شاهدين بذلك

والخلاصة انه يفقد التربية والتعليم اصبح الوالد الغني يخشى سطوة الولد حتى
انه يخافه اذا وقف امامه واراد نصحه واستلفات نظره لحالته . ولقد وصلت الحالة
مع البعض ان يكتب لابنه ما يريد ويجعل الواسطة الخدم في توصيل المكاتيب .
وهذا شيء جديد لازم اكثرهم وعن قريب يصبح شاملاً لكل وعالته خوف الوالد

شر الولد عند مواجهته فيهان على كبره ويسمع اقوالاً والفاظاً ما سمعها قط في صغره .
والآ لو كان الابناء عارفين فضل الآباء واقفين على نصوص الدين واوامره
كقوله تعالى (ولا تقل لها أف ولا تنهرها وقل لها قولاً كريماً) الآية . لكانوا في
سعادة حقيقية وحياة فضلى . عوضاً عن مقابلة الابن اباه ولسان حالها يقول
— يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين — ومما ثبت هذا القول وهو مما علق بخاطري
وابتته النظر في مطالعتي لجريدة مصباح الشرق الاغربي في احد اعدادها

من ان اولاد الاغنياء والامراء يتمنون الموت لآبائهم . حدث ان احدهم
استطال عمر ابيه وملّ الانتظار ليوم الفرج . فافترض من احد الصيارفة اربعة آلاف
جنيهاً ليقوم بسدادها له اضعافاً مضاعفة مما سيرته بعد وفاة ابيه . ثم اشترى من هذا
المبلغ عربة عالية من آخر طراز وداوم التنزه عليها في شوارع العاصمة وكان يذهب
بها ايضاً الى الاسكندرية كذلك . ولكن لسوء طالع لم يميت ابوه وكان المبلغ قد
نفد منه فاخذ الولد والصيرفي يعللان النفس بقرب الامل وحلول الاجل ليدفن
الابن اباه ويعاود تبديد ما سيرته منه . هذا هو حال الآباء الاغنياء مع الابناء
في هذه الايام

اما الامهات فهن مع اولادهن في تعاسة وشقاء هن امام اولادهن ضعيفات
الحيل والحيلة تراهن مردولات مخنقرات عرضة للسب واللعن كل يوم حتى انهن
كثيراً ما يضررن حديثي صديق عن ولد وامه قال :

كان الابن مرة في حاجة كبيرة الى المال فذهب الى امه ويده الفرد
المسدس يصوبه الى فمه مهدداً اياها بقوله ان لم تعطني على الفور مبلغ
لأصرف واتنزه به والآ فانا قاتلك وقاتل نفسي دون ريب
وما ذهب من لديها الآ وهو مستحصل على ما طلب . فضلاً عن اخذه حلاها

حلية بعد اخرى حتى اصبحت وهي لا تملك شيئاً . اللهم الأ صيغة الاستعاذة منه
والاستنجاد بالله من شره . هذا حال الآباء امام الابناء فليتدبر المؤمن او يقول
لك الحمد اما ما نحب فلا نرى ونبصر ما لا نشتي فلك الحمد

الاغنياء والموت

كل امرئ مصبح في اهله والموت ادنى من شرك نعله
قد حدد الله لنا الاعمار كما حدد لنا الارزاق . والدين بين ذلك في كتبه
اذ مها طال عمر امرئ فلا بد وان يموت ولو تحصن منه في امنع المعامل . والموت
لا بد ان يشربه كل منا . فيوماً يقصف هذا الغصن غصناً رطياً . ويوماً يودي
بذلك الكهل وهو في ارض العمر . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً .
والحزن على الميت فطري في النفس . خصوصاً لموت حديث السن . فانه مر المذاق
على الاحباب والاصحاب . ولكن الله قد علمنا بلسان رسوله الصادق الامين ان
لكل اجل كتاباً وان الروح لا بد وان تفارق الجسد مها طال الامد . واحرنا الله
في الكتاب ان نعمل صالحاً لنلقى في الدار الآخرة مثله ولنعيش مع السعداء
والصالحين . والعامل من عرف ان هذه الكوارث وتلك الحوادث لا ريب في انها
من قضائه جل وعلا والاولى بمن يصاب بالنوازل ان يصبر لها ويتوكل على الله وان
يستسلم لارادته سبحانه وتعالى . " ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده "
نعم يحيى المرء بين اهله واقربائه فلا يكون له تأثير ادبي بينهم (الا عند
القليل منهم وهم المدركون غاية حياته العلمون حقيقة وجدانه اما في الرجال
فالاب الاول والاخ الثاني وفي النساء فالزوجة الثالثة وتبعانها الام والاخت ومن

بقي من الاهل والقراية) فتأثير وجوده بينهم يكون بحسب القرب منهم اليه . والآن
فتأمل ذلك في نفسك — اذ الانسان احسن درس للانسان — تجد صحة ما نشير اليه
انظر يوم تأخرت عن وقت حضورك الى البيت تعلم انه قد تامل والدك
واخوك وكل منها يبحث عنك وزوجتك وامك حزينتان لبعدها فاذا كان ذلك
كما نقول فكم يكون مقدار تأثير غيابك الذي لا رجوع له حين لا ينفع فيك
الحزن ولا يغني عنك البكاء والنحيب حقاً ان التأثير والحزن يكونان شاملين الكل
بلا امتراء

ولكن للحزن مخرجاً يعرف بالصبر بلسمة العلم والمعرفة وقد كان هذا البلسم
معروفاً عندنا قديماً وشواهدة في صدر الاسلام كثيرة لا تقع تحت حصر ولا
ياخذها عد

وكفانا بذلك شاهداً موت الرسول صلى الله عليه وسلم فان الحزن عليه كان
غير ما نعرفه الآن من اللطم والنواح وشق الجيوب . وقد كان حق الامة حينئذ
ان تشعب الوجوه لطماً وتستنفد ما في الامايق من الدموع . لو كان في ذلك شيء من
الدين . والا فمن كرسول الله حتى لا تشق عليه الجيوب ولا تسيل لموته الدموع .
لو كان في ذلك شيء مما يوجب العلم والمعرفة او يرضى به الدين

ولنا بموت ابي بكر الصديق رضي الله عنه اعظم دليل وصدق برهان على
ذلك وما اصدق ما قالتها السيدة عائشة ابنته على قبره مما بين لنا تمسك المسلمات
وقتنذ بالصبر واليك قولها رضي الله عنها ^(١) ” نصر الله يا ابت وجهك وشكر لك
صالح سعيك . فلقد كنت للدنيا مذلاً بادبارك عنها وللآخرة معزاً باقبالك عليها
ولئن كان اعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك واكبر الاحداث

بعدهُ فقدك . ان كتاب الله عز وجل ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض منك
وانا منتجزة من الله موعدهُ فيك بالصبر عنك ومستعينة بكثرة الاستغفار لك فسلم
الله عليك توديع غير قابلة لحياتك ولا زارية على القضاء فيك " ثم ما قرأناه عن
مقتل عمر بن الخطاب فاتح البلدان ومشيد اركان الدين اذ لم يحصل شيء من مثل
ذلك على الاطلاق فضلاً عن ان ابنته كانت تحض على ما فيه راحة المسلمين
ويتلو ذلك مقتل عثمان ذي النورين وجامع القرآن الكريم والامام علي كرم الله
وجهه ناشر لواء الدين والذائد عن بيضة الاسلام بسيفه وشجاعته . ثم الخلفاء من
بني امية والعباس وغيرهم كلهم توفوا ولم يجر شيء من امثال ما نراه الان من اعمال
الاغنياء في المآتم والاحزان نعم لا ننكر ان الاب والاخ لا خنبارهما وواسع اطلاعها
ورجاحة عقلها يخففان عما ألم بهما من الاحزان بخلاف الزوجة والام والاخت
فانهن يكن على الغم والحزن قائمات ومحاسن فقيدهن معددات طول عمرهن والادلة
كثيرة تقوم على صحة دعوانا والسبب الاكبر في ذلك ان لم يكن لا خنلاطهن
بالنساء فلقلة فهمهن بحقيقة العلة الوجدانية . تراهن حينما يموت الميت لا يبتدئن
بالبكاء حتى تتوافد اليهن الجيران وبالاخص النساء من كل حدب وصوب ناشرات
الشعور خالعات رداء الصون صارخات بصوت منكر دونه صوت الحمير . ثم يأخذن
بالصراخ وتصعيد الزفرات والتظاهر بالندب وسوء المنقلب بما يفتت منه القلب
وينفطر منه الفؤاد

يعملن كل ذلك وهن لا يدركن معنى ما حل باهل الميت من الحيرة
والارتباك وان الاولى بهن التعزية بكلام يخفف شيئاً من احزانهم ويكفف دمة
من دموعهم . بل تأتي كل واحدة منهن ففجلس في ركن من اركان الدار هذه
تندب وهذه تنوح وتلك تفوه بالفاظ تعديد لم يبق منها الشيطان بعد طرده من

الجنة ما يندب به نفسه . وبينما الرجال يهتمون باحضار ما يلزم لتجهيز الميت ودفنه لا ترى للنساء اهتماماً بغير التهيؤ للخروج وراءه هُبيئةً يبرأ منها الدين والشرع والعقل يخرجن وهن حاسرات الرؤوس مشوهات الوجوه في حال لم يأمر بها الدين القويم . وبعد ان كانت هذه العوائد القبيحة متبعة في الجاهلية الاولى . مرعية الجانب عند المصريين^(١) اكتسبها الاسلام منهم ومن عاصرهم وجاورهم من باقي الامم فتمكنت في النفوس الجموحة التي استلبت عنانها من يد العلم والتهديب تمكن الرذائل واستحكامها في الصدور

ومما يأسف له المسلمون ويغبطون عليه نساء اغنياء القبط الآن هو ان الاقباط ابطلوا كل هذه العوائد المأخوذة عنهم ولم يطلها الاسلام حتى الآن . بل بسطن ايديهم في اجرة النادبات^(٢) ولا غرو اذا ظلوا متمسكين بها طول عمرهم وحاضرهم متأخر عن الاقباط وعن باقي الطوائف في التعليم والتربية وليس لنا طريقة لمقاومة هذه الآفة سوى طرق المنع دينياً ام مدنياً ونشر العلوم فيما بيننا

وما على اذكائنا وعلمائنا ونهائنا الا التحريض على تركها وقد كان فضيلة العلامة الشيخ محمد عبده قدوة لنا في ذلك عند وفاة والدته وكذلك ما فعله نابغنا الاسلام في هذا العصر الفاضلان سعد بك زغلول واحمد فتحي بك زغلول وغيرها من الاقتصار على تشييع الجنازة حسب السنة واقامة المآتم ثلاثة ايام فقط فان ما

(١) الندب وتشويه الوجه بالسواد وشق الجيوب من عوائد المصريين القدماء كان هذا الامر مشهوراً عنهم من عهد قديم تفننوا فيه من عهد الكهنة وغيرهم على طرق شتى وانصل منهم للرومان واليونان واخذ ذلك عنهم المسلمون عند فتحهم للاقطار المصرية
(٢) للنادبات اجرة عن كل يوم يتناولنها من اهل الميت "غير النقطة" حتى ان بعضهن احزن ثروة ليست بقليلة ومن الاسف ان اكثرهن واشهرهن مسلمات

نراه الآن عند موت طفل صغير وما يعمل له من كبير المآتم دليل على ضعفنا عن احتمال الحوادث التي يقضي بها علينا الله جل وعلا ومخالفتنا لسنته واحكامه ولقول الرسول في احدى تعازيه لمعاذ بن جبل في قوله " اما بعد فعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر . ثم ان انفسنا واهلينا وموالينا من مواهب الله السنية وعوارفه المستودعة نمتع بها الى اجل معدود ونقبض لوقت معلوم . ثم افترض علينا الشكر اذا اعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعوارفه المستودعة متمتع به في غبطة وسرور وقبضه منك باجر كثير الصلاة والرحمة والهدى ان صبرت واحتسبت فلا تجمعن عليك يا معاذ خصلتين ان يجبط جزعك صبرك فتندم على ما فاتك فلو قدمت على ثواب مصيبتك فقد اطعت ربك ونجرت موعوده عرفت ان المصيبة قد قصرت عنه واعلم ان الجزع لا يرد ميتاً ولا يدفع احزاناً فاحسن الجزاء وتجز الموعود وليذهب اسفك ما هو نازل به ^(١)

اولا يرضى المسلمون ان يؤدوا بعض ما يجب تالله لو لم تكن الا افعال المحازن والندب لكفى بها موجبة ان نعذب عن آخونا ونكب في النار على مناخرنا والله يحكم لا معقب لحكمه

سلوك الابناء بعد موت الآباء

ولينش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً (قرآن شريف)

اذا قبض الله اليه احد الاغنياء وترك اولاداً له . يرث الاولاد مال ابيهم وفقاً لما قررتة شريعتنا الغراء اي يعطى الولد ضعف ما يعطى للبنات والغاية منه كما

هو معلوم حفظ الثروة في العائلة بالعصية

وكل ذلك نافع مفيد لمن يتدبر غاية الشريعة السمحاء ولكني اقول آسفاً ان حاضر كل غاية شريفة قد انعكست فينا لسبب الجهل المستولي على النفوس لفقد العلم والتهديب الذي كنا نتلقاه على الخطة التي كنا سائرين عليها قبلاً حتى انا لا نغالي لو قلنا ان المتأمل البصير قد يتأكد لديه قرب انحلال فئة الاغنياء . اذ يرى الاخوة منهم لا يكادون ينتهون من مآثم والديهم الا وقد اخذ كل منهم في تبديد ما آل اليه من ثروة ابيه وعكف على مصاحبة كثير من المتملقين الذين هم اكبر الآفات المسببة لابتزاز الثروة وذهابها ادراج الرياح . مما لا يخلو شباب غني من جماعة منهم . فيلتفون حوله لسلب ماله بطرائق الغش والتمليق الكاذب . مثل جماعة الاجانب وبعض الوطنيين من المخطين في مهاوي الضعة والابتذال المنغمسين في حماة الرذائل والقبائح . وهؤلاء يتلقون اولاد الاغنياء بوجوه هاشة باشة حتى انه ليصدق فيهم القول

نقلب في الآفاق صلاً كأنما يقلب في فكيه شقة مبرد

يشيرون عليهم بما فيه ضياع مالهم وشرفهم . وانتهاك حرمة آدابهم ومبادئهم . ان كان لهم آداب ومبادئ . وان اراد القارئ ان يعلم حال الشبان الاغنياء فليرسل رائد بصيرته الى ما نقصه عليه وليعمل مطايا رويته وقوة فكره وادراكه فيه يعلم ما لم يكن يظن اليه وهو يراه كل يوم امام عينيه

قد كان الزائر او الضيف الذي يدخل بيوت الاغنياء ينشرح صدرًا ويقرب عينًا بما يراه من رب الدار من الانس والحفاوة والدعة ولين الجانب . فضلاً عما ينشأ في نفسه من حب الخير والفضيلة وعمل الاحسان . اذ كان القوم اسمي فضلاً واوفى كمالاً . ذوو اخلاق مرضية محمودة ومكارم الهمة موهوبة . قد تردى جمهورهم

بالآداب وبعدها عن الرذائل . شأن كل من اعترك مع الدهر وزادته التجارب علماً وخبرةً فسنت معرفتهُ باكتساب ما يحمد والابتعاد عما يذم . نعم لا تنكر ان كل هذا الفضل لم يكن منهم لمجرد انهم كانوا لا يميلون الى عمل ما نراه ونشاهدهُ الآن من النشأة الجديدة . فان التمدن الاوربي لم تكن حلقاته مستحكمة في ذلك الحين استحكامها في وقتنا الحاضر . ولكننا نرجع الى القول عنهم ان وسائل تربيتهم كانت اقوى منها الآن . وهذا هو السبب في اخراج النتائج الحسنة زمناً طويلاً الى عالم الفضل والنبيل . اما الآن فقد تغير كل ذلك وعلى الاخص في المشاهد من اولادهم . اذ هم يتنافسون عند مقابلتهم بعضهم بعضاً خارج منازلهم بانهم يضعون التماثيل المجسمة داخل بيوتهم . وهي على الاغلب مطروح عنها رداء الحياء ظاهرة بظهر قبيح . يرتعد منه جسم الاديب ويقشعر جسم المخدرة حياءً وخجلاً . حتى اننا اصبحنا ونحن شديدو القنوط من تحسن امرهم وانقلاب احوالهم وابتعادها بعداً شاسعاً عن مواطن الذوق والمروءة . واصبح الزائر وهو يرى تعليق الصور القبيحة المنافية للآداب في غرف الاستقبال وقاعات الاستراحة فتقطع به حبال الآمال في امكان اصلاحهم وردعهم عن غواياتهم اذ يرى الغني يعتني بها كثيراً فيضعها في الالواح والأطر الثمينة ليتباهى بها على اهله واخوته ومعارفه وينافس بها اقرانه . اما ازياءها القبيحة المختلفة فما لا يقع تحت حصر ولا يأخذه عد لكثرتة . منه العاري والمحبوب . والراقص والمعانق . وكل ذلك يراه الامهات والبنات وغيرهن كما حانت منهم التفاتة . ولا يخفى ان هذا الامر مكروه في الدين . تجه الانسانية والآداب . لانه مفسد للعفاف مضر بالتقوى والاعراض . ناطق بافصح لسان ان اولئك القوم منطرحين في حمأة الرذيلة . والافارني الفرق بين وضع صورة قبيحة ووضع كلمة فضيحة ككلمة "الحلم سيد الاخلاق" او اين الفرق بين نصب تمثال بدلاً من آية

كأية "قل ان يصيبنا إلا ما كتب الله لنا" بل اين عمل الاغنياء قبلاً وانت ترى حاضرهم من الذين شاركوا الغواني في لباسهنّ وتطبعوا باخلاقهنّ ودبوا على رص خزائنهـم بقناني المسكر وشغلوا زوايا بيوتهم برصف دنان الخمر . وهم يقضون نهارهم في شرائه بدلاً عن شراء الكتب المفيدة المتقفة للعقول المحسنة للاخلاق . حتى انك لو دخلت بيت احدهم لاخذتك الدهشة مما تراه . بل اين مساكنهم السالفة التي كانت تضم قبلاً اشباح تلك الشهامة المشتهرة عنهم والامانة المتوارثة عن آباءهم واجدادهم والتي يعجب بها من عرف بعضها . حقاً انا لو اردنا ان نتفقد بها الان لما وجدنا لها أثراً . الا في القليل منهم وما بقي منها فقد عدت فيهم الا في مظاهر النقائص فاننا نجدها بينهم تتجلى بانواع شتى وغايتها ضياع المال والوقت اما ضياع المال فيكفيك ما في بيوتهم من لعب الميسر . واما الوقت فكثيراً ما يكون احدهم مراناً للآخر ينتظر منها المغنم الصغير . مقابل ضياع وقت ثمين لو صرفوه في اصلاح احوالهم لكان لهم خيراً وابقى . واصناف مقامرتهم كثيرة منها ان يقامروا على مضاربة ديك . او مناطحة كبش . مقابل مبلغ طفيف . ولذا ترى دورهم لا تخلو من هذه الحيوانات وبجانبيها قهاوي الحشيش اذكر اني مررت عرضاً على ساحة رهان معقودة لهذا الغرض . فوجدت جماعة من ابناء ذواتنا ينظرون الى ديكين يتناقران . احدهما لحفيد قائد كان في حملة المرحوم ابرهيم باشا وله في حرب المورة همة مشكورة . والاخر لحشاش من جيرانه فوقفت ارجل النظر والديكان بين هجوم ودفاع واجمع في سكون تام كأن على رؤوسهم الطير وما زلت واقفاً انظر اليهم حتى كل ديك الحشاش وفر . فتهلل وجه الغني وطلب قيمة الرهان من مغلوبه وجوانحه ممتلئة فرحاً وقد كان آخذاً في معانقة ديكه الظافر والحشاش غائب العقل حاضر الشخص ساخط على الزمن

والساعة واليوم وقد اوسع الغني من القول الهراء مما ياباه من كان حفيد قائد عظيم
 شريف الحند لو كان باقياً في عروقه قليل من دم جده الباسل
 اما مناطحة الكبوش فانهم يربونها ويزيدون لها العلف حتى يكون الكبش ذا
 قوة وبطش ملفوف القرون معوجها حتى اذا ازف وقت المناطحة وعقد الرهان يأتون
 بكبشيم وهما اشبه منهما بضبعين فيتصادمان مبتعدين ومتقاربين حتى يخرج من
 قرونها الشرر وتجلي الحال عن فرار احدهما وفوز الآخر الكاسب للرهان واشهر
 ميادين المضاربة جهة عابدين والمناطحة جهة الحلمية^(١) وكل ذلك يدل على كيفية
 حفظ الوقت عند ابناء اغنيائنا الآن وفهمهم طرق المعيشة وكيف تحولت من
 هدوء واستقرار كانا ملازمين للاغنياء الى حركة وكدح في امثال هذه المضاربات
 المعيبة . ولا يخفى ما لذلك من التأثير اذ يتبع الفقراء الاغنياء فيقلدونهم فيها لما علم
 من ان الضعيف يتبع القوي في احواله وعوائده لاعنقاده في نفس القوي
 الكمال والرجحان

ولاولاد اغنيائنا تفاخر بالتبجح مشاهد بينهم حتى عند جلوسهم في الاندية
 فانك تراهم يقصون على بعضهم الرذائل والموبقات التي ارتكبوها ويفاخرون بها
 امثالهم . فترى هذا يقص على الآخر سوء سلوكه وكثرة تبذيره في اماكن المقامرة
 واللهو ومقدار ما يجود به على الادنياء والقوادين وذلك يشرح (والفرح ملء فؤاده
 وحواسه) اساليب الخداع التي استخدمها ويستخدمها في الاحتيال على سلب الاموال

(١) اصل "مضاربة" الديوك ومناطحة الكبوش مأخوذ عن الارنووط الذين كانوا
 بمصر بكثرة من امد ليس ببعيد وفي بلادهم ساحات معدة لهذا الغرض . اذكر مرة اني قرأت
 حكاية قيام قرية على أخرى وانتشاب القتال بينهما وكان السبب في ذلك "مضاربة"
 الديوك انظر مجلة الطائف الغراء السنة الرابعة الصفحة ١٦٠

واهتضام الحقوق - ولو كانت اموال زوجة وحق والدة او اخوة - وآخر يفتخر في سب آخر وشمه وضربه فضلاً عن استحلالهم تمزيق اعراض المخدرات وقد يكن زوجات رجال افاضل من ذوي الوجاهة والفضل مما يدل على سقوطهم الاديني وانحطاطهم الانساني ويثبت صراحة بعدهم عن الكمالات الاديية والمبادئ الصحيحة التي كانت في آباءهم قبلاً وكانوا يوصون بها بعضهم بعضاً^(١) اما عيشتهم مع اقربانهم فعيشة منخطة جداً حشوها اغنياب البعيد وتلق الموجود وكلام حساد لبعضهم فنامون يتلقطون دائماً بما يعاف سماعه الكرام

(١) نذكر هنا شيئاً من بعض ما كتبه البديع الى احد اصدقائه وهو وصلت رقعتك يا سيدي والمصاب لعمر الله كبير . وانت بالجزع جدير . ولكنك بالصبر اجدر . والعزاء عن الاعزة رشد . كان الغي وقد مات الميت فليجي الحى . فاشدد على مالك بالخمس . فانت اليوم غيرك بالامس . قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك تضحك ويبكي لك . وقد مولك بما الف بين سراه وسيره . وخلفك فقيراً الى الله غنياً الى غيره . وسيعبم الشيطان عودك فان استلانه رماك بقوم يقولون خير المال ما اتلف بين الشراب والشباب . وانفق بين الحباب والاحباب . والعيش بين الاقداح والقдах . ولولا الاستعمال لما اريد المال . فان اطعتهم فاليوم في الشراب وغداً في الخراب . واليوم وأطرباً للكاس وغداً وأحرباً من الافلاس

يا مولاي ذلك الخارج من العود يسميه العاقل فقراً . والجاهل نقرآ . وذلك المسموع من الناي هو اليوم في الآذان زمر وغداً في الابواب سمر . والعمر مع هذه الآلات ساعة . والقنطار في هذا العمل بضاعة . وان لم يجد الشيطان مغزاً في عودك من هذا الوجه . رماك بأخرين يملون الفقر حذاء عينيك . فجاهد قلبك وتحاسب بطنك وتناقش عينك وتمنع نفسك وتبوء في دنياك بوزرك . وتراه في الآخرة في ميزان غيرك . لا . ولكن قصداً بين الطريقين . وميلاً عن الفريقين . لا منع ولا اسراف . والنجل فقر حاضر وضير عاجل . وانما يبخل المرء خيفة ما هو فيه . فليكن لله في مالك قسط . وللمروءة قسط . فصل الرحم ما استطعت . وقدر اذا قطعت . فلا ن تكون في جانب التقدير . خير من ان تكون في جانب التبذير . انظر مفتاح الافكار للنثر الخنار وجه ٤٦٦

والمزاح بينهم ليس كما قال سعيد بن العاص - اقتصد في مزاحك فان
الافراط فيه يذهب البهاء وتركه يقبض الموائسين ويوحش المخالطين - بل هو
مزاح في القبح والسفاهة وقلة الادب وكذلك ضحكهم فانه يدل على وجود الرعونة
فيهم . اذ ايراد مضحكاتهم هي على سبيل التعريض ببعض سواء كان كذباً او حقاً .
ولا ينتهي مزاحهم او ضحكهم بدون سباب بعضهم البعض والسباب عندهم على ثلاثة
انواع . قدح في النسب . وقدح في النفس او البدن . لعاهة يلي بها المسبوب او
لافة لحقت به . والثالث في امر فعله او وقع عليه . ولا ينتهي مزاحهم الا بمشاجرتهم
على الاغلب وان لم تكن المشاجرة فالخصام . وهم في ذلك دون تلامذة المكاتب
والسوقة . وفي بيوت الاغنياء قديماً كانت تهدي الى الخدم والحواشي الهدايا المختلفة
والقصد من ذلك اظهار العواطف وتمكين المحبة القومية او المليّة . حتى كان لافرق
بين الخدم والاولاد واستمر السلف الصالح على ذلك وهم عليه محافظون وبهذا
الاحساس متمسكون . لعلمهم ما لهذه العوائد من المزايا والفوائد حتى اثمرت هذه
الامور ثمرات طيباً في الخدم وكانت سبباً لتدرجهم الى السير في الطريق المؤدي
للادب والامانة . ولا غرو فهم كانوا المدركين لمعنى " قول معروف ومغفرة خير
من صدقة يتبعها اذى " اما الآن وقد ترك خلفهم الحاضر هذه العوائد الحسنة
وابتعد عنها وانقبضت يده دونها فقد سقطت منزلته في اعين خدمه لاهتمامه بما
ياول لنفعه دون غيره اكثر مما هو واجب عليه اداؤه لذلك الغير - ولا تحسبن
الذين يدخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم - فاصبنا ونحن
نرى ذلك الخادم الحقير يقاضي ذلك الامير الكبير لاقبل هفوة تصدر منه اليه
وتسبب عن ذلك ان اصبح الخدم فوضى لا وازع لهم وضاع الادب منهم وقلت
الامانة فيهم . ثم انخفضت شوكة الاعيان والوجهاء ووصلتهم والسبب في كل ذلك

الخدم لا غير . ونحن نذكر القارىء بياناً لما نقوله بمسألة الامير ومقاضاة
خادمه له بالاسكندرية وذلك الامير ومقاضاة خادمه له بمصر . فلو كان للاغنياء
والعظماء منا شفقة ومرحمة على الخدم والحواشي لما كنا سمعنا شيئاً من هذا . والسبب
في ذلك كله معاملة العنف بدل اللين والاساءة عوض الاحسان . وقد يكفيك برهاناً
ما تراه مجسماً امام نظرك في شهر الصوم والاحسان والزكاة (رمضان) اذ يأمر
السيد خدمه بعمل اعمال شاقة واشغال متعبة قل ان يأمر بها في غير الصوم وامر
العدائين " القمشجية " ظاهر لكل ذي عينين وهو يدل على سوء معاملتهم . فان مع
معرفة احدهم بصوم " السائس " طول نهاره يأتيه عصرًا ويأمره باعداد العربة
فيذهب مثلاً من الناصرية للعباسية او من الجمالية للجزيرة ولا تأخذهم الشفقة
" ما داموا من الذين يحبون العاجلة " و " السائس " يعدو وهو يخط من التعب
امام العربة كأن هذه لا تمشي ولا يكون جريها حثيثاً ما لم يعد هذا " السائس "

امامها (١) فاين الحنان بعد هذا كله واين الشفقة والشهامة التي كانت تعرف فيهم
قبلاً . قل لي بعيشك هل هؤلاء القوم ممن قيل عنهم " الهينون اللينون " بعد ما ذكر
او هم من الذين يزينون اعمالهم بزينة الرفق التي كانوا يوصفون بها قبلاً ؟؟
هذا ودلائل الكسل ظاهرة ظهوراً واضحاً عليهم فهم النائون نهاراً القائمون
ليلاً اي عكس ما اعتادت عليه النفوس منذ خلقتها حتى ان الفقير ليأبى ان يكون
غنياً كسولاً مثل هؤلاء ولا يرضى بالغنى مع ما في النفس من الطمع . ومن لم يعلم
شيئاً من كسلهم وانواعه فلينظرهم في منتزهاتهم يرههم كسالى على ظهور الخيل يتباهون

(١) ومن العجيب انهم ينعلمون ارجل افراسهم ويتركون العدائين يمشون حفاة فوق
الرمضاء وحصى الغبراء في قيظ البلاد الشديد . وقد تسبب من هؤلاء العدائين مشاكل
كثيرة بين الامراء والاجانب

بركوبها وهم اجبن من النساء على متونها

وقد فشت عدوى الكسل بخيلهم فهي ناعسة لا همة لها في المسير كأنها ان
سبقتهم حماسة خافت ان يصيبها من قلة العلف ما يكون عقاباً لها على عدم مجاراتهم
والتشبه بهم . وهذا مشاهد فيهم ومخالف لما كان عليه اباؤهم فكيف يرجى منهم
بعد هذا للوطن خير ومنفعة وانت لو تأملت فيهم لوجدتهم يهتمون بالاقطار النائبة
ويجهلون دائماً بالسفر اليها حيث ينفقون القناطر من الذهب في طرق الفساد
فعدمت بذلك منفعتهم المرجوة للبلاد وعدمت فيهم الحماسة القومية وانعكس
الحال الى ضده .

وكل هذا ما لحقهم وحقك الآ من جراء اضمحلال التربية الحقة وفعل الآثام
واتيان المنكرات حتى اعترى بعضهم امراض مزمنة عن شفاؤها وذلك لجهلهم كنه
العافية فوقعوا فيها انفسهم ثم ارادوا التنصل منها فما اغناهم دوائه بعد ذلك . نعم ان
كثيراً من الامراض مما هو تحت طاقة الانسان الحكيم يمكن ازالتها لو وفق لذلك
وكان ذا حوطة على نفسه بصيراً . ولكن اين لهؤلاء الشفاء وهم خوفاً من المرض
يوقعون انفسهم في المرض ويكونون السبب في جلبه . حتى انك لو عرفت احدهم وهو
صحيح البدن قوي العضل وعرفته بعد تملك المرض منه لانكرته ولكذبت نفسك
فيه . وكان امراضهم تأتي اليهم غنية بألمها وشدتها حتى انهم لا يبرأون منها الا
بازهاق الانفس وخروج الروح وهو داء دوي على اية حال ذهب بهم . ودليلنا ما
نسمع يومياً من موتهم وهم في غضارة الشباب وعنفوان الصبا

هذا ما ذكرناه عن تضييع اوقاتهم الثمينة اما عما يبددون من المال الذي
ورثوه عن آباءهم دون تعب وانصب فهو على كل حال دون حد او حساب وهم بعد
ان يتسلطوا على تلك الاموال الموروثة يفتحون الخزائن ويملاؤن حفنة يدهم منها ثم

يعطونها للزادقة من الاجانب وغيرهم وكلما فرغت من التبذير ملأوها من ريع
اراضيهم الموروثة عفواً ثم يأخذون في صرفها في سبيل العار والفضيحة وهم لو تعلموا
الاخذ والعطاء لحفظوا ثروة والديهم او زادوا عليها وكفونا تبذيرهم اموالهم على
جماعة يكونون بالامس يمدون ايديهم اليهم للتسول وطلب الرشد . وبعد مدة يغنون
ويثرون وعلى من احسن اليهم يتكبرون . وهم لو نشأوا على القول المأثور — اصلحوا
اموالكم التي رزقكم الله فان اقلالاً في رفق خير من اكثر في خرق —^(١) لما وصلت
حالمهم الى ما ترى من انهم يزرعون ويحصدون والاجانب يجبون ويقبضون وهم
ينظرون نظر الحامل الابله الذي لا حول له ولا قوة عنده . حتى انهم وصلوا الى
درجة هي الجبن او دونه للناقد البصير . والآن كيف نرى ثروتهم في القطر الان قد
تحولت بعد ان كانت لهم ولوالديهم من قبلهم لجماعة الافرنج وهم قد اصبحوا اصحاب
الاباعد والمزارع اسماً واصبح غيرهم اصحابها فعلاً^(٢)

وناهيك بما اقدموا عليه اخيراً في لعب البورصة وخسروه فيها "بالكنتراتات"
واقبل خسارة الفرد الواحد منهم قد تجاوزت الاثني عشر الف جنياً ولا بعد ان
نرى جميع ما لاولاد الاغنياء في قطرنا العزيز قد خرج من ايديهم الى يد الاجنبي .
وهم نيام يبدرون اموالهم في الازبكية يتنقلون من محل خمر الى منزل عهر . ومنها
الى دوائر الميسر والخسر . يدوسون الشرف باقدامهم ناسين مجد آبائهم لاهين عن
حقوق بلادهم غافلين عما يستقبلهم من الاضرار في حياتهم يمر عمرهم ضياعاً بين

(١) قول لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(٢) اطعني صديق في البنك العقاري على كشف اجمالي فيه بيان الرهونات المرهونة

من اولاد الذوات فعلت منه ان جميع اولاد الاغنياء على شفا جرف هار . وبعضهم حسابه
لا يأتي عليه آخر هذه السنة الا وينكشف امره وتنقلب حالته من نعيم الى شقاء مقيم

اقداح الزاح ومداعبة الخود الملاح . وكفى ان نسمع عنهم ما ذكر والمال الذي يبدونه
اسبوعاً يكفي لانشاء شركة وطنية تضارع احدى شركات الاجانب الذين هم بين ظهرائنا
اما حالة بعض الذين نفدت اموالهم من جراء سلوكهم هذا الرديء فحالة
مضحكة مبكية . اذ ترى بعضهم يلتمس الخدمة في المصالح الاميرية ضارعا الى زيد
من الناس متشفعا بعمره و ليحقق بوظيفة لا يزيد راتبها عن راتب احد خدمه قبلاً .
واصبح يرضى بذل الخدمة وهو لو عقل لدخل ابواب الرزق الواسعة ولا يرتفع شأنه
وعلا قدره ونما فضله . الا ان حالتهم ووصولهم الى تعاستهم واهمالهم لانفسهم
تدفع بهم الى ما ذكر وترمي بهم الى ما وراءه

فترام يجلسون على القهاوي والمنتديات الحقيمة التي لم يكن احد منهم يتنازل
من علياء مجده الى النظر اليها او الجلوس فيها فيتخذونها لهم مأوى نهراً وليلاً بعد
ان كانوا يظهرون على الناس بمظهر الابهة والجلال وكنت ترى احدثهم راكباً عربية
يستحث الخيل ضرباً بالسياط ويلهبها سيراً حثيثاً حتى تشخص اليه الابصار وتمتد
اليه الاغناق او ممتطياً جواداً من الصافنات الجياد . وكل هؤلاء قد اصبحوا عالة
على اقاربهم من الرجال والنساء يلتمسون الاحسان والاسعاف كل شهر ويوم .
وهو درس عظيم لمن يتأمله ممن بقي منهم ليقف على كيفية اخفاق الجاهل ونجاح
العاقل وناهيك بالدرس الذي يكتسب بالممارسة والتجارب فانه وقع في النفس
من درس يكتسب بالمطالعة . ومن شاء ان يعتبر فليشاهد من ذكرناهم وهم بلباس
بال ورداء ممزق حتى انك لو نظرت الى احدثهم لتذكرت قول القائل

اصبحت كالثوب الليس قد اخلقت جداته منه فعاد مذالاً

وعلى وجوههم ملامح الفقر والمسكنة بعد ذلك العز وتلك الصولة . تالله ان
النظر اليهم لحقيقة تبين لنا ما لحق بنا من الخزي بعد السرور والعار بعد الافتخار .

حقاً انا نراهم كل يوم منحدرين الى منحدر سهل بدلاً من مرتقى صعب حتى اصابهم ما يصيب الارض المزروعة اذا استولى عليها الشوك والتي لا مناص لها من اضرار النار فيها حتى تصلح ثانية بعد ان ترتدي زمناً رداء السواد عوضاً عن لونها الطبيعي الجميل والله القاهر فوق عباده

مقاضاة اولاد الاغنياء

متى وقف القارئ على سير وسلوك اولاد الاغنياء السابق بيانه لا بد ان يتساءل عن كيفية مقاضاتهم بعضهم البعض اذ لا يعقل ان يكون سيرهم على نحو ما قدمنا ويخلو من المقاضاة امام المحاكم . اما نحن فنقول ان قضاياهم تنقسم الى ثلاثة اقسام قضايا مدنية على حقوق لهم يقيمها بعضهم على بعض وهذه لا تعد ولا تحصى ولا غرض لنا فيها وان كانت اسبابها دنيئة في الغالب وقضايا شرعية لاثبات الوراثة او قدح في الوصايا او في الوقفية او لطلاق زوج من زوجته وهذه ايضاً لا يأخذها العد لكثرتها غير اننا نأسف لما ينجم عن هذه القضايا من التلاعب والبلايا التي تجر الويل والحراب وتبدد الاموال في غير ابوابها وسببها سوء الظن بين الاهل والاخوة او ربما كانت لغرض ما الا ان براعتهم في القضايا الآنفه الذكر وكثرة مصاحبتهم لرجال الحمالة جرأتهم على ولوج ابواب المقاضاة مع اختلاف انواعها . حتى لا يقال انهم الاغنياء ولكنهم المقصرون عن الوقوف لدى جميع درجات المحاكم فلذا تراهم وقد جد فيهم من امد ليس ببعيد خلق الترافع الى المحاكم الجنائية التي كان لا يدخلها غير القتلة والاصوص من قطاع الطرق والمسالك كما هان عليهم ايضاً المثول لدى محاكم المخالفات بجانب فاسدي الاخلاق وارباب الشرور والفجور من حمار وحوذي وحمال

والاسباب الداعية لهم الى ذلك هي سيرتهم غير المحمودة وعدم مراعاتهم ما يقتضيه شرفهم من حسن السير والمعاملة كما مر عليك ومن الغريب ان علة كل ذلك النساء من مصونات وفاجرات ودليلنا على ذلك مسألة ذلك الامير وتلك الحادثة التي كادت تهدم ركناً من اركان العائلة الخديوية الكريمة وتؤلم فؤاد كل محب لتلك الاسرة . ومن يتأملها يجد ان سببها النساء ذوات القلوب القاسية والدهاء والتأثير وتبنيه الخواطر التي يهيئها القول ويثيرها الكلام الجارح

واما عن النساء العموميات فشواهد عديدة تقع كل يوم منها ما حصل بين اولاد الذوات في محل "بوديجا" بسبب مشاحنة على امرأة عمومية اوربية وقفوا بسببها امام المحاكم المذكورة بجلالهم الحاضر وعزمهم المشاهد فما اغنى ما ذكر امام الحق والقانون شيئاً بل حوكموا على ما فرط منهم ولا تقتصر حالهم على ما ذكر بل ان منهم من يعتدي ويتناول على رجال الضبط . وقد كان لبعضهم عندئذ فحوكوا عليه ومنهم من يحاكم لتعديه على المارة لمصادمتهم اياهم بخيولهم وعرباتهم في روحاتهم وغدواتهم كما انهم يسبون بعضهم بعضاً ثم يذهبون لمحاكم المخالفات لتفصل بينهم كما حدث ذلك بين خال وابن اخيه فاذا حوكم الخال وحكم عليه تفاقم الخطب بينهم وازداد النفور استحكاماً فيتسع الخرق ويشيع بعضهم عن بعض امور الخلل في ادارة الاموال وضبط الاشغال ويؤدي بهم ذلك الى طلب الحجر من كل منهم على صاحبه . وما جرّ هذه الامور الا عدم وجود المبادئ الصحيحة في السواد الاعظم منهم . ولو شئنا الاتيان على ذكر كل قضاياهم لطال بنا المقام فاجتزأنا بما تقدم وحسبنا ذلك دليلاً كافياً على فساد احوالهم وهل بعده دليل على سر انخطاطهم وخراب انفسهم بانفسهم وسقوطهم من عالي المجد الى هاوية الخراب وشواهد الحال ظاهرة للتأمل

بيوت الاغنياء الخربة اخيراً

واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً
— قرآن شريف —

تعفو الرسوم والاطلال . فلا يبقى لها اثر ولا عين . وتشاد الدور الشاهقة
والصروح الباذخة فلا يمضي عليها حين من الزمن حتى تصبح معالم دارسة . وكأني
بابناء الاغنياء منا قد ادركوا هذه الحقيقة فوطنوا النفس على بذل كل نفيس
ورخيص لديهم في طرق حرمها الله فاعطوا النفس مداها ونفس المرء امارة "بالسوء"
وباتوا يكيلون الاموال جزافاً انفاقاً على الملذات والشهوات وكان من امرهم انهم
حرموا لذة الراحة والوسن ومن امر صروحهم الباذخة انها لعبت بها ايدي الدمار
والخراب فأوي اليها البوم ونفق فيها الغراب فصدقت فيهم كلمة الله (ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) درست تلك الدور في سنوات عددها اقل من
عدد الاصابع ففقدت البلاد والامة بخرابها ما فقدت . اقول هذا وانا اقصد امتي
التي فقدت ابناءها الذين كانت تعلق الآمال بهم . ابناء خالتهم بررة صالحين
فكانوا لها من العاقين الضارين المفسدين . ولدوا في سعادة ونعمة ورخاء . واذا لم
يكن لهم من المنح الجزيلة سوى انهم قادرون على ان يحصلوا على مرغوبهم متى راموا
ثقیف عقولهم لكفى بها نعمة يحسد هم عليها الملايين من ابناء الفقراء المساكين .
بل يحسد هم عليها من هم اقل منهم غنى وثروة لكنهم تاهوا في بيداء الملاذ فنكبوا
عن الصراط المستقيم وتورطوا في الانكباب على البدع واكل ما يقال في هذه البدع
انها تستنزف الدراهم من ايديهم . بدع جاءنا بها الفرنجة كما مر بك ايها القارئ .
واهم ما يكلم الفؤاد تحسراً واسفاً عليهم ان بعضهم منذ خمسة سنوات كانوا يملكون

دوراً تطاول السماء ارتفاعاً فباتوا الآن يفتشون عن بيوت من كانوا ممالك
 لا بائهم لكي يشتروها ويسكنوا فيها او انهم يسكنون في الفنادق بدلاً من تلك
 السرايات الباذخات واذا لم يكن للمرء زاجرٌ من نفسه فلا يردعه رادع ورحم الله
 القائل " لا ترجع الانفس عن غيرها . ما لم يكن منها لها زاجر " ساروا على هوى
 ارادتهم وكلما مرَّ بهم يوم زاد بهم الميل الى اجترام المنكرات والتورط في الموبقات
 الى ان ذهبت ثروتهم كذهاب امس الدابر ولم يبق لهم في الحياة مطمع الا الرمس
 وعين تبصر الاعداء وقلب ممتلئ اسى وتحسراً . اقول هذا واعني بهؤلاء الشبان
 ابناء الاغنياء المسلمين خصوصاً والمصريين عموماً واني اخاف على شبان الاغنياء
 ان يكون مصيرهم مثل مصير من تقدمهم من جماعة الجركس والارنوؤود^(١) ما دمتنا
 وقد اصبحنا ان افقدنا اولاد اصحاب هاتيك الدور وهم سادة الامة وسراتها قل
 ان نستدل عليهم بعد خراب بيوتهم . اللهم ان غاية ما يعرف عنهم بعد طول البحث
 والاستقراء انهم بله انزوا في خفايا الازقة والحواري . وليس تبديد الثروة
 وخراب البيوت مقتصرًا على ابناء اعيان القاهرة بل هو عام في كافة مدن القطر
 وسائر بنادره . ولو شئنا تعداد البيوت التي خاقت بها الخراب والتلاشي فكان دمارها
 عظيماً . او التي تغيرت معالمها من جراء فعل ابناء سراتنا لطل بنا الكلام دون ان
 نسهب في المقال . الا اننا نرجو القارئ انعام النظر في الجدول الآتي الذي
 جمعناه بعد كثرة التعب^(٢)

(١) اخبرني فاضل وجيه ممن له في الوجاهة اثر يذكر ان الباقي من جماعة الجركس
 والارنوؤود الذين كان لهم الصول والطول بمصر ١٥ من الاولين و٣ من الآخريين
 (٢) اعتمدت في جمع هذا الجدول على اصدقائي في جهات القطر سواء كانوا في الوجه
 البحري او القبلي وقد طرحت منه جزءاً عظيماً تخفيفاً للبلوى

جدول

بيان عدد البيوت التي خربت في اثناء السنوات الخمس الماضية

	مصر	الاسكندرية	وجه بحري	وجه قبلي
بيوت امراء وعضاء	٢١	٦	٢	١
وزراء	٣	٠٠	٠٠	٠٠
وجهاء	١٩	٩	٧	٦
تجار	٤١	٢٠	٢١	١٩
عمد ومشايخ	٠٠	٠٠	٩٢	٣٤
كبار مزارعين	٧	٢	١٩	١٥
علماء	٩	٥	٤	١
	١٠٠	٤٢	١٤٥	٧٦

المجموع العمومي ٣٦٣

هذا والمجموع العمومي ٣٦٣ بيتاً خربت كلها في الخمس سنوات الاخيرة .
والناظر بعين البصيرة الى هذا الجدول يتجلى له هذه الحقيقة وهي انه في كل خمسة
ايام تمر علينا يخرب بيت من بيوت الاغنياء . فهل نحتاج الى دليل اعظم
من هذا على انحطاط ابناء الاغنياء عن الآباء والحفدة عن الاجداد حتى صح فيهم
قول الشاعر

” نعم الجدود ولكن بس من ولدوا “

المجالس الحسينية واولاد الاغنياء

انشئت المجالس الحسينية لغرض سامٍ وفائدة جلية فاقل ما فيها انها شكيمة الجهال ووازع المبذرين لانها تحجر على من لا يحسن التصرف في ماله اما المعاهة فيه او لمادة ذميمة اعنادها وتغل يديه عن التبذير رحمة به وشفقة على عائلته وحفظاً لما بقي من ماله وتدريبه على الاقتصاد في المعيشة حتى يقوم اعوجاجه والابقي تحت سيطرتها الى ما شاء الله . وقد جاءت المجالس الحسينية عندنا بفائدة لا تنكر الا انها لم تؤدِّ تمام المطلوب منها . نعم انها حجرت على سيئي التصرف والمسرفين ولكنها لم تأت ذلك الا بعد ان كادت الاموال تنفذ واستفحل الامر الى حد يوشك ان لا يرجي معه تدارك ولا اصلاح . وما ذلك الا لعدم الاهتداء الى طريقة كافلة لاتم النجاح

ومن حقوق هذه المجالس تصيب الاوصياء وتعيين القوام وتقدير المال اللازم لاحتياجات المحجور عليهم . ويشترط على من ولي رئاسة مجلس منها الا يألو جهداً في اتخاذ الذرائع الفعالة لنجاح سير المجلس واصلاح حال المحجور عليهم لانه اختص بثقة عظيمة واستودع امانة كبيرة . ولا يقوم باعباء هذه المهمة الا كل خادم امين صادق في خدمته لان لكل محجور عليه مسائل متعددة وقصصاً متفرقة ففيهم ابناء امراء وعلماء وفيهم فقراء وابرياء ولكل من هؤلاء طرق ومعاملات تختلف باختلاف اصله وحالته وعيشته في الحياة . فالمسؤولية على المجالس الحسينية عظيمة ان لم نعلم بواجباتها حق القيام ولم تدقق البحث في كل امر يعرض عليها اذ لا يخفى ان المطامع والاغراض تبعث قوماً على جر غيرهم الى المجالس حسداً وبغضاً او تشفياً وانتقاماً وكثيراً ما يكون ذلك بين الاقرباء والانساب كما يظهر لمن يتأمل

امر المجالس الحسينية في هذه الايام . وهذه الاغراض وتلك المطامع زادت في تشويش اعمال المجالس وافسدت عملها مع حسن قصدتها حتى اصبحت عرضة لسوء الظن وهدفاً للقييل والقال . وللناس ان يتقوّلوا ما شاؤوا ويطنّوا ما ارادوا ما داموا يسمعون عن دخل بعض اولاد الامراء السنوي ولا يعلمون الحقيقة .

ويبلغهم ان اولئك الامراء تركوا لاولادهم المحجور عليهم ثروة لا تتفد والمجالس الحسينية تكتم خبرهم بعد فحص امورهم ولا تشهر اسباب اسرافهم ولا تبين سوء سلوكهم وطرق استنزاف ثروتهم ليعلم الناس ما جرّ لاولاد الاغنياء ويعرفوا الاسباب التي طوحت بهم في مهاوي الديون ولا حرج على المجالس الحسينية اذا افشت اسرارهم تبصرة وذكرى لمن بقي منهم والاّ تحكّم الداء العياء فيهم كلهم قبل ان يبادر حكاء الامة الى تلافيه ومنعه عن ان ينخر عظامهم ويوردهم حنقهم . ثم ان اعلان هذه المجالس الحسينية لاعمالها يعد خدمة للجمهور عموماً والتجار خصوصاً لانه يجذرهم من الوقوع في اشراكهم

ولقد قلنا ان للمجالس حق تعيين القوّم والاوصياء على من يطلب الحجر عليهم الاّ اننا لو تأملنا لرأينا اولئك الذين يعينون لمثل هذه الامور يحتاجون هم انفسهم الى اوصياء . ولا يعدم المحجور عليه فرصة من الزمان ينتهزها وان طال توقع سنوحها ما دام له جماعة يشهدون امام المجلس بحسن سلوكه وقدرته على ادارة اعماله بنفسه تذرّاً الى رفع الحجر عنه . وكم من مرة قبلت تلك المجالس امثال هذه الشهادات واطلقت سراح المحجور عليهم ثم حجرت عليهم ثانية وعينت القوّم والاوصياء . ولقد قابلت اخيراً سعادة الهام الفاضل محمد ماهر باشا محافظ مصر ورئيس المجلس الحسيني لمعرفة عدد اولاد الاغنياء المحجور عليهم فاطلعتني حفظه الله على دفتر للمجلس الحسيني فيه اسماء من ينيفون على المتئين من اولاد الامراء

والباشوات والتجار والوجهاء والاغنياء المحجور عليهم . بعضهم حجر عليهم لانهم
اضاعوا اموالهم في المقامرة ومغازلة الحسان . وبعضهم على زمرة من المتشردين
الافرنج وبعضهم لادمان المسكر والعربدة في المرافص والمفاجر وبعضهم لغير ذلك
من المعرات . وكنت اود نشر اسمائهم لولا خوف الاطالة وتكدير المطالع واطاعة
امر من اشارته واجبة الاطاعة

فاذا فرضنا ان كلاً من هؤلاء المئتي شاب ترك له ابوه عشرة آلاف جنيهه
لا غير - مع ان منهم من ترك له والده المائة والمائتي الف من الجنيهات - بلغ
مجموع ذلك مبلغاً كبيراً اي مليون جنيهه او عشرة اضعاف ثمن شركة البواخر التي
بكتها الجرائد . او ثمن سدس اطياف الدائرة السنوية او نصف ما أنفق على فتح
السودان وانقاذ اهله من اسر المهدي بعد ما قضوا فيه ١٥ عاماً . او تسعة اضعاف
راسمال شركة بسنديلة او الترامواي في القاهرة

ويا ليت ذلك كان قاصراً على الذكور من ابناء الاغنياء . بل قد عم ايضاً
الاناث منهم . فاني اطلعت على تقرير فيه ما يقرب من اسماء الستين امرأة وكلهن
محجور عليهن لما اتينه من طرق الاسراف والتبذير او لما اصبن به من العاهات
والامراض

وهؤلاء المحجور عليهم قد خربت بيوتهم وكانت قبلاً عامرة والعلة في جميع
ما ذكر نخر الجهل لعظامهم باهمال تربيتهم التريبة الحقة المفيدة التي تجعل الانسان
انساناً وتخلد له احسن الذكر واجمل الاثري في حياته وبعد مماته . وعلم الله ان حالة
اغنيائنا جديرة ان تسح العين الدمع بداراً فحسبنا الله ونعم الوكيل . هذا ولقد
سعت جهدي لمعرفة عدد اولاد الاغنياء المحجور عليهم في المحافظات والمدريات
فما امكنتني الوقوف على غير ما يأتي بيانه ادناه

عدد	
١٩	محافظة الاسكندرية
٢	القنال "
٩	مديرية البحيرة
١٨	الغربية "
١٢	الشرقية "
١١	المنوفية "
٣	القليوبية "
٦	الدقهلية "
٢	الجيزة "
٢	الفيوم "
٣	بني سويف "
٤	المنيا "
٣	اسيوط " من عائلة واحدة "
٣	جرجا "

فتأمل ايها القارئ واحكم بما شئت تجد كيف تقرض اولاد الاغنياء الاعمار
وتهدم العمارة والاعمار . وقل معي يا لها محنة ما اضرها وفتنة ما اعظم شرها وقانا
الله ذلك وارشد من بقي منهم لاصلاح حاله وصيانة ماله والحرص على تدير
شؤونه وانتظام معيشته والسعي وراء ما يخلد مجداً باقياً وعزاً دائماً
ولله عاقبة الامور

القسم الثاني

في الوسط

وسط الأمة ✓

قد تقدم لنا اننا ذكرنا الطبقة العليا من الامة المصرية . وهم الذين يأتي لهم
رزقهم عقواً من اطيانهم او من مرتباتهم او من اوقاف ابائهم ومتروكات مورثيهم .
وبقي علينا ان نذكر اواسط الامة المصرية وهم الذين يشتغلون لنفع الامة بالاعمال
كالتجارة والزراعة والصناعة . كما ان منهم من يشتغل بالعلم والتأليف والاستخدام
وغير ذلك . وهوؤلاء في الحقيقة زهرة الامة وزينتها وانما توزن بهم لانهم اذا حدث
في الامة نجاح فانما يكون منهم . وهم المعول عليهم في الحقيقة لارتقاء الامة وتهذيبها
وتعليمها . اذ هم كالأعضاء العاملة في الجسم . وهم الذين يسعون لاكتساب الفضائل
فان ظهر نجاح في الطبقة السفلى فبإيهاضهم . وان ظهر تهذيب في الاخلاق من
الطبقة المثرية فباجناديهم لانهم هم الوسط بين الطبقتين تستفيد كل طبقة منهم
وفي الحديث الشريف "خير الامور اوساطها" لانهم خلصوا من الافراط
والتفريط . فليس فيهم خمول الطبقة العليا . ولا جهل الطبقة السفلى . فان حل
في هذه الطبقة تقصير فقد خسرت الامة واصبحت لا نجاح لها . وليس في قوة
الطبقة العليا ان تخطو خطو الطبقة الوسطى فتهذب الطبقة الدنيا . ومنزلة الوسط

في الأمة منزلة المهين على الطبقتين . ولذلك كثيراً ما أرسل الله الرسل الذين جعلهم اعلام الهدى للخلق من الطبقة الوسطى . ففيهم يمكن عقد الاخاء وهو اصل التعاون في جميع الاعمال الدنيوية والاخروية . لان الحسد فيهم اقل منه في الطبقة العليا . وكفى انه لم يرق عالم متشرع ولا قاضٍ قانوني ولا محامٍ بارع ولا مهندس رياضي ولا فقيه ديني ولا ولا . إلا كان من اواسط الأمة الذين جمعتهم روابط العصبيّة . والخلاصة ان جماعة الوسط يمتازون بالقوة عقلاً وبدناً وعاطفة ويتبين لك كل ما ذكر مما سنذكره في الابواب الآتية

الجامع الأزهر والأزهريون

الجامع الأزهر وضع اساسه مملوك رومي من اهالي صقلية . وهو جوهر بن عبد الله الرومي المغربي مولى المعز لدين الله العبيدي وآخر من شاد بنيانه عبد الرحمن كتخدا ابن حسن جاويش القازدغلي وذلك قبل الرواق العباسي الجديد . اما جوهر الرومي فقصد مصر بعد موت حاكمها كافور الاخشيدي سنة ٣٥٨ للهجرة واستلمها بعد قتال قليل وخطط القاهرة وبني الجامع الأزهر على ما قاله جمهور المؤرخين . شرع في بنائه لست بقين من جماد الاولى سنة ٣٥٩ ومكمل بناءه اتمتع خلون من رمضان سنة ٣٦١ وترتب المتصدرون لقراءة العلم فيه سنة ٣٨٠ في عهد العزيز بالله المعز . وعليه فقد جعل هذا الجامع مدرسة للعلم سنة ٩٩٠ ليلاد . وهو اقدم المدارس المشهورة في العالم ولا يوجد في اوربا اقدم منه واكبر في وقتنا الحاضر سوى بضع مدارس . لكن التدريس لم يتصل فيه من ذلك العهد الى عهدنا الحاضر . فان الحاكم بن العزيز بنى جامعاً كبيراً سنة ٤٠٤ للهجرة ونقل المدرسين من الأزهر اليه ولم يبق في الأزهر الا صلاة الجمعة . ثم

أقفلهُ صلاح الدين الأيوبي وبقي مقفلاً إلى أيام الملك الظاهر بيبرس الذي وُلِّيَ سنة ٦٦٥ للهجرة . أي بقي معطلاً من التدريس نحو مائتين وستين سنة . لكن الخلفاء الفاطميين استمروا على الاعتناء به وإن كان قد نقلوا التدريس منه إلى جامع الحاكم . فإن الحاكم نفسه وقف عليه ألفاً وسبعة وستين ديناراً ونصف دينار تدفع له كل سنة من الذهب العين المعزي . وجعل فيه تتوراً من فضة وسبعة عشر قنديلاً من الفضة . وذكر يوسف أفندي أحمد رسام لجنة الآثار العربية أن في متحف الآثار العربية بجامع الحاكم "الآن" محراباً من الخشب عليه كتابة بالخط الكوفي يقال فيها ما نصه

بسم الله الرحمن الرحيم . حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين . إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً . مما أمر بعمل هذا المحراب المبارك برسم الجامع الأزهر الشريف بالقاهرة المعزية مولانا وسيدنا المنصور أبو علي الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آباءه الطاهرين وبنائه الأكرمين ابن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين وعلى آباءهم الأئمة الطاهرين الهداة الراشدين وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين في شهر سنة ٥١٩ والحمد لله وحده

وفصل يوسف أفندي أحمد كيفية تجديده في عهد الملك الظاهر بيبرس . قال . إن الأمير عز الدين أيدمر جدد بناءه ورد له ما كان مغتصباً من الحقوق وتبرع له بشيء جزيل من المال واطلق له مالاً طائلاً من السلطان وشيد الواهي من أركانه وأعلى سقفه ذراعاً بعد أن كان قليل الارتفاع ثم رمم وجدد بناءه في أزمنة مختلفة وأضيفت إليه أروقة جديدة . ومن الذين اهتموا بتوسيعه وترميمه الملك الأشرف أبو النصر قايتباي والملك الأشرف قانصوه الغوري الذي بنى فيه

المنارة المنسوبة اليه وقد كتب عليها ما نصه
 ”امر بانشاء هذه المأذنة المباركة سيدنا ومولانا السلطان الاشرف قانصوه
 الغوري عز نصره بمحمد وآله وكان الفراغ من عمل هذا المكان المبارك في شهر
 شوال المبارك سنة ٩٢٠ من تاريخ النبي ” صلى الله عليه وسلم “
 وآخر من جدد بنيانه واضاف اليه اضافات كثيرة قبل العائلة العلوية عبد
 الرحمن كتخدا بن حسن جاويز القازدغلي وذلك سنة ١١٦٧ للهجرة فانه انشأ فيه
 الليوان الشرقي المعروف باسمه والمدفون به . وبني رواقاً للصعايدة وجدد المدرسة
 الطبرسية وانشأ الباب الكبير المشهور بباب المزينين وانشأ رواقاً للمكويين
 والتكرورين . وللعائلة الخديوية الايادي البيضاء في توسيعه وتجديده ولا سيما
 للجناب الخديوي ”عباس حلي الثاني“ في عهد بني الرواق العباسي وانشئت فيه
 المكتبة الازهرية العمومية . وبلغ ما جمع فيها حتى الآن نحو العشرين الف مجلد
 تقريباً قال ”المقتطف“ الاغر بعد ذكره ما تقدم ولو كتب تاريخ الازهر من
 حيث بنائه واخلاف الاساليب التي جرى عليها بناؤه ومزخرفوه لملاً كتاباً كبيراً
 وفي الازهر الآن ٢٦ رواقاً و١٥ حارة ويدرس فيه ٢٣٦ مدرساً ويدرس
 ٨٨٠٩ طالباً . عددهم بالنسبة الى المذاهب هكذا

	الجملة	مالكية	شافعية	حنفية	حنابلة
علماء	٢٣٦	٧١	٩٦	٦٦	٣
طلبة علم	٢٠٣٠	٣٨٢٦	٢٦٣٢	٣٥	
	٨٨٠٩	٢١٠١	٣٩٧٢	٢٦٩٨	٣٨

واما مقدار ما ينفق على الازهر من خبز ونقود فيبانه هكذا

الجزايات يومية

رغيف	
٤٠٥١	وارد من ديوان الاوقاف
٧٦٢٣	" " اوقاف اهلية
١١٦٧٤	الجملة يومية ^(١) «اما سنوياً فيكون عدد ما يأكلونه من الارغفة
«٤٢٦١٠١٠»	

النقود سنوياً واردة من المالية

مليم	جنيه	
٥٢٨	٥٨٨٣	لحضرات العلماء واولاد المتوفين منهم باعتماد كل شهر ٤٩٠
		جنيهه ٢٩٤ ملياً
٧٣٧	٠٧٢٧	لحضرات العلماء بدل كسوة سنوية يصرف في شهر رمضان

وارد من ديوان الاوقاف

مليم	جنيه	
٧٠٠		لحضرات العلماء باعتماد كل شهر
٦٤٨		" مدرسي العلوم الرياضية باعتماد كل شهر ٥٤
٦٣٠		" معلمي الخط باعتماد كل شهر ٣٠
٤٦٨		" مشايخ الاروقة " " " ٣٩
١٨٠		" العلماء على الوقف الخيري " " " ١٥
٠٨٤		" وقف والده حسين بك باعتماد كل شهر ٧
١٤٥	٠٣٥	" " من ثمن غلال سنوي
٦٠٠		مكافآت للممتازين بجودة التحصيل من طلبة الازهر

(١) قال المستر بنفيلد قنصل اميركا الجنرال السابق بمصر في كتابه تاريخ مصر الحالي — ان العيش الذي يعطى للازهرين لا يأكلونه كله بل يتصرفون في بعضه بالبيع بواسطة متعهدين يشترونه منهم —

الجامع الازهر والازهريون

٨٨

	مليم	جنيه
للكتبخانه الازهرية	٢٠٠	
ماهيات خدمة الجامع والكتبخانه باعتبار كل شهر ١٤٩	٢٠٠	١٧٩٨
جنيه و ٨٥٠ مليم		
مصروفات ادارة الجامع	١٥٠	
للمجاورين على الوقف الخيري باعتبار كل شهر ٣٣ جنيه	٢٠٠	٤٠٠
و ٣٥٠ مليم		
لزواية العميان	٠٤٨	
لاحياء ليلتي ١٣ و ١٤ رمضان	٠١٤	
		١٢٢٩٦ ٨٠٦

وارد من اوقاف الاروقة

	مليم	جنيه
رواق المغاربة	٤٨٠	٣٦٤
الصعايدة "	٠٠٠	٥٠
ابن معمر "	٦٨٨	٠٤٢
الشراقوه "	٠٠٠	٠٢٧
الحنفية "	٤٨٠	١٢٠
الشوام "	١٠٥	٠٩٤
الاکراد "	٩١٠	٠٦٨
الابراك "	٨٥٥	٥١٦
الحرمين "	٠٠٠	٠١١
السلمانية "	٣٦٠	٠١٣
السنارية "	٦٠٠	٠٠٦
زاوية العميان	٩٢٠	١٩٦
	٣٩٨	١٥١٢
	٢٠٤	١٥١٢
	٢٠٤	١٣٨٠٩

هذا هو تاريخ الازهر الشريف عن اصدق المصادر بسننائه بايجاز . اما ميزانيته فقد اخذناها من مولانا العلامة الفاضل الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية . اما شيخه الآن فهو الاستاذ الاكبر شيخ الاسلام مولانا الشيخ سليم البشري . والغرض من الازهر الشريف انما هو تخرج اهل العلم في الدين والشرع من علماء وفقهاء ليتفقهوا في الدين ويفقهوا اهله فيه مستمدين ذلك من الكتاب والسنة على مذاهب الائمة الاربعة^(١)

وحيث ان الغرض من تعليم الازهر هو اخراج علماء الباء ذوي بصيرة نيرة وفهم قويم . فالواجب على المتخرجين منه تهذيب اخلاق الامة بمعرفتهم التريية الدينية الصحيحة وبما منحوا من العلم النافع واستخراج الفائدة بعد طول بحثهم . والمدارس التي من هذا القبيل نحن احوج الاعم اليها وهي بالنسبة الى المدارس الاخرى يجب ان تكون ارقاها درجة واعظمها نفعاً . لان المتخرجين منها هم قادة الشعب ورؤساؤه ووكلاؤه . ولا يحسن حال المتخرج إلا اذا كان المتخرج منه حسناً . ولكن من الاسف ان المدارس التي من هذا القبيل فضلاً عن قلتها فحاضرهما مما يؤسف له ولو كان الازهر الشريف مقر الرئاسة الدينية ومستودع احكام الشريعة الغراء . والواجب ان تكون حالته الظاهرة والباطنة معادلة لاهمية هذه الدرجة حتى يتجدد فيه ما اندثر من المجد في الازمنة الماضية . اما وقد اصبح اهله يعدون

ولادته هجرية	وفاته هجرية	
سنة	سنة	
٠٨٠	١٥٠	(١) وهم الامام ابي حنيفة النعمان
٠٩٥	١٧٩	" مالك ابن انس
١٥٠	٢٠٤	" محمد بن ادريس الشافعي
١٦٤	٢٤١	" احمد بن حنبل

الفلسفة كفرًا والمنطق زندقة والرياضيات ضلالة والطبيعات بدعة والكيمياء
 فرية . ثم يفاخرون بابن رشد وابن سينا وغيرهم مع انهم هم الذين كانوا يشتغلون
 بتلك العلوم في عصرهم وهم الذين سطعوا بانوارها مشارق الارض ومغارها فهذا
 دليل منهم على سوء حاضرم ان لم يتداركوه بالاصلاح والتحسين . والازهريون
 في تعلمهم المسائل العقلية في دائرة ضيقة لا يتزحزون منها . اذ طرق التعليم في
 الازهر الان مما يعدم اظهار المواهب العقلية في الانسان لانعدام الوسائل التي
 تفتح للمتعلمين المجال الى ارتقاء الانسان في عقله واعلاء همته في شؤون حياته
 وسعادته وذلك لانصراف الاعناء من المعلمين الى حفظ القواعد المدونة في الكتب
 لا الى التمرين والعمل في الفنون التي يتلقونها . فانهم يقابلون كل شيء يلزمه
 الاشتغال بالعقل باوهام سخيفة نشأوا عليها والظوا بها ولو لم يكن سلفهم الاول
 مثلم قبل . وهم في علوم الدين والشريعة اشبه ببغاء يؤدي الاشارة ولا ينفذ الى
 ما فيها من الاسرار وما انطوت عليه من مناهج الحكمة والقسطاس المستقيم . وكم
 اعترض عليهم معترض في امرهم وصاح بهم ان انظروا في تمحيص الحق من الباطل
 ولا تنظروا في تلك المشاغبات التي لا تجدي نفعاً ولا تدفع ضرراً فلا يسمع منهم
 الا قولهم " اعنقد ولا تجادل " ولو كانت احكام ديننا القويم تأمرهم بالنظر في العلم
 والتبصر في كل شيء . ولا ندري كيف يكون لنا قوام منهم للنهضة الحقيقية والعلم
 الصحيح وهم محسوبون على الامة انهم اهل العلم والفهم فيها . وتراهم يحضرون
 دروسهم على امل انها صناعات يجب عليهم ان ينظروها لا ان يتعلموها لينفعوا بها
 انفسهم واخوانهم كما هو الغرض من العلم والتعليم وقلم يزجر المعلم منهم تليذه اذا
 تناول عليه او ينصحه اذا اخل بالاداب التي ينبغي ان يكون عليها . وكثيراً ما
 يقع بينهم النزاع بما لا طائل تحته ويفضي الى الشتم بدلاً عن التي هي احسن كما

هو اللازم بشأن امثالهم . وحبذا لو تعني المشيخة بايجاد مراقبين على من يخل
 بأداب العلم او الدرس والمذاكرة . او تلزم المدرسين ان يكونوا هم انفسهم مراقبين
 على التلامذة وان يهتموا بنصحهم وتقوم عوجهم حتى يخلص لنا منهم علماء
 مرشدون وادباء مهذبون . لا يظنون ان قراءة الاوراد والاحزاب تبعد الجهل من
 بيننا ^(١) بل يعلمون ان من الواجب ان يرشدوا الامة في وقتها الحاضر الى ما فيه
 النفع لها بواسطة نشر العلم في الرسائل والمجلات . مع ان كل طائفة في مصر لها
 نشرة من سادة علماءها للتعليم وبث الفائدة بما يحسن الاعتقاد في الدين . وبين
 حقيقته التي غمضت . وهذا لعمري منتهى الجبن منهم والاغفال لواجبهم . وما
 عهدنا في من يعلم العلم ان يجبن عن اظهاره او يرضن به على اخوانه ومن يروم
 الانتفاع منه . هذا ولا يظن القارئ ان علوم النحو والصرف وما بقي من مشتتات
 اللغة العربية متقدمة عندهم او انهم مجيدون فيها . كلاً بل الحقيقة انهم مقصرون
 في الانشاء والكتابة فيها ولا يحسنونها وذلك لحفظهم القواعد وحدها دون التمرن
 على ما وضعت له القواعد عملاً . فهم يجهدون القوى في البحث في القواعد دون
 تحصيل ملكة العلم التي بها يكون الانسان عالماً حقيقياً وبها يستغني عن النظر في
 القواعد واضاعة الزمن في صحتها وفسادها . فلذا ترى الاكثر منهم ليس لاحد هم
 مقدرة على التعبير عن فكره . وهم ان كتبوا ظن القارئ لكتابتهم انها تعاليق او
 شرح على متن او تفسير لشيء مبهم . وكفي دليلاً على انحطاط طرق تعليمهم انه
 لا ينجح في امتحان العالمية بين هذا الجم الغفير في كل سنة الا ثلاثة او اربعة
 اشخاص فقط . . ومثل تفریطهم في الانشاء تفریطهم في ضياع اوقاتهم فيما لا يجديهم
 نفعاً ولا يغني عنهم شيئاً . فلقد اختلفوا مرة في مسألة صرف " عمر " وقضوا فيها

(١) ولا يقولون . ان شهورش كان صحياً . وكان يحضر على المرحوم الشيخ السقاء

زمناً طويلاً بين اخذ ورد في القول بصرف "عمر" وعدمه حتى ضاع على بعضهم وقته في البحث عن هذه الكلمة وسخر منهم كثير من معاصريهم وما انتج البحث في الصرف اضافة حرف او اهمال حرف . وبقيت كلمة عمر هي على ما هي عليه كما تركها سيبويه بعد دقة تصريفه وغرابة ترصيفه . ومثل تفريطهم في اوقاتهم تفريطهم في ضياع امتعتهم وكتبتهم وملا بسهم ودراهمهم . فان الزائر للازهر المعمور لا يمر بين عمود وآخر او خزانه واخرى الا يجد الاعلانات عن فقدان اشياهم ملصوقة على الجدران . ولقد ذهبت اخيراً فعددت عشرة اعلانات احدهم معلناً فيه ضياع كيس تقود فيه سبعة عشر غرشاً ومليماً وآخر معلناً فيه ضياع كتاب "الكفراوي" وآخر ضياع شهادته المدرسية^(١) وآخر ضياع دواية نحاس وآخر معلناً بقوله "يا من لقي منكم جزمة على درس الشيخ رزق صبح فليسأل علي حسن ابراهيم" . وليس للازهر بين عناية تذكر بالنظافة وكثيراً ما يراهم الانسان في صحن الجامع يخلقون ويتركون شعر الخلاقة يتطاير في الجامع وهم ينشرون الخبز في الشمس . وقل ان تعرف اجسامهم الماء صيفاً او شتاء . مع

(١) اليك صورة الاعلان المعلن به صاحب الشهادة المدرسية نأقي عليه بالحرف الواحد

ليتبين للقارىء نقصير الازهر بين في الانشاء والكتابة

اعلان

حضرات المجاورين الفخام

اعلن حضرات المجاورين الفخام . بان الشهادة الدراسية الابتدائية تعلقني نحن حافظ امين ابن امين اسماعيل المولود في قلما "قليوبية" بتاريخ ١٨٨٣ فقد فقدت مني ما بين بيت الشيخ التجاري والبوستة والازهر فمن لقاها منكم فليكتب اسمي على الاعلان ويعرفنا عن مكانه في اي جهة وله من الله الاجر ومن صاحبها المحترم الدعاء اناء الليل واطراف النهار . ومن قطع هذه الورقة قطعهُ الله من هذا المكان

ان النظافة اجدر بهم واليق ما داموا يقرأون قوله تعالى - وثيابك فطهر والرجز
فاهجر - كما ان التربية والآداب فيما بين الكثير مفقودة مع انها اهم شيء ينبغي
ان يكون بينهم حتى يمكنهم ان يعظوا غيرهم ويرشدوه . ومن المعلوم ان فاقد
الشيء لا يعطيه . ولكن اللعب مع بعضهم بعضاً موجود " ومن نقص في تربية
نفسه كيف يتعرض لتربية الخلق " فانك لا تتر بينهم الا وتسمع سب الام والاب
من شخص لآخر . نعم ان الآداب السامية بينهم ولكن في بطون الكتب التي
يقرأونها ولا يعونها . والخلاصة ان حاضر الازهر محتاج لزيادة الاهتمام به من جميع
الامة صغيرها وكبيرها . وهو في حاجة لاستبدال الحصر بالمقاعد والكراسي فان
الطالبة قل ان تجد منهم من لم يكن مصاباً بالروماتزم والبواسير وسببه جلوسهم على
البلاط شتاءً وصيفاً . وحبذا لو تبارى الاغنياء في اهداء ذلك اليه واهداء
الكتب التي تلزمه كما اهدى ورثة المرحوم سليمان باشا اباظه مكتبته الى الجامع
الازهر وهي على ما يقال نحو النفي مجلد اكثرها من الكتب الخطية النادرة الوجود
العزيزة المثال . وغير ذلك من الوسائل التي لا بد للتعليم منها مثل الكرات
الارضية والفلكية والخرايط والاطالس والمجسمات وغير ذلك مما يوجد عند بعض
الاغنياء مهملاً وبيع في المزاد بعد وفاتهم بانجس الاثمان . حتى يسهل بذلك على
اللجنة المنوط بها اصلاح التعليم في الجامع الازهر . ويقوى فيهم حب ما نتمناه
و يتمناه كل مسلم غيور على الاسلام راغب في ارتقاء العلم بين اهله وامته والآن
فقد تداوت لكل علمهم الا نحن فعلنا باقية في اندمال
الهمنا الله روح الحكمة والسداد حتى نفقه قول المرشد الاعظم - افضل
من يمشي على الارض المعلوم والمتعلمون -

العلماء

” قال عليه الصلاة والسلام “ من اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم
ومن ارادها معاً فعليه بالعلم

ماضي العلماء في الاسلام يظهر منه انهم كانوا مصابيح للدين يستضاء بنبراس
هدايتهم للحق اليقين نجوماً للارشاد حلفاء للصدق . هداة للمارق والضال تقام
بهم احكام السنة وتهدم بهم اركان البدعة . تشرق بهم انوار العدالة وتجلي بهم
وتزهو بأدابهم اندية الفضل مصادر للعفة والنزاهة ويغنيننا عن ذكر ذلك ان نتأمل
في سير الماضين منهم رحمهم الله . اما خلفهم الآن فقد اهملوا كل ما تقدم وانقطعوا
عن العمل بالنصح والارشاد للحق اليقين واصبح ضنهم بعلمهم على الامة غنيها وفقيرها
مشهوراً . ولم يقتصر الامر على ذلك بل تناول اولادهم واحفادهم . فلذا ترى
اولادهم يشار اليهم بالبنان في الجهل وسقم الفهم . ولو سألت عن ابن ذاك الشيخ
الثاقب البصر والبصيرة الخادم للدين والشرع لساءك ما تعلمه عنه . ولتبين لديك
العار والفضيحة من جراء عمل علمائنا الحاضرين لاشتغالهم فيما ليس فيه نفع الامة
والدين بل وتضييعهم لما هو الصق بهم من تهذيب اولادهم وتربيتهم تربية حسنة
مع انهم يعكفون على تضييع اوقاتهم بما لا يجدي نفعاً ولا يذهب ضرراً ولو كانت
الامة غنيها وفقيرها احوج اليهم كي يهدوها الى الشفاء مما ألم بها مما لم يكن فيها
قبلاً . في حين ان اكثر اهل الاسلام لا يعرفون من امور دينهم الا ما ينكره
الدين عليهم وفي وقت اصبح الفكر فيه غير سليم من الاضطراب عند البحث في
مسألة دينية . وفي وقت تقلص ذلك العلم اليقيني والمعرفة الصحيحة وانسبط ظلال
الجهالة والخرافة حتى تغيرت معالم كل شيء . ودخل في الدين ما الدين بعيد عنه
وبريء منه . والأفاري علماء منهم قام وحض الامة على نفع يذكر من مثل حض

الناس على المحبة وترك الشقاق المستوي على الكل والتفرق الذي اوصلنا الى أسوأ الاحوال - ولا ترني تداخل بعضهم لاستئصال الشر وجلب الضر بين الاخ واخيه ومسائل الموارث فانها معلومة امرها - بل أرني اعتراض البعض منهم على عدم مبيع الاوقاف للاجانب وغيرهم او أرني حض الناس على دفع مال الزكاة والزكاة واجب اداءها وهي احد الاركان الخمس الذي بني عليها الاسلام وما حض القرآن على شيء من الاركان حظه عليها . وزكاة المال فرض عين عند حولان الحول على كل مسلم بالغ عاقل مالك للنصاب . او ارني من قام ودل الامة على الاحاديث الموضوعية ليحتملها وهي عندنا تعد بالآلاف وذكر بعضها فاضل اديب^(١) وان شئت فقل لا تجد بين العامة والجمهور منتشراً وشائعاً الا الحديث الموضوع . تالله لو كان علماء الاسلام يهتمون بحض الناس على التمسك بالفضيلة والبعد عن الرذيلة والسير بخافة الله لما قامت للشور بين الامة قائمة ولا انتشر فيها ما نشاهده الآن وتجرع غصصه وآلامه

اما واكثرهم ضان بمعارفه باخل بعلمه وافراد الشعب خاصته وعامته في الرذائل قائمون منهمكون فلا عجب اذا دخل في الدين ما ليس منه ولا استغراب ان زادت الآثام الى الحد الذي يستوجب كدر العقلاء وكل ذي احساس . نعم اسف العقلاء من ذلك كثير ولكن اسفهم من عدم دعوتهم للدين اكثر اذ - الدعوة الى الدين وبعث البعوث لها من اطراف الارض الى اطرافها امر واجب في الدين الاسلامي فانه لم ينتشر من بطاح مكة الى حيطان الصين الى اقصى

(١) ذكر بعض تلك الاحاديث الموضوعية محمد البشير ظافر الشاذلي في مجلة الموسوعات عدد ٢٣ جزء ٢ وذكر بعض اسماء الكذابين والمثروكين عند ائمة الحديث والكتب المشحونة بها ولكن يوجد غيرها كثير لم يذكره حضرته

الغرب الى مجاهل الجنوب الى جزائر المحيط الا بهذه الدعوة محمولة في صدور
رجال تجشموا متاعب الاسفار في زمن كان فيه السفر قطعة من العذاب فلم يمنعهم
هذا العذاب من الوصول الى حدود الهند وغيرها خطوة خطوة يصيبهم الظم
وينهكهم التعب وتبيري تحتمهم ابدان الابل وتغور اعين المطايا^(١) قاموا بهذا
امثالاً لامر الله بالجهاد في سبيل الله والجهاد ليس السيف وحده والسيف
القاضب مخراق لاعب اذا لم تمض الدعوة حقه وجهاد النفي والغواية والجهل
والجهالة والهوى والضلالة بالدليل والحجة والبرهان هو الجهاد الاكبر وهذا هو
الجهاد في الله قال تعالى - وجاهدوا في الله حق جهاده - قال المحققون من
المفسرين في تفسير هذه الآية - هو امر بالغزو ومجاهدة النفس والهوى وهو
الجهاد الاكبر - وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال
"رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر"

هذه كانت سير السلف رضي الله عنهم وهذا كان دينهم وهذا كان عملهم
في نشر الدين الاسلامي واناثة القلوب بنوره وهداية النفوس بهديه وتطهير
الصدور من ادران الضلالة واوضار الخرافة بالادلة الساطعة والبراهين القاطعة .
ولكن من نكد الدنيا ان خلف من بعدهم خلف انقطعوا عن العمل وقعدوا عن
الواجب وركنوا الى الراحة ووقفوا عند التفاخر والتشامخ باعمال غيرهم حتى اضمحل
ذلك التفاخر على طول الزمن بانقطاع العمل والعمل ببيان اذا لم يسنده عمل آخر
تهدم وانتقض وما زلنا على هذا التقاعد والتعاس والتخاذل حتى ضاعت الفرص

(١) رحم الله عقبة بن نافع القائل عند وصوله بجنوده شمال افريقيا حتى بلغ المحيط
الاطلنطيقى - اللهم رب محمد لولا ان امواج هذا البحر تعوقني لنهبت لانشر مجد اسمك
العظيم في اقصى حدود الدنيا -

وانسدت وجوه المساعي وأنست النفوس بهذا الخمول والفت القلوب هذا القعود^(١)
واصبح احدهم لا يهتز لمصيبة تقع على اخوانه وبني ملته ولكنه يرتعد ويهتز اذا
أصيب بآفة شئ يقطع عنه معيشته او يُوَخَّر عنه منفعتة وهذا من الذين ذكروهم
الله في قوله عن امثالهم من الذين لا يهتمون الا لمنفعتهم (جعل فتنة الناس كعذاب
الله) والمتأمل لرجال العلم والدين عند السوى يأخذ العجب لاقدامهم واحجامنا
مما يجعله ان يغبطهم ويتمنى لنا ما لهم فانا نسمع كل بضعة ايام برسالية للتبشير
تذهب الى الاقطار السودانية من بروتستنت وكاثوليك بغية بث تعاليمهم
وارشاداتهم وديانتهم حتى لقد بلغ منهم السعي انهم ترجموا الانجيل الشريف
بلغه سكان النوبة (البرابرة) وطبعوه على ورق نباتي حتى يظنه ابناء تلك الجهات
جزءاً من اجزاء القرآن الشريف ثم هم يوزعونهم عليهم بدون مقابل وهو اول
كتاب كُتب على ما نعلم بلغه (البرابرة) ولا يحق لنا لومهم وتعنيفهم ما داموا
يقدمون على كل عمل يعود على دينهم بالفائدة^(٢) ولا يقتصرون على البعثات الدينية

(١) عن مصباح الشرق عدد ٣٠

(٢) الفضل في ذلك للجمعية البريطانية والاجنبية لنشر التوراة والانجيل . وهذه
الجمعية تأسست في سنة ١٨٠٤ بقصد نشر كلمة الله في العالم بأسره وقد صرفت هذه الجمعية
اكثر من ٦ ملايين جنيه انكليزي في طبع وترجمة مائة وعشرين نسخة من الكتب المقدسة
الى مائتين وثمانين لغة من اللغات التي لم يوجد لاكثرها حروف كتابية وكانت العلماء
والمرسلون في كل الانحاء هم العاملين المجدين من طبيعتهم على اتمام هذا المشروع . ولم تخل
بلدة من البلاد من نصيب من نفحات هذه الجمعية ولها في اوربا وكلاهما ومكاتبين وعمال
ومكاتب يشتغلون بكل وفاق واتحاد مع جمعيات المرسلين الاخر في اقصى البلاد .
فالسوريون والعجم والهنديون والصينيون والحباش والكفرة وسكان مداغشقر وزيلانده
الجديدة وبولينزيا والمكسيك والاسكيمو وام اخرى قد استعملوا بواسطة هذه الجمعية لسماع
كلمة الله ثلثي بلغتهم

بل يرسلون ايضاً البعثات الطبية وقد عازمت الجمعية المسماة "بمشرتش ميشونري سوسايتي" على بناء مستشفى تذكراً للاسم غردون ولهذا الجمعية طيب يدعى هاربر ورجل آخر من اشراف الانكليز الذين لا يستنكفون من خدمة الانسانية مع علو منزلتهم وقد سافرت جماعتهم في الشتاء الماضي للاقطار السودانية وشاهدنا سفرهم على محطة مصر في ٥ ديسمبر سنة ١٨٩٩ وهم على اشد ما يمكن ان يكونوا عليه من الفرح والسرور العظيم . وودعهم جماعة من كبار الانكليز وسائر مستخدمي الجمعيات الانكليزية في القاهرة ومصر القديمة والدكاترة وطسن وهارفي من المرسلين الاميركان

والجمعية ترجو المسيحيين على اخلاف مذاههم ان يتكروا ليس فقط بمساعدة الجمعية بعطاياهم بل للاستقاء من كنز المعارف والآداب التي تفقدهم لهم . فالمدارس والمستشفيات والسجون والمحلات المخصصة للتربية والجيوش البري والبحري يشهدون بما أثنه هذه الجمعية من الخيرات والمساعدة . وهي تعتبر ان الانقلابات السياسية والاشتراكية والمهاجرة والمعارض العمومية والحروب والمصائب التي تصيب عموم الجنس البشري كأنها تطالبها بمضاعفة همتها لادخال كلمة الله في كل مكان

والجمعية يخدمها أكثر من الف مترجم ومصحح وكلهم يشتغلون بترجمة الكتب المقدسة الى لغات الارض ويصلحون الترجمات القديمة وقد ترجم الانجيل في سنة ١٨٩٩ فقط الى ١٣ لغة منها لغة قبائل الهنود وجنوبي اوستريا ومتوسط ما يصرف من الكتب بقصد توزيعه من مكتبة لندن وحدها يزيد على سبعة آلاف نسخة سنوياً وما يخرج من المخازن الاخرى في الجهات الاخرى يزيد على ذلك . والجمعية المذكورة تطبع كتبها في لندن وباريس ونانسي وبروكسل وامستردام وبرلين وكولوني وفيينا ورومه ومدريد ولسبون وكوبنهاج واستوكهولم وبطرس برج والقسطنطينية وبيروت وبمباي وكلكتوتا ومدراس وشنجهاي والكاب وسدني وفي باقي البلاد الاخرى الكبرى واخيراً طبع الانجيل بلغة "البرابرة" في الاسكندرية

ترجمنا ما ذكر من مقدمة عينة ترجمة الانجيل الى لغات وطران جميع الامم تقريباً المطبوع بمعرفة جمعية نشر التوراة والانجيل بشارع كوين فيكتوريا استرليت نمرة ١٤٨ المطبوع سنة ١٨٩٠

وسائر سيدات المستشفيات ورئيسات المدارس الانكليزية وموظفو الجمعيات ولما تحرك
القطار للسفر هتف لهم الحضور بصوت واحد داعين لهم بالتوفيق . ولقد اثر هذا
المنظر في نفسي فدعوت لهم ايضاً شكراً على هممتهم . كما اني تأملت من ضعف
همتنا وثقاعتنا عن اقرب الاشياء اليها وبعدنا عن المساعي المحمودة بهمة علمائنا
العاكفين نهراً على التفتيش في الكتب والتفاسير التي عليها^(١) . حتى اذا وقف
احدهم على بيت من النظم قديم قلبه ذات اليمين وذات الشمال واكثر عنه البحث
والتنقيب كالبيت الآتي

ويسقط بينها المرئي لغو كماء العنب في الدبة الحواء

ثم يتناظر مع رفقاته وكل منهما يجتهد في اظهار غلطة فيه . وقد يعكف
اذكاهم على اظهار خطائه . ثم يقول ان فيه خمس عشرة غلطة بعدد اوتاده واسبابه
ثلاثاً منهن من خطأ الاشموني والرابعة من خطأ الحفني وعشراً من خطأ الصبان
والاخرى لغيره وتشتغل الجرائد بكتابة الفصول الطويلة والجمل العريضة عن ذلك
وباقى الامة يقرأون وهم عن خيرهم لاهون . ولا يقتصر الحال على ذلك فقط بل إن
مسألة منع "عمر" وصرفه شغلهم ايضاً زماناً ليس بالقليل ولا تنس بحثهم عن نملة
سليمان أهي ذكر ام انثى فان هذا مما يضحك الثكلى . فهذه السفاسف وامثالها
ثبتت عدم اعتنائهم بوقتهم من جهة وغفلتهم عما هم فيه من الاحوال وما ينبغي ان

(١) وحبذا لو كان هذا البحث دأب الكثير ولكن منهم من لا يهتم بشيء من البحث
ما دام يجد تعظيماً من العوام وتفخيماً من الجهلاء فتراه يلهو ويزهو وسواء عليه أكان الاسلام
والمسلمون في عز ورفعة او انحطاط وذلة . اولم يعلم ان اهم شيء يجب عليه هو السعي في ان
يكون دينه عزيزاً وامتة مرتقية وهذا شيء ارشد اليه القران الكريم بقوله "ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين" وفق الله علماءنا لان يكونوا عاملين بمقتضى هذه الآية الجليلة آمين

يكونوا عليه امام الله والناس . وهذه مسألة اصلاح المحاكم الشرعية اقامتهم واقعدتهم ولا يزال تأثيرها في الازمان لانهم حيروا الامة بمخالفتهم بعضهم لبعض في ما هو الصواب من ذلك كله . ففريق كان يقول بان اصلاح المنوي ادخاله على المحاكم الشرعية مخالف للشرع . وفريق يخالف هذا القول ويكتب في الجرائد ضده . حتى ان الامة للان لا تدري بعد طول هذا الشقاق اي الفريقين مصيب في دعواه

ويغلب على الظن انه الفريق المجوز ادخال اصلاح . والا لما قبل به العلامة الفاضل الشيخ محمد عبده ووضع له ذلك التقرير المشهور (ولو كان للان لم يعمل به تماماً) والمنتظر تنفيذ ما فيه لانه هو الذي ينتظم به امر هذه المحاكم وبه يعود اليها العدل والانصاف ويرتفع النزاع والخلاف ومن هنا يمكننا الاستنتاج ان زمن علمائنا في مصر ينقضي في ما لا نفع لهم والامة منه وهذا شيء يسوءنا ذكره ويدل على ان اوقات العلماء تمر بلا فائدة سوى اظهار التقصير في العلم . والاقتصار على الدعوى عوضاً عن الاجتهاد في التحصيل . ولا شك ان الامة التي يسوسها في دينها ودنياها امثال هؤلاء الرجال تتأخر وتعفو آثارها ولست في حاجة الى تكرار الاسباب التي اوجبت جهالة هؤلاء ما داموا هم العاكفين على درس ما تقدم من كل شيء لا ينفع الا في ازمانه الماضية

ذلك عملهم في النهار يعملونه حال اشتغالهم بعلمهم اما عملهم وقت فراغهم فيما بقي من النهار وبعض الليل فعمل وسعي حثيث في زيارة هذا العظيم والتزلف لذاك الغني او في بث الشكوى لولاة الامور من قلة المرتب والجرية والرجاء والواسطة في ميراث مورث او غيره حتى اصبح امر تزلفهم مشهوراً عنهم بعد ان كان سلفهم اذا دعي احدهم لمجالسة امير او عظيم لا يلبي دعوته وكما هو معروف في سير السلف

الصالح منهم^(١) وقد حدث عندهؤلاء العلماء شيء لم يكن معروفاً لدى العلماء من قبل وهو سهرهم في الافراح والمحافل . فان العلماء قديماً كانوا لا يسهرون الى ما بعد العشاء الا قليلاً للمذاكرة وتحصيل العلم . اما الآن فترى بعض العلماء هذا ساهراً في فرح وذاك في ولية او ليلة طرب يراهم الرأي وهم مختلطون بين القوم فيعجب ويأسف لزي عربي جميل كان اولى ان يصاب من ان يكون بين السكّيرين ليلاً اذ يشاهدهم الناظر بقرب قاعات المشروب فيظن بهم ما هم براء منه . ومن الذي يبرئهم وهم مختلطون باولئك اخنلاط الحابل بالنابل . تالله انهم يجرون عليهم بوجودهم في تلك المحافل اثم الظن وظن الاثم مع ما في ذلك من اقرارهم المنكر وعدم انكارهم اياه وكان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس من شأنهم مع انهم المخاطبون به والمأمورون بامتثاله . والافاين هم الآن والدين يحرم عليهم ذلك . ان الديانة الاسلامية روح العمران وسعادة الانسان . وهي التي لا تجعل في الازهان نقيصة او شبه نقيصة لمن وهب العلم بها واطلع على ما في كتابها الحكيم من مناهج الحق والكمال . الا ان من العلماء الحاضرين من هم من أفسد الناس اخلاقاً واداباً . ولكن حاشا الدين ان يكون قد افسد اخلاقهم وادابهم . ولكن المرجح ان لذلك

(١) في السير ان بعض الخلفاء ارسل يطلب احد العلماء فلما جاءه الخادم وجده جالساً وحوله الكتب وهو يطالع فيها . فقال له ان امير المؤمنين يدعوك . فقال قل له عندي قوم من الحكماء احادتهم فاذا فرغت منهم حضرت . فلما عاد الخادم الى الخليفة واخبره بذلك قال ويحك من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده . قال والله يا امير المؤمنين ما كان عنده احد قال فاحضره الساعة كيف كان . فلما حضر قال له الخليفة من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك فقال

لنا جلسة ما نمل حديثهم	الباء مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى	ورأياً وتأديباً ومجداً وسؤددا
فان قلت اموات فلم تعد امرهم	وان قلت احياء فلست مفندا

اسباباً أخرى هي على ما نعلم اشتغالهم بالدنيا وانكبابهم على التزلف للاغنياء وقلة الثقة بالله وعدم المبالاة بالاوامر والنواهي حتى التحقوا بالعامية . ويكاد بعضهم يكون ذا خلقين خلق حال اجتماعهم مع الناس . وخلق حال وجودهم في بيوتهم مع نساءهم وخدمهم . يسلكون في كل حالة مسلماً يخالف الآخر . ففي الاولى اظهار اخلاص وولاء وطاعة وسمي في انجاح حقوق الله . وفي الثانية سوء معاملة وكدر واحتقار بعكس حالهم في اجتماعهم مع الناس حتى انه ليصدق عليهم مثل العرب قديماً عنهم - ان اشد الناس بغضاً للعالم امرأته وخادمه - وحتى ان زوجة الواحد منهم لا تتكلم عنه بين معارفها الا بذكر معايبه وقل من لا عيب فيه منهم

ولكن الذنب في ذلك على الازواج الذين لم يهدوا نساءهم الى العلم والتربية الصحيحة حتى لا يستوي لدى احدهن العالم والجاهل . ذلك حاضر العلماء عندنا فتأملهُ وقل اللهم اللهم من لدن جلالك الاسمي مواهب الاتحاد المقرون بالثبات حتى يعوضوا مما فقدوه وفقدناه بسبب توغلبهم في الاهمال . وحتى يمكننا ان نرفع رؤوسنا بهم بين الامم المحدقة بنا ونفاخرهم بعلمهم ونعلمهم اننا حقيقة كثيرون اقوياء

الوعظ والوعاظ

” لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرًا عظيمًا “ (قرآن شريف)

الوعظ هو الحث على اداء عمل او اجتنابه سواء كان بالترغيب او الارهاب او التذكير . فالترغيب انما يكون في عمل نتيجه حسنة وعقباه حميدة . والارهاب لمن حاد عن جادة الصواب والصراط المستقيم . والتذكير لقوم نسوا واجباتهم او

تناسوها . فالوعظ اذا نتيجته ردّ النفوس الزائغة عن سواء السبيل وكبح جماح
التألمين في بيداء الغي والضلالة وواجب ادأؤه ممن وفق لمعرفة الحق ليردع الذين
خدعوا بظواهر الاشياء وراجت عندهم الخزعبلات التي نخرت عظامهم وهم لا
يشعرون . وتدثروا بالباطل وهم لا يعلمون . وهو دواء الهي وشفاء سماوي نافع لان
القائم به حق القيام يستمدّه من قول من وسعت رحمته كل شيء . فالحناجون اليه
هم اهل الغفلة في دينهم ودنياهم . الذين استولى عليهم القنوط في معيشتهم والحق
في اعمالهم . والذين تكاثرت على نفوسهم ارزاء الخطايا والاوزار . لان الوعظ
للموعوظ به اشبه شيء بالدواء للمريض . وكمن موعظة حسنة ضرب بها وجه
السكران فاقلع عن سكره . وصفع بها السفية فغشيه الحياء . وسمعها التعميس فشمله
التوفيق بفضل الوعظ والواعظين الذين وفقوا لتشخيص الداء ووصف الدواء . هذا
هو الوعظ كما ذكرنا . وليس كما نسمع به اذ ليست نتيجة وعظ اليوم سوى وضع
التضليل على التضليل . ونحن ايها القارئ نقص عليك بعض ما يجري في الوعظ
من الواعظين . ونسألك وأبيك أهذا هو المقصود منه ام لا . الوعاظ بيننا الآن
اكثرهم ممن تلقوا العلم في الازهر الشريف وحفظوا القرآن والحديث كلمة كلمة
ولكنهم لم يتفقهوا فيها كمن يجب عليه حفظ ذلك ومعرفة حقيقته . فتراهم
في المساجد يجلسون للموعظ وارشاد الناس . واكثر ما يكون جلوسهم في ايام
الصوم من رمضان وايام الجمع بعد تأدية الصلاة

بينون على زعمهم ما اغمض على الناس فهمه . وهم احوج الناس لمن بين لهم
ذلك الذي بينونه . فيذكرون للناس السنن ويتروكون الفروض . كما انهم يشرحون
الحرام ولا يذكرون الحلال . ويحبون الى الناس الجدال في الدين . ولو كان
الجدال مكروهاً عند العلماء . فيجري هؤلاء العامة في الجدال جري العلماء فيه

حتى لقد يخرج صاحبان متخاصمين بفضل هذا الجدل الامر الذي يوقع النفور بين الافراد ويصبح عثرة في سبيل توحيد الامة وضمها على قلب رجل واحد نعم ان الجدل مع ما فيه قد يوقظ الفهم ويشير الانفة لاقتباس العلم . ولكن ذلك لا يجدي نفعاً ما دمنا نعرف حال العامة منا من حقت كلمة الله عليهم "ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير" وناهيك عما يعلمه هؤلاء الوعاظ وما يذكرونه من الاحاديث الموضوعية كذباً على النبي صلى الله عليه وسلم كالذي قيل عن الارز نذكره^(١) والاسف ملء الصلوع - الارز مني وانا من الارز - او (خلق الارز من بقية نفسي) او (لو كان الارز حيواناً لكان آدمياً ولو كان آدمياً لكان رجلاً صالحاً ولو كان رجلاً صالحاً لكان نبياً ولو كان نبياً لكان مرسلأً ولو كان مرسلأً لكانت انا) او (من أكل الارز اربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه) يقول الوعاظ هذا القول ولا يخشون الله وعذابه . وهؤلاء الوعاظ لا يقتصر وجودهم على مصر بل هم مبشوثون في كافة مدن القطر ونواحيه ولا يقتصر الامر على جماعة الوعاظ بل يشاركهم فيه ايضاً خطباء المساجد الذين فقدوا الرشد كما فقدت الامة الرشد فضاعت بسببهم حكمة الخطابة وما وضعت لاجله ولقد سمع احدهم خطيباً في الريف ذا جهل وتخريف صعد المنبر وحمد وكبر ثم انتهى في تفخيم وترقيق الى ذكر طول قصر ابي بكر الصديق . فقال . ان جبريل سار في طوله ثلاثة اشهر باجنته الاربعين ومن المعلوم انه كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بجناحين ويقطع الي سنة وخسمائة في دقيقتين^(٢) هذا بعض من كل مما يأتيه زمرة الوعاظ والخطباء

(١) نقلنا ذلك عن مجلة الارغول الاسلامية عدد ٣ سنة ٥ والعهدة عليها

(٢) انظر مجلة الارغول الاسلامية عدد ٣ سنة ٥

في المساجد لفساد الدين وتضليل المسلمين . الامر الذي نمسك القلم عن الخوض
 في عبايه لانه يفطر الالكباد ويفتت افئدة الذين يغارون على الدين . والله يعلم
 ما بنا من الاسف لقاء ذكر ما تقدم ولكنها الحقيقة نذكرها ولو جرحت . غير اننا
 لا ننسى فضل بعضهم ولو كانوا قليلين جداً ولا ننسى فضل الفضلاء من كبار
 العلماء الذين علموا احياج الامة للوعظ والارشاد واقدموا عليه بغية نيل الاجر
 والقيام بالواجب ومن هؤلاء العلامة الفاضل مولانا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي
 الديار المصرية حفظه الله . فانه يعظ بعض ليالٍ في درس التفسير الذي يقرأه
 في الازهر المعمور . ولا يرضن بالايضاح الوافي والشرح الشافي بما يقص على سامعيه
 من التفسير والتذكير . وبمقدار شكراننا له نأسف كثيراً على بعض الازهرين
 الذين يحضرون حلقة وجلمهم وقت القاء تفسيره يشغل نفسه بالمحكات اللفظية
 ولا يعير سمعه للاستفادة والفهم كما ينبغي . وبعضهم لا يحضر الا لتمضية الوقت
 بين المغرب والعشاء وللتفرج لا غير . وكثيراً ما شاهدت الاستاذ الفاضل المنوه
 عنه يبرهن لهم على عدم صحة بعض التفاسير فلا يجد منهم الا الخروج عن الطريق
 بالسؤال في مسألة منطقية او مسألة نحوية . وليس لهم غرض الا اخراج الشيخ من
 دائرة البحث الى دائرة اخرى فيقابل ذلك حفظه الله بالصبر الجميل

تلك حال اهل الوعظ عندنا وهم المنتظر منهم استنارة العقل بالارشاد
 وصلاح القلوب بصالح التعليم والتهذيب

تالله لو داموا سائرين على خطتهم هذه ولم يحميدوا عنها ولم يجدوا من يردعهم
 عن غيرهم ويوقفهم عن وعظهم حتى تستنير انفسهم ويفقهوا ما يقولون . قل على
 الاسلام الحق السلام وحسبنا الله ونعم الوكيل

القرآن والفقهاء

قد جاءكم من الله كتاب ونور مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام
ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراطٍ مستقيم (قرآن شريف)
القرآن كتاب مجيد . واجب التعظيم لا يمسه الا المطهرون . ابان ما لله على
عباده وما لهم عليه من الحقوق . ضرب فيه من كل مثل وما فرط فيه من شيء .
جمع فاعوى كل ما فيه سعادة البشر في دنياهم واخرهم . وحقائق راهنة لا يزيدنها
كر الليلي وتعاقب الايام الا وضوحاً وسطوعاً . نزل على رسول الله " صلى الله
عليه وسلم " وحيّاً حسب الوقائع . فكان رابطة للمسلمين وجامعة للوحدة الدينية .
سوره اربع عشرة ومائة . تختلف طولاً وقصرأ . ولا تتجاوز الاربعون الاخيرة
خمسین آية . ولا تنقص عن ثلاث . وهو مكّي الا ثمانی عشرة سورة فمدنيّة
له اسلوب شرعي في الترتيل يعرفه من عرف دينه وتفقه في شريعته . وليست
قراءته الحقيقية كالقراءة الشائعة الذائعة الآن في اكثر البلاد الاسلامية . بل
الحقيقة ان الصحابة والسلف الصالح كانوا يقرأونه من غير تلحين . ولقد انكر الامام
مالك رضي الله عنه القراءة بالتلحين كما هو منصوص في مذهبه ومعروف . واجازها
الشافعي " رضي الله عنه " ولكن لا على الكيفية التي نسمعها من اكثر الفقهاء مما
يجعل القراءة تغنياً . فقرأ القرآن على سبع طرق اخنصت بالانتساب الى من
اشتهر بروايتها . وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها فمن اراد الوقوف عليها
فليرجع اليها — وقراء القرآن فيما مضى من الزمن كانوا يتلونهُ بكل خشوع وادب
وتدبر وتعقل . فاوجد فيهم كل الفضائل . كما ابعد عنهم كل الرذائل . ولا غرو
فهو كلام المهين جل وعلا الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من عزيز حميد

اما حاضر قرائنا الآن من الفقهاء فما يؤسف له . فانه مع ما نراه من
 اكثرهم غير حافظين له تمام الحفظ لعدم فهمهم معنى الغرض من حفظه . تراهم
 يقرأونه في حالة التذاذ . بعدوبة اصوات وتوقيع نعم . وهم لا يأتون على قراءة القليل
 منه حتى يخنمونه بالغناء وانواع الخلاعة التي لا تناسب ذلك المقام العظيم . وهذا
 من الوقاحة التي كان الفقهاء امثالهم من قبل لا يعرفونها . وقد بعد الفقهاء الآن
 بعملهم هذا عما أمروا به واغفلوا عن واجبهم . فبعدت عن السامعين للقراءة
 موعظة القرآن الشريف وحكمته . وهبطت درجة تأثير النفوس من احكام
 هذا الكتاب السماوي الجليل . فهوى الارتباط الديني وضعف الاحساس الملي .
 وما منشأ ذلك غير الفقهاء الذين يتلون كلام الله بغير خشية منه تعالى

وما احسن واجمل ما كتبه الشيخ الفاضل صاحب المؤيد الاغر في مؤيده
 وفي المجلة المصرية العدد الثالث حيث قال . وفي اعتقادي ان تلحين الآيات
 القرآنية على الطريقة المألوفة الشائعة بين المسلمين كانت من اكبر دواعي انحطاطهم
 منذ قرون مضت الى الآن . لان هذا التلحين جعل القرآن من قبيل المغاني التي
 تؤثر على مشاعر النفس من السامع بتأثير الصوت وانغامه لا تأثير المعنى المقصود
 بالذات حتى ان السامع كثيراً ما ينتعش وجدانه سروراً او تتفعل نفسه انفعالاً
 يخلف آناً فأناً من مجرد سماع صوت القارئ تلحيناً من حيث لا يعرف الآية
 التي يلحنها بعد ما بينه وبين القارئ بعداً لا يمكن معه تمييز الكلمات ما هي ومن
 اي سورة تلى . وبطول العهد وزيادة الف الناس لهذه الطريقة اتخذ تلحين
 القرآن ضرباً من الضروب المكملة لسرور الجماعات في الافراح او المسلية للنفوس في
 المآتم وشعائر الاحزان . وبذلك خرجت قراءة القرآن عندنا من الدائرة التي
 رسمها الوحي النازل بها من عند الله . الى دائرة صناعية يستوي الامر والنهي

والزجر الشديد . والقصص التاريخية والمواعظ الحسنة والدعاء . كلها تطبق على
نقرات الجركا والسيكا والحجازية والعراقي وما شبهه . فلا تقع الآية الصاعدة
بالحق في امري الدنيا والآخرة على سامع الأ كما تقع مقاطع التلحين عند سماع
المغنين . تلك الآية التي كانت تلقى على سماع الاعرابي . وقد امتلأ قلبه كفرة
وشراً . وآخر في كل جارحة من جوارحه غدراً للإسلام والمسلمين فكأنما هي
الصاعقة نزلت من السماء بأشد تأثيرها على جميع حواسه فيغشاه منها ما يغشاه . ثم
لا يفيق إلا وهو صاغر امام هذه القوة الالهية بهت منها أولاً ويخضع لها ثانياً .
اصبحت لا تؤثر على كل سامع لها بطريقة القراءة المألوفة الآن إلا كما تقع مقاطع
التلحين عند سماع المغنين ان اجاد الملحن سماع من كل اطراف المجلس الله . الله .
احسنت . احسنت . كما يسمع المغني المطرب سواء بسواء والأفلا . ثم زاد الطين
بلة ان ملخي القرآن انفسهم تفننوا في طريقة تلحينه بالتخت بالصوت وابداء
الحركات الغربية المختلفة في الالقاء بما اخرجته عن كونه قرآناً الى الغناء المحض
ففقد السامعون بذلك كل شيء يعزى الى قراءة القرآن وسماعه
واذا كان القرآن كتاب الله الذي انزله على سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم"
لهداية البشر وتقويم اخلاقهم واصلاحهم في معاشهم ومعادهم ينقلب في كيفية
ادائه والقائه الى هذا الحد وتصرف مشاعر الوجدان عند سماعه عن معانيه الى
محض مغانٍ هي لجوهره الاسنى عرض عار مستعار . فليس بغريب ان تفسد الامة
الاسلامية بهذا الفساد كما كان صلاحها بذلك الصلاح . اه

المحاكم الشرعية وحاضرها

قال^(١) العلامة الفاضل الشيخ محمد عبده في تقريره المشهور . تدخل المحاكم الشرعية بين الرجل وزوجته والوالد وولده . والاخ واخيه والوصي ومحجوره . وما من حق من حقوق القرابة القربة او البعيدة الا ولها سلطان السيطرة عليه والقضاء فيه . وانها تنظر من ذلك في ادق الشؤون واخفاها . ويسمع قاضيها ما لا يسمح لاحد سواه ان يسمعه سوى ما يكون من الزوج لزوجته او الزوجة لزوجها . فكما انها هياكل عدل هي كذلك مستودع سر واي سر فمنازلتها من نظام الأسر "العائلات" تلي منزلة المحبة وروابط القرابة . فاذا تراخت تلك الروابط ومرضت المروءات تعلق حفظ نظام البيوت بالمحاكم الشرعية . وللشريعة الاسلامية في ذلك دقائق لا يسهل الالتفات اليها الا على من احاط علماً بكليات احكامها ووقف بالبحث الصحيح على مقاصدها . ووصل الى ادق معانيها وكان من العلم بلغتها في منزلة يعرفها له اربابها . ولن يكون الرجل كذلك حتى يأخذ الشرع عن اهله وتكون تربيته على السنة الدينية الصحيحة . ثم لا يكون القاضي حافظاً لنظام الأسر والبيوت بعد الاحاطة باحكام الشرع . حتى يكون للشرع سلطان اي سلطان على نفسه

هذا هو التعريف الحق عن هذه المحاكم في تقرير وضع نتدفق منه الغيرة الدينية رحمة بمعاهد الشرع الشريف . ونحن نقتطف من هذا التقرير ما يدل على الخلل في المحاكم الشرعية . اذ بفضل الاستاذ قد اكتفينا مؤونة البحث في هذه المحاكم من الوجه الذي وضعت له

(١) انما آثرنا نقل ما كتبه حضرة الاستاذ لانه اوفى دلالة واوسع اطلاعاً وقوله الفضل في هذه المباحث الهامة والمقاصد العامة ولا زال يفيد الامة خيراً واصلاحاً

قال حفظه الله عن اماكن هذه المحاكم . اذا ذهبت الى ديوان مديرية وارادت ان تعرف محل المحكمة الشرعية في ذلك الديوان فابحث عن ارداء محل فيه تجده مكان المحكمة الشرعية . ثم قال عن فرش هذه المحاكم انه رث قذر وعن الكراسي التي توجد في هذه المحاكم انها من الصنف المعروف بالاخضر . وان وجد عشرة فسته كراسي لا تخلو من كسر . وقال عن حالة الكتبة انهم يشترون الخبز من مالهم . وانه حفظه الله نظر مضبطة في محكمة من المحاكم طمست سطورها من رداءة الخبز . وقال في ختام كلامه عن محال المحاكم الشرعية انها سبب يجعل المتقاضين ينظرون الى القضاء الشرعي بما يحيط من قدره .

وفي باب الكتبة ما مؤداه . ان اكثرهم لا يعرف كيف تعلم صناعة الكتابة . ولا اين كانت تربيته فلذا تكون معرفتهم ناقصة وقليل بينهم الكفو لعمله . وانهم يحفظون الفاظاً وعبارات رديئة التركيب مشوشة التأليف الى ان قال . ثم علمت من اخلاط ارباب الحاجات بالكتاب ما لا يمكن معه انقطاع الشكوى . ومما وضع من القواعد لضبط الاعمال لا يمكن ان يقطع شأفة الفساد مع دوام هذا الاخلاط

وجاء عن القضاة . انه وجد كثيراً من قضاة المحاكم الشرعية خصوصاً في المراكز لا تسر معارفهم الشرعية والنظامية . ولا يرضى العدل في اعمالهم وان الحاذق منهم يحول جميع القضايا تقريباً الى محاضر صلح تجنباً للحكم . ولا يلبث المتصالحان بين يديه ان يختلفا لان الصلح غير حقيقي . وان كثيراً من القضاة يتحاشى سؤال الخصم فيما يهم السؤال عنه خشية التهمة . ولكنه يستبج لنفسه ان ينصح احد الخصوم بان يطلب شطب القضية

وفي الاعمال الكتابية . قال . حفظ كتاب هذه المحاكم الفاظاً معينة يضعونها

في اساليب معتلة مع تكرار بارد يعسر معه الفهم ويسأم منه الذهن . وان لهؤلاء
الكتاب جرأة في تعريف الاشخاص من متعاقدين وشهود وجيران في الحدود حتى
يضطرونهم الى الكذب . اولى اختراع اسماء يتخلصون بها من جهل الكاتب وحماقته
وذكر الاستاذ حفظه الله . انه رأى اشهاداً باقامة الجناب الخديوي ناظراً
على وقف في دمياط استغرق سبع صفحات بالخط الدقيق وهو لو كتب بالخطوط
المعتادة لاستغرق عشرين صفحة او ما يزيد . ومعظمه من اللغو الذي لا فائدة فيه
بل مما يضر بفهم الكلام . وانه اي الاستاذ جاءه رقيم بطريق البريد من احد
الادباء يستغيث به مرسله من تكرار لفظ المذكور والمذكورة في عقود المحاكم
ومرافعتها . وانه عرض له ان عد هذين اللفظين في شهادتين صغيرتين فوجدتهما
تكرراً سبعاً وعشرين مرة . ربما يحتاج الكلام الى اربع مرات منها فقط والباقي
لغوا معنى له

وقال عما يتعلق بالعقود الواردة من المحاكم المختلطة الى المحاكم الشرعية ما نوجه
اليه نظر القارئ ليقراه من الصحيفة ٢٣ الى ٢٦ من التقرير المذكور
وجاء في الكلام على اختصاص المحاكم الشرعية ما يؤخذ منه ان بعض القضاة يلبس
عليهم الامر عند التخاصم فيحكون بعدم الاختصاص فيما هو متعلق بالمواد الشرعية
وفي باب المرافعات . والتوكيل في المخاصمات من صفحة ٣٥ الى ٤٤ ما يدل
على مصاعب جمّة تفضي بالحقوق الى الضياع كما قد يضع الوقت على القاضي في
سؤال المنادي وتعريف الزوج الغائب والزوجة الحاضرة مما يدل على ان الحقوق
معتلة والمصاعب دون الوصول اليها غير مذلة مع ان دين الله يسر ولا عسر فيه^(١)

(١) وقد قال تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وقال عليه الصلاة والسلام بعثت
بالحنيفية السمحاء ليلا كنهارها

وما ذلك الا لتمسكهم بالمذاهب والاخذ بطواهرها بدون انعام نظر في مقاصد قائمها . وفي الكلام عن الجلسات في هذه المحاكم انه لا نظام فيها . وان المتخصصات من النساء يلعبن في اطراف المكان وليس في المجلس ما يمنع متكلماً ان يتكلم ولا مشوشاً ان يشوش . واذا دخل على القضاة محترم قاموا له وحيوه والمرافعة جارية . وقد قال الاستاذ انه رأى بنفسه الكاتب ذا سلطة اكثر من سلطة القاضي مما لا يليق بجرمة القضاء الاسلامي الذي كان يعد مجلسه اوقر المجالس واعظمها هيبة حيث كان يجلس الخليفة

وفي باب حضور الخصوم ما يشهد بعضهم الخلل مما يجعل القضايا تشطب او تنظر بعد زمن طويل

وفي باب المرافعة ما توجه اليه نظر القارىء ايضاً ليراه في التقرير المذكور من الامور المضحكة وكذا في باب الشهادات والادلة ما فيه من الماحكات وتضييع الحقوق على كثيرين وكذا في باب التنفيذ امور تجعل التنفيذ كعدمه لقله اهتمام اولي الامر في المحافظات والمدريات

هذا مختصر مما بينه الاستاذ حفظه الله في تقريره المذكور . ومن يعرف عطل الاشغال في هذه المحاكم الشرعية وما يجري فيها من شهادة الزور^(١) وتلاعب المأذونين في عقود الزوج الذين اكثرت الناس الشكوى منهم . واتعب الحكومة امرهم وعم ضررهم الازواج والزوجات وادخل بسببهم في الانساب ما ليس منها . ومن يعرف

(١) حدث اخيراً من بعض الشهداء امام محكمة مصر الشرعية الكبرى ان الشاهد يؤدي شهادته من ورقة فيها صورة الشهادة . وقد نظرت محكمة الموسيقى الاهلية الجزئية في هذه القضية يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٨٩٩ وبعد ان اعترف المتهمون بذلك ودافع عنهم المحامون دفاعاً طويلاً حكمت المحكمة عليهم بالبراءة . نظراً لان القانون لا يعاقب شاهد الزور الا اذا حلف اليمين والا فلا تعتبر شهادتهم

ان المحاكم الشرعية فيها الآن من التلاعب بالحق والباطل ما فيها وعرف ان حجابها يستبدون ومحاميا قد نسخوا الشرع باقوالهم . علم ان الشرع اصبح منسوخاً بسببهم حتى كثرت المساوىء وذهبت الغاية المقصودة منها . وغير ذلك كثير يحصل في مسائل المواريث وغيرها ولذلك يطلب العالم بهذه المساوىء مع الطالبين الى ولاية الامور الاسراع بادخال الاصلاح الحقيقي الذي ذكره فضيلة مولانا المفتي في تقريره رافة بالعجزه الذين لا قوة لهم وبالامهات والاطفال والضعفاء الذين لا سند لهم والذين جرهم نكد طالعههم للمقاضاة امام هذه المحاكم . وليس بعزيز لو اخلصت النية في اصلاح المحاكم الشرعية ان تهدي الامة الى شرعها الشريف الذي لا تأخذ في الحق لومة لائم وقد جعل الله فيه صلاح الدين والدنيا معاً فعسى قومنا يتأملون والى شرعهم القويم يرجعون ففيه كل الخير والصلاح والنجاح

المدارس والتعليم

المدارس الابتدائية

كان التعليم في مصر من عهد غير بعيد اجبارياً . ولاجل ان يعلم القارىء حقيقة احوال المعارف في الازمنة الغابرة وطرق التعليم فيها نذكره بالحالة التي كان عليها قطرنا قبل وقتنا هذا بمئة عام ليقيس بمعيار ذكائه درجة العلم في الماضي بعلم وقتنا الحاضر فنقول

كانت بلادنا المصرية منذ مئة عام او تزيد غارقة في بحار الجهل والخرول بسبب تملك دولة المماليك عليها . والولاة الذين كانوا يولون تبعاً بعد انقراض هذه الدولة من قبل دولتنا العلية صاحبة الدولة وقتئذ ولا يمكنون الا قليلاً ريثما ينالون

غرضهم في زمن توليتهم . وهو جلب المنفعة والمغانم اليهم باية وسيلة كانت . ولذلك السبب لم يعبأوا بنشر التعليم ولم يهتموا به وجاراهم في ذلك المسلمون منا اقتداءً بهم فلم يهتموا ايضاً بتحصيل العلوم والمعارف في زمن هؤلاء الولاة الغاشمين الا القليل منهم فانهم كانوا يقفون انفسهم على تعليم الدين في الجامع الازهر المعمور . اما غيرهم من الطوائف الاخرى فصرفوا جل اهتمامهم الى حفظ حياتهم وكيانهم بالعلم . ودليلنا على ذلك ما كان عليه الاقباط من المنزلة الكبرى في مناصب الدولة المصرية والمقام الاعلى فكانوا متقلدين وظائف حسائية وكتائية وادارية كلها على جانب عظيم من الاهمية والخطارة دون منازع او مزاحم لانغاس المسلمين في بحار الجهل واستصغارهم لامثال هذه المناصب التي لا تليق على زعمهم باصحاب البلاد نظيرهم

على انه ما مضى زمن كبير يذكر حتى من الله سبحانه وتعالى على بلادنا وعلينا بولاية المرحوم الحاج محمد علي باشا كبير الاسرة الخديوية الكريمة . الذي نظر لامر التعليم نظرة الحكيم العاقل فوجه نظاره الى المعارف وخطا فيها الخطوة الكبرى مما لا يزال أثره باقياً بيننا للآن . وبين ظهرانينا الآن بضعة من اولئك التلامذة الذين درسوا في المدارس التي أسسها رحمه الله من ابتدائية وتجهيزية وعالية

وكانت العلوم التي يتلقاها الطلبة فيها من هندسية فطبية على نوعيها البشري والبيطري فعسكرية فملكية . وكان اثاره الله وطيب ثراه يجبر اهالي التلامذة على ارسال اولادهم الى المدارس المجانية التي كان يصدق عليها من فيوض مراحه واحساناته . وكان يبعث بالنابغ منهم الى اوربا لتعليم العلوم العالية حتى اذا عاد استعان بامثاله^(١) في القيام باعباء الوظائف في خدمة الحكومة وتنظيم شؤونها^(٢) ودام على

(١) ومع هذا فلا ننكر ان بعضاً من المتعلمين في البلاد الاوربية لم يجعلوا في المناصب التي يليق بهم ان يكونوا بها فضاع كثير مما كان يؤمل ان ينمو بيننا نمواً حقيقياً فان كثيراً

عمله هذا حتى توفاه الله وخلفه من بعده ابناءؤه الكرام الذين حذوا حذوه في عمله المشكور الى زمن الخديوي الاسبق "اسماعيل باشا" رحمه الله الذي تقدمت المعارف في اول عهده ونمت واخرجت العلماء والفضلاء فكانوا منارة ساطعة في ظلام الجهل وائمة تحج اليهم ركاب الطلاب من كل صوب وناد . ولكن لم يكد التعليم يبلغ ذلك المبلغ الكبير حتى اخذ في اواخر ايامه بالتأخر والهبوط وابتدأت المعارف في هبوط مستمر وخصوصاً قبل ايام شبوب نيران الثورة العرابية وما بعدها . التي اوجبت تشويش كل عمل نافع في ذلك الحين وبعده . فاعتري ازهار المعارف اليانعة الذبول واقمار العلوم المشرقة الافول وعفت آثار العلم وعلت عناكب النسيان والاهمال جدرانها وكادت يد الاقدار تمحو ما خطته يد التقدم من الفنون لولا ان قيض الله محيي مواتها ومجدد آثارها سليل المجد وريب الكفاءة ساكن الجنان المرحوم "توفيق باشا" الخديوي السابق الذي في عهده انتعشت روح العلوم وعادت الى سابق مجراها ولكنها لم تكن لتصل الى ما وصلت اليه من قبل . وسبب ذلك عدم الاهتمام الذي اظهره الخنلون للبلاد وقلة ما هو مخصص لها في ميزانية الحكومة

ويكاد المستفسر عن ذلك يعلم من متولي ادارة المعارف قولهم ان على الاغنياء والموسرين ان يتبرعوا بشيء من اموالهم للاعمال اللازمة لنظارة المعارف . وان

من الذين اتقنوا الرياضيات والطبيعيات لم تستقر وظائفهم على ما علموه ليكونوا عاملين حقيقة بل جعلوا في وظائف وان تكن سامية ولكن بجزاوتهم لها أهملوا ما كان ساطعاً في نفوسهم ففقد القطر الانتفاع بما عندهم في الوقت الذي كان احوج ما يكون اليهم وعلى كل فان ما تحصلت عليه مصر في ذلك الحين لم يكن منتظراً ان نحصل عليه ببضعة قرون والله في خلقه شؤون (٢) نوجه التفات القارئ الكريم اقراء ما كتبه المغفور له علي مبارك باشا في كتابه "الخطط التوفيقية" المطبوع سنة ١٣٠٦ هجرية عن تاريخ حياته

يتباروا في ميدان البذل والعطاء كما جرت عادتهم في بلادهم فاعلوا بهذه الوسيلة منار العلم والادب بين ظهرانيهم سعياً وراء الارتقاء لان المرء عليه ان يتوخى في اعماله نفع وطنه وبلاده وهذا اعظم سر لارتقاءهم في مضمار الحضارة وال عمران في هذا الزمان . وانت لو اعترضت عليهم لحاجوك بقول آخر . وهو لماذا لم تساعد الاوقاف على انتشار المعارف وانتشار المعارف كما تعلم عمل يرضى به الواقفون لكونه عملاً خيراً . فان اجبتهم ان بين المعارف اوقافاً يبلغ ريعها من ٣٠ الف جنيه الى ٣٥ الفاً كل سنة وقفها الكثيرون من اهل الخير كما اوقف ساكن الجنان اسماعيل باشا الخديوي الاسبق على الكتابات الاهلية تفتيش الوادي وزوائد المساحة في المديرية والخصص التي آلت الى بيت المال . اجابوا انه واجب على الامة انفاقها على المعارف لحيائها وتعميمها ليعود عليها وعلى ابنائها بالرجح فيرتفع شأن الوطن والوطنيين ويزيد العلم في مجدهم وفخارهم لان المرء يعتز بعز أمته ويذل بذلها وما مدارس الحكومة الا مثال للمدارس الخصوصية يسج على منواله الناسجون . نعم لا مرء في ذلك كله ولكن كيف تفهم الامة ذلك وهي في حالة ظاهرة من التأخر ولو انه قد ثبت بالاستقراء ان المصريين ليسوا اقل من الانكليز والفرنسيين سخاءً وبذلاً للمال ولكن اكثرهم لا يضعون كرمهم في مواضعه ليخسروا منه الثمر المطلوب ويعود بذلهم بالنفع عليهم . وقد ادرك الكثيرون ذلك اخيراً فانشأوا المدارس الخاصة بهم لتعليم ابنائهم وتنافسوا فيها ولكن لا يزال المسلمون وهم الاكثر عدداً اقل هممة من الطوائف الاخرى المتألفة منها الامة المصرية لقلّة المطمع على فائدة التعليم منهم . ولبيان ذلك نقول لما علم نبهاء الامة القبطية ان لا وسيلة لبث العلم والمعارف الا بالمدارس الاهلية الحاضرة على التعليم لينشأ فيها رجال الغد مستكملين للفضائل عالين بمعرفة ما ينفع وما يضر بلادهم وابنائهم . نهضوا نهضة

كبرى لانشاء المدارس الاهلية ولم يدعوا فرصة تذهب سدّى لتشييد اركان
المدارس وتوطيد دعائمها فايضت عندهم رياض المعارف وسارت مدارسهم على منهج
من التقدم قويم . الا نحن معاشر المسلمين فانا رغبنا عن السعي وجعلنا دأبنا وديدتنا
التنديد على الحكومة لانها على مذهبنا ملزومة بتعليم اولادنا مدفوعة بحق الحكم الى
ترقيتهم في معارج التربية والتعليم وعكفنا على التنديد اعواماً كثيرة ولا نزال حتى
الآن مع علمنا بان باقي الطوائف قد اهتمت بتعليم اولادها باعتمادها في ذلك على
نفسها وعلى غيره افرادها حتى تقدموا وتأخرنا نحن لاصرارنا على مطالبة الحكومة
بتعليم اولادنا وعدم اهتمامنا بان نعلمهم بانفسنا وقد تمر السنين ويشب الولد ويكبر
ونحن نتناسى واجباتنا القومية في هذا المطلب سائلين الحكومة المبادرة الى عمل
ما نلظنه من واجباتها دون ان نفتدي بالطوائف التي تسعى لازالة عوائق التقدم من
سبيل غايتها المجيدة وازالة كل آفة تلحق بسير التعليم ضرراً حتى حصدوا اخيراً نباتاً
جيداً ونحن حصدنا نتائج اهلنا وعاقبة نقصيرنا^(١) ثم هم يطلبون الاحسن فائدة
لتقدمهم مشمزين عن ساعد الجد باذلين قصارى الجهد . وما حملهم وحقق على
الجهاد في سبيل التعليم غير علمهم بان لا شيء يخول للسيد سيادته وللخادم خدمته
الأسبب معرفة الاول بما يوصله للارتقاء وعدم معرفة الثاني ما يرقيه في مدارج
العلاء . نعم لا ننكر فضل الهمة التي ظهرت اخيراً ولكن ذلك قليل على امة
تعدادها يقارب تسعة ملايين من النفوس . ولسنا في الحقيقة الا متأخرين اذ لو
قابلنا بين عدد المدارس الاهلية الاسلامية والمدارس التي للطوائف الاخرى في

(٢) ان نسبة المسيحيين الى المسلمين اقل من نسبة ٢ الى ١٠ ومع ذلك فعدد التلامذة
المسيحيين الذين نالوا الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٠ ٢٥٠ اي اكثر من ثلث التلامذة الذين
نالوا الشهادة كلهم

كل بلد لوجدنا ان نسبة ما للطوائف الاخرى يضاهي عشرة اضعاف مالنا . خذ
لذلك مثلاً اي بلد شئتُ تر صدق ما نشير اليه . ونحن نقدم لذلك مثلاً مدينة
سوهاج في الوجه القبلي فان فيها خمس مدارس وطنية عدا مدرستها الاميرية منها
واحدة للمسلمين واربعة للاقباط وكذلك المنيا فيها سبع مدارس غير مدرستها
الاميرية واحدة للمسلمين وست لاخواننا الاقباط ولا يعزب عن فكر القارىء ان
مدارس الاسلام قاصرة على تعليم الذكور اما مدارس المسيحيين ففيها من الذكور
والاناث على السواء والفضل كل الفضل في انتشار مدارس المسيحيين انما هو
لجمعياتهم . التي اوجدت فيهم النهضة الحقيقية في طلب المعارف . واذا دامت
نهضتهم هذه وعمت جميعهم لم يمر عليهم زمان طويل حتى يصبحوا في المعارف من
الذين يشار اليهم بالبنان ونحن يشار اليها بالعبادة والجهل . ولكن نهضتهم وتأخرنا
عائق مهم لتقدم مجموع الامة اذ هم بالنسبة اليها كنسبة ٦ الى المئة ونحن كنسبة
اكثر من ٩٢ في المئة بحسب الاحصاء الاخير فكيف تعز الامة المصرية والشطر
الاكبر منها جاهل واجبات الحياة والارتقاء . ان نهضة الاقباط حقيقة شهد بها
الكل واية شهادة اكبر من شهادة اللورد كرومر في تقريره الاخير من ان المسلمين
في مدارس الحكومة اقل من ٨ في المئة وعدد التلامذة من الاقباط في المدارس
الاميرية ١٧ في المئة فلا بد لذلك من سبب ؟ والسبب هو اننا نرى منهم حياءً
للتعليم واقداماً شديداً عليه وولوعاً بالتقدم . غير اننا نذكر علة هي السبب المهم
لانحطاط التعليم عندنا معشر المسلمين وهي ناتجة من فكر متسلط على الاغلبية منا
وهو قولنا عن مدارس الاجانب انها تميل قلوب التلامذة نحوهم ونحو دينهم . ولذا
نحجم عن ارسال ابنائنا الى مدارسهم ونحرمهم من التعليم فيها بيد ان الطوائف
الاخرى المسيحية قد عكفت على ارسال ابنائها اليها فنجحوا وتقدموا ونحن لم ننتبه

لهذه الغلطة ونقدم على انشاء المدارس التي تغنينا عنهم والتي نحن احوج اليها منهم
 الآ في هذه السنين الاخيرة وما سبب ذلك الا انقسامات الدين فان المسيحي يظن
 ان بواسطة ادخال ابنه لمدارس المسلمين يسلم والمسلم يظن ان بواسطة ادخال ابنه
 المسلم لمدارس المسيحيين يستنصر. وفي ذلك ما يدل على استحكام الجهل في عقول
 الآباء. "وقد كان الجهل هذه المرة مفيداً في الاقدام على التنافس" وتملك
 ملكة الانقسام بين العنصرين الوطنيين لدرجة تؤدي بهم للهلاك وهم لا يدركون
 والا لو علموا الواجب وتركوا الانقسامات من بينهم لانشأوا المكاتب لقبول
 الطلبة من المسلمين والنصارى معاً على نسق المكاتب الرشدية الموجودة في بلاد الدولة
 العلية التي يبلغ عددها المائة ما بين داخلية وخارجية ولا تمتنع ما نشاهده الان
 من احجام اب التلميذ عن ادخال ابنه للمدرسة التي تكون من غير مذهبه وملمته
 كما هو مشاهد في مدارس الجمعيات الاسلامية والجمعيات المسيحية. فانه مع
 عدم وجود المدارس للمسلمين في بلد يمتنع الآباء عن تعليم ابنائهم وكذلك تفعل
 امة الاقباط وغيرهم لو لم يكن لهم مدرسة والسبب هو الانقسام المتقدم ذكره.
 وجهل الاساتذة هو سبب آخر مهم - هذا ونبين للقارىء باجلى بيان عدد
 مدارسنا الاهلية الاسلامية ومدارس الطوائف الاهلية المسيحية ليتأكد لديه قلة
 مدارسنا وكثرة مدارسهم. نذكر ذلك على سبيل التنافس العصري المؤدي بالعقلاء
 الى التمسك باهداب العلم والتربية والذي هو سبب يجعل القوة في جانب القلة كما
 يجعل الضعف في جانب الكثرة حتى لا يضيع الوقت بالمجادلة ونقرير الحكومة
 والطلب منها تعليم اولادنا. والله يعلم ما نرجي اليه. فنقول: اشتغلت الافكار من
 عهد قريب بنشر التعليم في البلاد حتى انتهت الحال الى تأسيس بضع مدارس اهلية
 في البلدان ففي الوجه القبلي تأسست مدرسة زعزوع بك ببني سويف ومدرسة علي

بك رفاعة في طهطا وبعض مدارس لافراد آخرين عددها قليل . وفي الوجه البحري
وبالاخص المنوفية جمعية المساعي المشكورة التي لها ستة مدارس وفي الاسكندرية
جمعية العروة الوثقى التي انشأت من المدارس ايضاً ما يقرب من هذا العدد . وفي
القاهرة مدارس ايضاً اشهرها مدرسة القره جلي ومصطفى كامل وولي العهد والعمانية
والعزبة المتمدنة التي انشأها سمو مولانا الخديوي المعظم . وبعض مدارس ايضاً
للافراد لا يتجاوز عددها الست

أنشئت هذه المدارس وسببها التنافس العصري كما قدمنا فاذا اضفنا عدد هذه
المدارس الى عدد مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية الاربع التي سبقت الجميع في
انشاء المدارس وجدناها لا تتجاوز الثلاثين عدداً وكلها مدارس اسلامية . اما لو
قابلنا عدد المدارس التي للطوائف الاخرى فالتا نجد ان عددها اضعاف ما لنا من
المدارس بكثير فللاميريكان وحدهم على ما جاء في تقريرهم الصادر في سنة ١٨٩٨
١٨٠ مدرسة وللفرير والجزويت ما يقرب من الستين مدرسة . ولاخواننا الاقباط
الارثوذكس مدارس تابعة للبطركخانة عددها تسع وللجمعيات وللافراد مدارس
عددها ٦٥ مدرسة وقد وقفنا على هذا العدد من تقرير المرسلين الاميريكان
والفرير والجزويت ومن حضرة وهبي بك ناظر المدارس القبطية ومن حضرة رئيس
جمعية التوفيق وقد اخذت من حضراتهم كشوفات موضحاً فيها عدد المدارس
والتلامذة التي بها فسرنى ما علمته من النجاح الباهر . واني اقدر عدد تلامذة هذه
المدارس باربعين الف تليذ وكان بودي درج الكشف لولا خوف الاطالة
وسامة القارىء وكفانا دليلاً على صدق ما تقدم عننا وكفاهم فخراً على تقدمهم .
انهم اول من فتح المدارس في ام درمان وباشر التعليم فيها بعد طول انقطاعه عن
الامة السودانية فان جماعة الاقباط الارثوذكس المستخدمين هناك اكتبوا بواسطة

اسقفهم وجمعوا مقداراً وافراً من المال ثم ساعدتهم جمعية انتشار الدين المسيحي ايضاً بمبلغ ٢٥٠ جنيهاً مصرياً فانشأوا بالدرام التي جمعوها على هذه الكيفية مدرسة فيها على ما جاء في الجرائد ٥٠ تلميذاً مسلماً و ٢٧ مسيحياً و ٣ اسرائيليين^(١) فاذا عرفت هذا جميعه وعرفت الاسباب الناجمة من قلة التعليم فينا وأنا اقل هممة في التجارة والصناعة كما سنبين ذلك فيما يلي . فلا نفع باللائمة على الحكومة وننحي عليها بالتقريع ونقول عن الغير انهم نائلون اكثر من استحقاقهم في الوظائف وغيرها . كما ذكرت ذلك احدى الجرائد في احد اعدادها . بل حجب الى قومك تعليم ابنائهم وبناتهم واستنفرهم لفتح المدارس وتهيئة الاسباب التي تعدهم للارتقاء والنجاح فقد سلك من تقدم هذا المسلك وفاز في ميدان الحضارة وال عمران ونال قصب السبق على الاقران

المدارس التجهيزية

جميع ما تقدم ذكره خاص بالمدارس الابتدائية الاهلية . اما المدارس التجهيزية التي هي الوساطة بين العلوم الابتدائية والعالية . والتي هي من كليات المدارس وضرورة وجودها لازمة في وقت تهيأت لقبولها النفوس لسطوع نور العلم والمعرفة سيما وقد كملت فيه الاستعدادات التي توّهلها للظهور . وغير خاف ان النفوس راغبة في العلم ترجو ان تفتح امامها وسائل الارتقاء والعمل لتربية الشبية على تنمية عقول افرادها وتثقيفهم ليعملوا على ارتقاء امتهم وحفظها بعوامل المعرفة والعلم . وحتى تكون حلقة العلوم متواصلة مرتبطة

(١) راجع عدد ١٣٧٣ من جريدة مصر والمقطم الصادر في ٢٣ اغسطس سنة ١٩٠٠

ان شئت البحث عن هذه المدارس التجهيزية رجعتُ والنفس آسفة لعدم وجودها بين المدارس الاهلية . بل هنالك شبه مدرسة تجهيزية لاختواتنا الاقباط الارثوذكس بالقاهرة وأخرى مثلها للمرسلين الاميريكان باسيوط وثالثة هي عبارة عن قسم تجهيزي في مدرسة خليل اغا بالقاهرة توفيق اخيراً ديوان عموم الاوقاف الى انشائه . اما بين مدارس الحكومة فتلاث مدارس اثنتان بمصر والثالثة بالاسكندرية جميعها غير كاف لمن يتخرج من المدارس الابتدائية المتقدم ذكرها . فضلاً عن مدارس الحكومة

فلذا شعرت النفوس الشريفة بهذا النقص من عهد ليس بعيد . وكتبت الجرائد عن مسيس الحاجة اليه فصولاً ضافية . ولكن للآن لم يهتد الاغنياء في الامة الى السعي في انشاء مدرسة أهلية من هذا القبيل مسلمين كانوا او مسيحيين لانه لا يزال في نفوس هاتين الطائفتين الظن انه من الواجب على الحكومة ان تتشبه لهم من هذه المدارس ما يكفي عدد المتخرجين من مدارسها ومدارسهم الاهلية وفاتهم ان هذا عين الخطأ الذي كانوا يطالبون به الحكومة قبل انشاءهم المدارس الابتدائية الاهلية

وليس من الصعب ان يتحد ارباب المدارس الاهلية على ايجاد كلية لهم او بالحري مدرسة تجهيزية تسد عوزهم ونقوم بحاجتهم وهذا الواجب ملق على عانقهم وعائق من يمكنه ان يجمعهم على هذا وهو اولى بهم من دائرة معارف اهلية فان هذا العمل الاولي هو الباب الذي يدخل منه الى تلك وما علينا الا ان نستفز حميتهم وغيرتهم ونسأله تعالى ان يوفقهم لصالح الاعمال ويجمع قلوبهم على حب الخير العام والقيام بما يعلي شأن الامة ويصلحها آمين

المدارس العالية

المدارس العالية في القطر المصري عددها قليل واحتياج القطر اليها عظيم
 لمحبة اهله العلم في الوقت الحاضر اكثر مما في الزمن الغابر
 وليس في القطر كله من المدارس العالية الا بضع مدارس للحكومة فقط واغلبها
 يدل على اعناء المرحوم الحاج محمد علي باشا بالتعليم كما تقدم بيانه فللطب مدرسة
 واحدة حاضرها متأخر عما كان عليه قبلاً في زمن مؤسسها رحمه الله . ينفر من
 دخولها التلامذة لقلة انصاف الحكومة للمتخرجين منها . فان التاميد بعد ان يحوز
 الدبلوما يتقاضى راتباً قدره ثمانية جنيهات في الشهر . وهو مبلغ حقير لقاء عمل
 كبير . وناهيك بدراسة فن الطب فان له من الصعوبة في الوقوف على حقائقه ما
 ربما ينقضي العمر ولا تنقضي معرفتها ومن الغريب لدى الحكومة ان تعطي اقل
 مستخدم من عملها كالكتبة وخلافهم عشرة جنيهات في الشهر والطبيب ينقد من
 فيوض كرمها ثمانية جنيهات او اقل فلا بدع ان قل الراغبون في دراسة هذا الفن
 الجليل . ولا غرابة ان نرى اغلب الاطباء الموظفين في الجيش المصري من
 السوريين المتخرجين من مدارس الاميريكان في بيروت

اما عن مدارس الصناعة فليس للحكومة منها الا اثنتان احدهما في القاهرة
 والثانية في المنصورة . اما المدارس الصناعية الاهلية فلا يوجد منها شي^(١)
 ومدارس الزراعة لا يوجد منها سوى واحدة وهي ايضاً للحكومة . ولا يخفى عليك
 احتياج القطر وهو زراعي محض لمدارس الزراعة . وافتقار اهله اليها اشد مما يتصور
 (١) وغاية ما يعرف عن مدارس الصناعة الاهلية ان في عزم جمعية العروة الوثقى الخيرية
 الاسلامية انشاء مدرسة بالاسكندرية بما جمعتها من الاكتتاب اخيراً وبما فضل عن مال
 الجمعية البالغ قدره ٤٣٥ جنيهاً الا كسر الجنيه

الذهن بكثير مما سيظهر معنا فيما يأتي . وهذه المدرسة تخرج منها في السنة الماضية تسعة تلامذة فقط اثنان منهم من الاجانب (اليونان) والسبعة الباقون من الوطنيين . فالاولان ايا الا الاستخدام في اطيانهما والقيام على غرسها ونميتها . والآخرين استخدم بعضهم في بعض التفاتيش والبعض الآخر في مصلحة الدومين^(١) اما مدارس التجارة فلم يتح الله للقطر منها شيئاً كما لم يتح للمشرق باسره بذلك اذ لو فتشت عن مدارس التجارة في كل بلدان المشرق لا تجد سوى قسم صغير في المدرسة الكلية الاميريكية في بيروت " كان انشاؤه في اول هذا العام ولم يكن من قبل موجوداً " فلا عجب اذاً من تأخر التجارة على ما سيأتي القول عنها في موضعه^(٢)

غير انه يوجد مدرسة للحرية واخرى للمهندسخانة ومدرسة واحدة للحقوق من اشاء الحكومة . ومن امثال هذه الاخيرة يوجد قسم ليلى لتعليم الحقوق تحت مباشرة جماعة النزلاء من الفرنسيين . وهذا القسم كان سبباً مهماً لمن تعلم فيه من جماعة المستخدمين للانفكاك من قيد الاستخدام في الحكومة ومباشرة حرفة المحاماة . اما مدارس التلامذة " المعلمين " فلا يوجد الا مدرسة منها واحدة وقسم للمعلمين بمدرسة التوفيقية . ولا يوجد قسم ولا مدرسة لاجراء المعلمات ليباشرن تعليم البنات ولذا كانت معلمات البنات المصريات من متخرجات مدارس سوريا

(١) جاء في تقرير اللورد كرومر سنة ١٩٠١ ان في هذه المدرسة الآن ٥٤ تلميذاً ٣٤١ منهم مصريون و٢٠ اوريون . اي نسبة من فيها من الاجانب اكثر بكثير من الوطنيين
(٢) بينما نحن نكتب هذا علمنا ان جماعة من اليونانيين القاطنين بمصر قد رأوا ان ابناءهم في حاجة شديدة لتعليم اصول التجارة وقواعدها حتى ينبغ منهم التجار . فعقدوا النية على تأسيس مدرسة وجعلوا رأس مالها ٢٠٠٠ جنيه في بادئ الامر تجمع بطريق السهام وكل سهم قيمته اربع جنيهات فتأمل

هذه هي حقيقة حال المدارس العالية في القطر المصري . ومنه يظهر عظم الحاجة وشدة الافتقار الى العلوم العالية . حتى يرجع للامة بعض المجد والسؤدد الذي نعلمه من مطالعة كتب التاريخ من انه كان منا الاساتذة في الطب والكيمياء والطبيعة والعلوم الرياضية والصناعية والتجارية وعلوم الحقوق والفلسفة والجغرافية وعلم الاقتصاد وغيرها

مدارس تعليم البنات

تعليم البنت فرض من فروض الانسانية وركن من اركان المدنية . لان الله اوجدها شريكة للرجل ومساعدة له وعاضدة اياه في شؤونه فهو بدونها ناقص تدفعه الطبيعة نحوها لسد الخلل الموجود فيه . هذه سنة الله في الخلق ولن تجد لسنة الله تبديلاً . فاذا كانت عاضدة الرجل ومكملته مهذبة معلمة مدبرة ذات اخلاق راضية اثرت على الرجل بل كانت اكبر عامل على انخيازه اليها والتمسك بعادتها والتخلق باخلاقها وبهذا عمار الكون

ومن الغريب ان تعليم البنت المصرية منذ بضع عشرة سنة كان لا يعرف عند المصريين كافة لجهلهم فائدة تعليمها ولزعمهم ان البنت اذا تعلمت وثقفت ترجع بالضرر على العائلة وتكون في عرفهم اهلاً للغازلة والمكاتبة مما يفسد الاخلاق . عكفوا على هذا الزعم مسلمين واقباط . لان عوائدهم واحدة واخلاقهم واحد لا فرق بينهما . وظللت الحال على هذا حتى اهم الله ولاية الامور وانشأوا المدارس لتعليم البنات . قامت الحكومة اولاً بتأسيس مدرسة غير ان الامة كانت تنفر من هذه المدارس نفور السليم من الاجرب . حتى ان هذه المدارس كانت لا تحتوي

الأعلى البنات اللقيطات فكان بعضهن بعد ان يتعلمن القراءة والكتابة يتلقين
 دروس فن الولادة وتطبيب النساء في قسم خاص لهن بمدرسة القصر العيني
 اما الاجنبيات من جماعة النزلاء الافرنج في البلاد فكان لهن مدارس اهلية
 مخصوصة يتعلمن فيها . الى ان وفدت بنات سوريا على مصر بعد ان تعلمن في مدارس
 الاميركان وغيرها في بلاد الشام . فاتحدن مع المدارس الاهلية للاميركان والفرير
 والجزويت وفتحن ابواب مدارسهن للبنات المصرية . فكان الاقبال عليها من بنات
 سوريا لاغير . وظل المسلمون والاقباط على زعمهم بانه لا يجوز تعليم البنت لان
 التعليم مضر بها فلذا تقدمت البنت السورية ايضا نقداً يسر الخاطر على البنت
 المصرية مسامة كانت او قبطية

غير انه لما ظهر نفع التعليم والارشاد للبنات باجلى بيان ترك الاقباط المسلمين
 على زعمهم الذي كانوا متمسكين به معاً . وتقدم قسم من الاقباط لتعليم البنت فنجح
 وما زال الاقبال منهم يتلو الاقبال حتى ظهرت لهم منافع ذلك فاقبلوا عليه بعد ان
 كانوا مدبرين وادخلوا بناتهم في مدارس الحكومة ومدارس الاميركان والراهبات .
 الى ان ضاقت بهن على سعتها فقاموا اخيراً « والفضل لجمعياتهم » وانشأوا دور
 التعليم الخاصة لهن واخذت البنت السورية تدأب على تعليمها المصرية
 ومن مطالعة تقرير المرسلين الاميركان يظهر ان عدد البنات عندهم بلغ في
 سنة ١٨٩٨ - ٢٧٢٠ بنتاً كلهن من بنات الاقباط الا قليلات يُعدَدَن بالعشرات
 من بنات الاسلام . وكذلك يظهر من الكشف الذي اخذناه من ناظر المدارس
 القبطية ان لدى مدارس البطركخانة ٤٢٥ بنتاً وكذلك ظهر من الكشف الذي
 اخذناه عن مدارس جمعيات « التوفيق » ان لديها ما يقرب من الفين وخمس مئة
 بنت . اما لو اضعنا الى ما تقدم عدد البنات اللواتي في مدارس الحكومة ومدارس

الراهبات وغيرها بلغ عددهن ما يقرب من الثمانية عشر الف بنت مصرية قبطية .
كلهن يتعلمن نظام بيوتهن . مع هذا العدد العظيم لا يتجاوز عدد البنات المسلمات
اللواتي يتعلمن الفين وخمسمائة بنت لقلة اهتدائنا لتعليم البنات او توجيه العناية من
موسرينا الى انشاء المدارس لها^(١)

ولسوف تبني الامة القبطية عن قريب ثراً طيباً صالحاً هي في حاجة اليه
مثلاً . اذ لو فرضنا ان هؤلاء الثمانية عشر الف بنت . هن في سن العاشرة وعرفنا
ان زواج البنات المصرية على الاغلب في سن الثامنة عشرة عرفنا انه بعد مضي ثماني
سنوات يكون لدى هذه الطائفة ثمانية عشر الف بيت منظم مرتب فيها من يساعدن
ازواجهن على مكافحة الزمن والفاقة اذا تزلت . فيها من يساعدن ازواجهن على تربية
ابنائهم . من يساعدن اهلهن على معرفة صلاحية وتطهير المنزل وتقية هوائه
وترتيب الاثاث فيه مع التوفير في اللبس وغيره . وهكذا يستمر تقدمهم على هذا
الموال اذ في كل سنة يخرج من بناتهم مثل هذا العدد

ودعنا نحن معشر الاسلام تنفر من تعليم البنات ونخرج بعدم جواز ذلك .
ونقول بان المعلمات اللاتي هن اهل لتعليم بناتنا لا يوجدن فيما بيننا وان وُجدن
فعددهن قليل في بلادنا المصرية او انهن غير اكفاء للتعليم والارشاد وان كان
هذا الاحتجاج الصبياني مردوداً ومردولاً لما نعلمه من ان في البلاد السورية التي
هي على قرب منا كثيرات من المدرسات اللواتي مارسن صناعة التعليم . ولا بأس
من احضار بعضهن للتدريس والتعليم . حتى اذا وُجد من البنات عندنا من يكون

(١) استغفر الله . في عزم فرد فاضل منهم (احمد باشا المشاوي انشاء مدرسة لتعليمهن
في طنطا وفي عزمه عند اتمامها الشروع في بناء مستشفى للمرضى والمساكين . انظر جوابه لحضرة
الدكتور شبلي شميل المدرج في عدد المقطم الصادر بتاريخ ٤ اكتوبر سنة ١٨٩٩

في امكانهن القيام باعطاء الدرس والتعليم نستعيض بهن عن المدرسات السوريات وليس في ذلك عار علينا ما دام السلف الصالح تلقى العلوم العالية من كتب اليونان والرومان وغيرهم من الاعجام والامم السالفة . وهاته السوريات اقرب الناس منا واحسنهن مودة الينا فهلاً نرضى ان نتساوى وسائط الترقى بين ابناء الوطن الواحد في هذا العمل الصالح والله سبحانه وتعالى يقول (من عمل صالحاً من ذكرٍ او أنثى وهو مؤمنٌ فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون)

الجمعيات

وجدت الجمعيات في الاسلام حين وجد . وناهيك بالجمعية الاولى . التي كانت اول جمعية ومعاهدة اسلامية . وهي المسماة "بيعة الرضوان" عقدها النبي "صلى الله عليه وسلم" وبايعه فيها الاصحاب العشرة الكرام . بعد التمام تحت الشجرة لجمع الكلمة وظهور الرسالة . ثم ان هؤلاء العشرة اصبحوا مئات والوفاء بعد ذلك . ولو رجعنا الى البحث والاستقراء لعلمنا كيف تجتمع الاجسام وتتألف القلوب وتجتمع الكلمة والمتأمل في سيرة الاسلام الاولى يجد ان الجمعيات لم يخل منها قطر من اقطاره وكانوا يقتبسون من نورها الاستبصار والاستبشار "حتى ان الائم بعد دخوله اليها يخرج بالفوز ويحظى بالسعادة والقانط بدخوله اليها يخرج وهو اشد ما يكون رجاءً يرتاح الى العمل وتفرغ عليه السكينة بعد الدهشة والراحة بعد الحيرة"

وتلك الجمعيات كانت في زمن انتشار المعارف والعلوم اما وقد عمت الظلمة بعد ذلك النور بتملك الجهل لنفوس الكل فحاضر الجمعيات الاسلامية من التخازل

على ما نعلم وعلى الاخص بمصر نعم لا ننكر فضل الجمعيات الموجودة حالياً مثل الجمعية الخيرية الإسلامية وجمعية العروة الوثقى^(١) والمساعي المشكورة . وجمعية طبع الكتب العربية . الا انها ويا للأسف اقل من الواجب ان يكون في امة استولى عليها الجهل بعد العلم والفساد بعد الرشاد حتى انحط ابناؤها وبناتها الى ما تراه في حاضرها من فهمهم معنى الغرض من الجمعيات الى قصد الضحك والمجون والتكلم "بالانقاط" يتلقاها الكل من الاوباش بالقهاوي والافراح بدلاً من مجتمعات العلم والعرفان . ومن الغريب ان تدوم هذه الجمعيات الهزلية ولا تدوم تلك الجمعيات المفيدة التي شرع فيها بعض النبهاء . فانك لو شئت تعدد الجمعيات التي قامت لغرض شريف ثم عفت آثارها لعجبت . وعلى الاخص اذا علمت ان الذين انشأوها من ابناء المدارس ومشايخ الازهر وبعض رجال الفائدة والعمل . وما سبب عفاء آثارها واندثارها الا عدم تكوينها على اساس متين فلذا ينحل عراها في اقرب وقت وتصبح في خبر كان . ولو كان منشؤ الجمعيات التي عفت آثارها ممن ذكرنا فقط لاثمتسنا لهم عذراً يقبل ولكن ما قولك في جمعية ظهرت واخفت بسرعة عجيبة . ولو كان من اعضائها فحول العلم عندنا ورجال الادب منا . اجتمعوا على قولهم في مجتمع دعوه (مجتمع اللغة العربية) فما اثمر ذلك الاجتماع بشيء سوى الغوص في بحار اللغة واخراج بعض كلمات^(٢) قالوا باستعمالها بدلاً من كلمات دخيلة في اللغة العربية

(١) هذه الجمعية تأسست في شهر شوال من سنة ١٣٠٩ هجرية

(٢) واليك بعض تلك الكلمات

مرحى	بدل	براقو
مدره	"	افوكانو
المسرة	"	التيليفون
عم صباحاً	"	بون جور

هذا المجتمع ايضا عفت آثاره بعد الثامه مرتين او ثلاثا ولو استقصيت حقيقته لوجدت عدم ثبات اعضائه في مجتمعم هذا انما هو من اخلافهم في فهم معنى لغتهم ولذا كان انحلاله سريعا . وغاية ما يمكننا ان نقول اذا تكلمنا بوجود جمعيات علمية بيننا انه يوجد جمعية واحدة طبية مصرية لا غير . هذا فيما يتعلق بالجمعيات التي يطلق عليها لقب جمعيات العلم والادب . اما الجمعيات التي نحن في حاجة اليها حقيقة اي مثل جمعيات الحمامة والتجارة والصناعة لنموها ولزيادة الكسب ووفرة الربح من طريقها الصحيح فهي معدومة بالمره من بين المصريين جميعهم . ولم يفكر احد منهم للآن في انشاء جمعية من هذا القبيل . ولو كانوا يعلمون بوجودها بين ظهرائي اهل التجارة والصناعة من جماعة الافرنج النزلاء^(١) الذين لم يقتصروا عليها بل عمت الجمعيات عندهم حتى منعت القسوة عن الحيوان ومع كل هذا النقص المعيب نقول انا قد دخلنا في دور التقدم بفهم لوازم الحضارة والتمدن . ونحن في الحقيقة ليس منا غير القليل في الجمعية الجغرافية الخديوية وما بقي فيها فمن نزلاء البلاد

هذا ولا مندوحة لنا من التنبيه على امر ينبغي التفطن له والتنويه به اذ في ذكره ما يسر الخاطر من نحو اخواننا الاقباط الارثوذكس . فان لهؤلاء الاخوان ما حقنا ان نعظمهم عليه ونتمنى لنا حقيقة من حقيقتهم الدالة على تقدمهم علينا . واليك النظر لجمعياتهم التي منها "التوفيق" التي تحتوي على نبياء هذه الطائفة المحبوبة

عم مساء	بدل	بون سوار
البهو	"	الصالون
قفاز	"	الجواني

(١) للانكليز وغيرهم جمعيات تجارية لها على تجارتهم وصناعتهم فضل كبير ومن اهم جمعياتهم الجمعية التجارية الانكليزية بالاسكندرية

هذه الجمعية نشأت في سنة ١٨٩١ ميلادية بهمة بعض الافراد . وشمرت عن ساعد الجد وجعلت رائدها الثبات والاستقامة فنجحت النجاح الباهر الذي نود دوامه لها . وكان من ثمره ثباتها انها ابطلت عوائد كثيرة كانت مضرة بامتها وسهلت عليهم كثيراً من الاعمال واستت جمعيات فرعية تابعة لها في سائر مديريات القطر . وبهذه الوسطة اوجدت لابناء امته المدارس العديدة للبنين والبنات . وسهلت عليهم نقل موتاهم الفقراء بواسطة مركبات اعدتها لذلك وهي تصدر مجلة اسبوعية تدعى "التوفيق" تملأها كل اسبوع بالحث والترغيب في اقتباس العلم والاستضاءة بانواره . واخيراً اوجدت للجمعية سراي عظيمه مساحتها ٦١٠٠ متر وفي النية انشاء مستشفى لمعالجة الفقراء مجاناً . توصلت هذه الجمعية الى عمل كل ما ذكر بهمة اولئك الافراد وفي مقدمتهم سعادة رئيسهم الدكتور ابراهيم بك منصور وبهمة الحسينين من ابناء الطائفة الذين تبرعوا وما زالوا يتبرعون دواماً بما فيه قوامها ونجاحها . واولئك العاملون على ترقى الامة بالوسائط اللازمة للترقي اوجدوا ايضاً مطبعة خصوصية للجمعية^(١) ونادياً ومحللاً لمركبات دفن الموتى وقد اشترت الجمعية اخيراً مركبات للافراح فدل ذلك دلالة واضحة على حسن المستقبل الزاهر الزاهي . وعدا جمعية التوفيق يوجد جمعيات اخرى مفيدة منها جمعية المساعي الخيرية التي غرضها جمع الاحسان وتوزيعه على الفقراء وهذه الجمعية لها وقف تحت ادارة سعادة الفاضل بسيلي بك تادرس المستشار في محكمة الاستئناف . ريعه يصرف على الاعمال الخيرية كما تقدم

وجمعية النشأة القبطية تهتم بالفقراء ايضاً ولها اعمال نافعة من اهمها اصدار

(١) لمطبعة جمعية التوفيق هذه فضل يذكر على جريدتي مصر اولاً والوطن ثانياً .

فانهما عند اول ظهورهما كانتا تطبعان في هذه المطبعة

نتيجة سنوية . وجمعية التوفيق بمصر القديمة تابعة للجمعية المركزية وهي مخصصة للوعظ وتحتفل كل يومى الجمعة والاحد بالقاء المواعظ وتفسير الاناجيل للشعب ولها ايضا اعمال خيرية ممدوحة . هذا وفي الوجه القبلي لم جمعيات كثيرة سواء كان في بلد او قرية . ومن اشهرها جمعية الاعندال باسيوط التي يبلغ عدد اعضائها المائتين كلهم ساعون على الحض بنمذ شرب المسكرات او الاعندال فيه . ونحن لا نزداد الا شغفاً على الادمان في الخمر . وهي محرمة عندنا . كما اننا لا ندرى الى متى نبقى نشاوى وبقون ساهرين مجدين في مراقى العلى والتوفيق وكلنا امة مصرية واحدة . نسأله تعالى الهداية لنا جميعاً الى اقوم طريق

الاستخدام والمستخدمون

الاستخدام في الحكومة الآن دائى سرى مكروبه في جميع الشبان حباً بالمظاهرات الفارغة . واغلبهم غير ناظرين الى نتائجها التي هي على الغالب غير مفيدة للوطن فائدة تذكر لانها مدعاة للكسل وغير سائقة كما يراد للعمل . فترى الشبان بعد ان يفارقوا المدارس كلهم آمال في حياة الاستخدام . آمال مكذوبة يظنون انها تليق بشرفهم او علمهم وتهيهم من طوارق الفاقة والفقر او تعلي شأنهم وفاتهم ان من اقدم عليه يرهن الحواس الخمس والحرية والموهبة الطبيعية براتب طفيف يمنع عنه الجوع ويوجد في النفوس اليأس والخمول . والذي يزيد الطين بلة ان الوطن العزيز لا يعود عليه ادنى فائدة من استخدام ابناؤه خصوصاً في الاحوال والظروف الحاضرة التي لا تسمح لشباننا ان يتطلعوا الى وظائف عالية فيها حقيقة تكون خدمة الوطن والامة خدمة صحيحة مفيدة ثابتة دائمة . لان تلك بايدي قوم ساهرين على مصالحهم ونحن عنها غافلون

ومن الاسف العظيم ان هذا الامر هو مرض مصر العام المسبب منه عدم
 تكوين الثروة في القطر والمقعد بالهمم والقاتل لصفة الاعتماد على النفس واجمال
 القول انه قد كان يصح ذلك الاستخدام قبلاً وعند ما كانت وظيفة الاستخدام من
 اجل المهن واسماها . فان المستقصي سبب حب الناس الاستخدام قبلاً ووضعهم
 انفسهم بانفسهم في موقف المسخرين لقضاء ما رب غيرهم حتى استسلموا للقضاء وتركوا
 جميع الامم تتسابق في مضمار الجد والارثقاء وهم لاهون . ظن ان الحكومة
 منفصلة تمام الانفصال عن الامة . ورسخ هذا الاعتقاد في نفوسهم ان الحكومة
 هي الهيئة المخدومة والامة هي الهيئة الخادمة . مع ان الحال بضد ما ذكر . نعم كان
 بعض الشيء من ذلك في الزمن الماضي منذ عشرين سنة واكثر اما الآن فالحكومة
 وحكامها يعلمون انهم خدام للامة لا سادتها وتساوى الصغير والكبير امام الحق
 والقانون وامن الناس على ارواحهم واموالهم وحقوقهم كلها واصبح التاجر بتجارته
 والصانع بحرفته والمزارع بزراعته كل واحد يفيد الامة اكثر مما يفيدها بالاستخدام .
 غير اننا نقول ان الاستخدام في مثل المراكز العالية كلقضاء والادارة واجب لضرورة
 ذلك ولا انتظام هيئة الحكومة . ولكن اصحاب هذه المراكز مسأولون امام الامة
 بحفظ مراكزهم التي هي وديعة من الامة ويجب المحافظة عليها طبقاً للعدل والحق لا
 ان يتبعوا اهواءهم في وظائفهم ليحل بدلاً عنهم الاجانب فيسوسوا الامة بغير ما
 يلزم ان تساس به ولكن هؤلاً ليسوا المقصودين منا بالقول بل المقصودون هم
 اولئك التعساء الذين لا تفسر تعاستهم على ظواهر احوالهم
 واولئك المساكين من الناس الذين وصلوا الى وسط من حالة الحياة . ولا
 يزالون ينظرون بلهف الى ما فوقهم من الدرجات فرهنوا مستقبلهم كله على نوال
 مرغوبهم بطرق الاستخدام . وهم يظنون انهم بلغوا بها السعادة في مكان فسبح

الرحاب قد تحجب بالعزة والمكانة ولو كانوا ضمناً يشتغلون كالألة التي تتحرك من نفسها في قضاء اغراض ومآرب مديرها . اذ هم لا يعرفون الا ان يأتوا صباحاً في الوقت المعين وباشرون عملهم الذي يندر ان يتغير قليلاً ويذهبون الظهر الى بيوتهم فيأكلون وينامون ولا هم لهم الا النزول ساعة العصر من بيتهم الى القهاوي والاندية لتمضية الوقت وازهابه سدى بلا جدوى ولا منفعة خصوصية او عمومية . وكل يوم هم على هذا المنوال . والمستخدم واحد امس واليوم وغداً

ثم يحتجون لعدم زيادة مرتبهم ويلحون وهم باقون في مراكزهم . ولا يخطر ببالهم ان يعدوا انفسهم لعمل آخر ولذا يفضلون البقاء على حالة واحدة ولو كانت من مرادفات الموت . وقل ان ترى مستخدماً يحرص على سيرته وصيته ولذا هم في المجتمعات وفي طرق الخلاعات وادمان المسكرات لا يجارون ولا يبارون . ثم يشكون من حالتهم المعيشية . وما شكواهم في الحقيقة الا من تبيذيرهم واسرافهم بلا ضابط حتى فاقوا الحد عن قيمة افراد الامة وقد فاقوا غيرهم في التورط في الدين على اختلاف درجاتهم ومراتبهم . ولا ذنب للحكومة في هذا بل الذنب كله واقع عليهم . اذ الموظف منهم صغيراً كان او كبيراً يعتبر نفسه انه من طبقة خلاف طبقات الامة فلذا يعيش في الانفاق الكثير على المنازل والخدم والحشم ومما يضحك ذكره تقسيمهم لايام الشهر على ثلاثة اقسام فهم يعبرون عن العشرة ايام الاول منه "بالايام البيض" نظراً لرواجهم من قبض مراتبهم . والعشرة الثانية "بالايام الحمر" لانهم في هذه الايام الحمر يضطرون لصرف ما هو مقتصد معهم والعشرة ايام اواخر الشهر "بالعشرة السود" لانهم يقترضون من اهليهم او من جماعة المرايين "واكثرهم جماعة الدخانية الاروام" ولذا اذا قابل احدهم الاخر فقبل ان يسلم عليه يسأله ان كان للايام عليه تأثير ثم ان البعض منهم يحتاج

لذلك فترى جيوبهم بالدرهم محملة دائماً ساعة العصر والبعض منهم لا يبذرون في اوائل الشهر ولا يسهرون ويوفرون الى اواخر الشهر اسرافهم وتبذيرهم خوفاً من تبكيتهم بتأثير الايام عليهم - ومن من الناس لم تؤثر عليه الايام - والمستخدمون كلهم حساد بعضهم لبعض حتى ان بعضهم اذا عرف شخصاً لاول وهلة يسأله ما هي وظيفتك في الديوان وكم هو مرتبك في الشهر . فان وجده متقدماً عنه اسف على حالته وتعاسته وسب مصلحته ووظيفته نادباً الزمن ومصائبه التي انكبت عليه . وان وجده دونه سقط من عينه ولم يعد يعتبره ان رآه مرة اخرى " وقد وقع لنا من قبيل ما ذكرنا شي كثير " . وهذا امر سببه ان السعد والنحاس ملازمان للمستخدمين من عهد قديم فان بينهم فئة تعرف بالفئة الداخلة هيئة العمال وفئة تعرف بالخارجة عنها ^(١) وللأولى حق في المعاش بعد ان تعمل في الخدمة مدة معينة ولو كانت الاولى على بساط الراحة . والثانية محرومة منه ولو انها كما النصب واذا بها العناء . وعلّة ذلك تعدد الاوامر التي اصدرتها الحكومة في هذا الشأن من قديم وحديث ^(٢) وليس من دليل اوضح من الدليل الآتي على ظلم المحاباة بين المستخدمين

كان في مصلحة البوستة حتى سنة ١٨٩٧ رجالان خدما فيها اكثر من اربعين

(١) في الوقت الحاضر اغلب مستخدمي الحكومة في نظارة الاشغال ومصلحة السكة الحديدية المصرية والبولصة والتلغراف وغيرها من هذه الفئة لا فرق بين الوطنيين والاجانب فانهم كلهم " ظهورات "

(٢) بفضل هذا التمييز في الازمنة الماضية نال كثيرون مع عائلتهم شيئاً كثيراً من المعاش وهم الآن يتنعمون به وان كانوا لم يفيدوا الامة بشيء بل قد يمكن انهم اضرابها واستعبدوا عباد الله وسلبوهم اموالهم وايمانهم . ولا يزال باقياً منهم من له في المديرية ما ينيف على المئة او المائتين فدائماً وعن خمسين او مئة جنيه شهرياً في " الرزنامة "

سنة بامانة واستقامة منذ عهد جنتم كان الحاج محمد علي باشا ووظيفتها كانت اخذ البريد سعياً على الاقدام من القاهرة الى الاسكندرية وذلك قبل انشاء السكك الحديدية . وكثيراً ما كان احدهما يسعى ليوصل مراسلات الولاية السالفين "وبالاصح المرحوم سعيد باشا" ولا يتأتى له ذلك الا بعد التعب الشديد . فقد كان يذهب احدهما الى البلدة التي يقال له ان بها الوالي فلا يراه فيها ويعلم انه ذهب الى غيرها فيتبعه اليها . وقد كان نصيب احدهما بعد ان هرم وشاب ان يعين ليوصل الدراهم والمراسلات من العاصمة الى بولاق مصر ذهاباً واياباً ثلاث مرات في اليوم . ولما وهنت رجلاه وخارت قواه عين في بوسته مصر يشتغل فيها وعمره قد ناهز الخمسة والسبعين فمكث مدة يشتغل من الساعة السادسة صباحاً الى الحادية عشرة مساءً وليس له يوم راحة في الاسبوع كله . ثم عجزا عن القيام بخدمتها فترأى للمصلحة ان تعزلها فأمرت بذلك ولو لم تقرر شركة الاقتصاد والتعاون الخيري في البوسته التي أسست بهمة سعادة مديرها العام "يوسف باشا سابا" اعطاءهما مرتبهما سنة كاملة رافعة بهما وبعائلتهما لذهبا ولسان حالهما يقول مع باقي امثالهما من المستخدمين

ما ذا بقيت من الدنيا واعجبها اني بما انا بالك منه محسود

في هذا الباب الضيق المنافس المملوء بفقدان الشهامة المضيع لزمن الشبية المصرية . المبعد لنمو الثروة . المرابي في النفس الاعتماد على الغير . يلقي الشبان المتعلمون انفسهم بايديهم ولا يسعون في طرق ابواب المعاش الاخرى كالتجارة . والزراعة والصناعة فانسخوا عن كل شيء من موارد الكسب الصحيح والعمل المفيد ولم يبق لهم قوام ذاتي الا التعلق باذبال الحكومة واهداب الوظائف وهيئات لهم ان ينالوها الا بشق الانفس وارقاة ماء الوجه وليس ما ينالونه مما يذكر ولكنه

من سقط المتاع وما زالوا على هذا الحال حتى فقدت الامة اواسطها من المتعلمين .
وباتت في انين دائم . وذل مهين . لطف الله بعباده . واهم شباننا الى ما فيه
صالحهم وصالح الوطن العزيز . انه على كل شيء قدير

التجارة

قال صلى الله عليه وسلم (ما ألقى تاجر صدوق)

وقال عليه الصلاة والسلام (رحم الله رجلاً سمحاً قاضياً ومقتضياً بائعاً ومشترياً)

وقال ايضاً من بورك له في شيء فليزمه

باب الاتجار مفتوح لكل داخل . وليس كباب الاستخدام يخص باناس
قلائل . وثروة البلاد موقوفة على التجارة . سواء كانت داخلية او خارجية . ويشترط
على من سلك سبيلها ان يكون سيره فيها على علم وبصيرة . وان يكون عنده مال
يدير حركة عمله التجاري . وباللحال ينتمز الفرص كلما ظهر له شيء رخيص يمكن
الاكتساب منه . وعلى هذين الشرطين قوام التجارة

وللتجارة شروط أخرى لازمة لكل تاجر وهي الاتصاف بصفات الصدق
رائدها في المعاملة ليستميل بها قلوب معامليه . والاتصاف بالامانة لمن يتراء شيئاً
عنده ليباع على ذمته . فان في ذلك مجلبة لقصد الناس له من اقصى الجهات .
وبالتمسك بالتقوى وما أمرت به الشريعة . حتى تكال تجارته بالبركة ورزقه بالتيسير
وبالاقتصاد حتى تنمو مكاسبه . وتظهر نتيجة تعبهِ وتزبد الرغبة فيه لتوسيع نطاق
تجارته . وبالبعد ما امكن عن الدين حتى لا تشتغل افكاره بها لا طائل تحنه —
وأحب شيء الى الانسان ان تعطيه ولو من مالك وابغضه ان تأخذ منه ولو حقك —
ومن أهم شروطها انتظام معيشة الانسان فيها على حسب القواعد الاقتصادية وترتيب

شؤون أعماله بحيث لا يتطرق اليها الاخلال والوهن وسوء الادارة فان هذا مما
يجب عمله ويجعل الناس غير واثقة بنجاحه

هذه هي شروط من يقدم على التجارة . وفيها لعمري مجال فسيح لاظهار موهبة
العقل . واستثمار ما بقي من المواهب . التي اودعها الله في الانسان "والعقل في
موضعه يمكنه ان يعمل من النار جنة ومن الجنة ناراً" ^(١) وناهيك بما في التجارة من
اللذة المتعاقبة عقب كل نجاح يثمره الاجتهاد فيها . اسأل التاجر المستجمع للشروط
المتقدمة تره يقص عليك ما منح من العطايا وما وهب من الارزاق . ولكن
لا يغرب عن فكرك انه ما نال ذلك عفواً . بل ناله باهتمامه الاهتمام الذي هو شأن
كل متجدد ثابت لا يؤخر عمل يوم الى غده . حتى انه يحرص كل الحرص على
عمله توقعاً للاحدوث الجميلة وهي من امدح الخصال في الرجال وكفى التاجر ان
يقال فيه ان فلاناً متوقد الفؤاد ذا حركة ونشاط يقدم على جلائل الامور

والتجارة حياة كل أمة . وما امتازت دولة على أخرى الا وقد كان للتجارة
الفضل الاكبر في سعادتها . تأمل تاريخ المشرق الماضي تر فضل اعتزازه الماضي
انما هو راجع لاشتغال اهله بالتجارة . وتأمل ضعفه الحاضر تر سببه ترك اهله
للتجارة . ولدينا حاضر اوربا فالدولة الاكثر اتجاراً لها السلطان الاول بين سائر
الدول تدوم لها المنعة والسلطان ما تاجر أهلها مع الامصار والاقطار

ومصرنا وان كانت ارضها زراعية يشتغل غنيها وفقيرها بالزراعة دون التجارة
والصناعة . الا انها منذ خمسين سنة كان اهتمام اهله بالتجارة عظيماً جداً فانه في
تلك الازمان قام من اواسط اهليها من احترف التجارة فنجح وافلح وكان ذلك
النجاح الباهر حينما استعمرت حكومتنا السودان في ازمنة الولاة الاول من العائلة

العلوية الحاكمة . ذلك انه ذهب البعض الى السودان للاتجار فكان ذهابهم سبباً
لموارد اليسر . ومنهلاً لسائغ الرزق . ارجع بنظرك قليلاً لتعلم توسع المتاجر في هاتيك
الاصقاع سنة بعد سنة . ولما شاهد على نمو التجارة في ذلك الاوان وهو قلة الوارد
الى البلاد ووفور المصادر منها . مع ما في ذلك الزمن من العسف والجور وعدم
سهولة المواصلات . ولا يزال بعض اولئك التجار الذين اتجروا بين القطرين في
قيد الحياة يرزقون . ويقص البعض منهم عليك حديث تجارتهم بالاصناف وغيرها .
كما قد يقص ايضاً الطرق والمسالك الوعرة والمتاعب التي اجنازها في ذهابه وايابه
وهم يعدون لك ان شئت المحال التجارية التي كانت واسعة المتجر قبل عهد الدراويش
حتى انه كان للتجارة مجالس مشهودة . غير انه قضت الحال بانفصال السودان سنة
١٨٨٤ ميلادية فاعتزل كثيرون الاتجار وباشروا بعضهم الزراعة . وما من مزارع
كان تاجراً الا وقد زادت زراعته واتسعت بتقدم مستمر ونجاح باهر لكونه وجد
من نفسه ميلاً وارتياحاً الى العمل والكسب

اما من بقي في تجارته الى الآن فقد اكتفى بالاسم ولو كانت تجارته في اشياء
قليلة كلها يجلبها الاجانب له من الخارج . هذا تاجر القماش صاحب الوكالة الكبيرة
في مصر ترد اليه الاقمشة باسمه وهو يخزنها في مخزنه وبيعها الى عملائه الاصاغر
لهذا مئة ثوب ولذلك خمسين ثوباً بزيادة مبلغ طفيف في المئة عما وردت اليه .
وباليتة يقبض الثمن فوراً . بل يقيده في دفتر الذمات ويدفع اليه العميل ثمن ما
اخذه اقساطاً بمواعيد متفاوتة كما هو ايضاً مع الفوريقة مقيد بكمبيالات يدفعها
عند استحقاقها بمواعيد متفاوتة ايضاً . وما يقال عن تاجر القماش يقال عن باقي
التجار حتى تجار الزيتون . اخبرني صديق "كسيونجي" لاحدى الفوريقات
الانكليزية للزيت ان تجار مصر يشترون الزيت والشحم بمعرفته من الفوريقة وهو

عند ذهابه الى الارياف يجدهم يبيعونه باقل من ثمنه الاساسي . اي ان كانوا قد
اشتروا الرطل الواحد بثلاثة غروش ونصف غرش يبيعونه بثلاثة غروش
وتجار الارز يفعلون كذلك فانهم يجلبونه من الاسكندرية ورشيد ويدفعون
عليه اجرة السكة الحديد ثم يبيعونه في مصر بمثل سعره في الاسكندرية واذا
اعترض عليهم معترض عارف بسعر البلدين وسألهم عن مكسبهم . احتجوا بانهم
يبيعون بجانبه صنفين آخرين من العطارة يرجون فيها ربحاً عظيماً

وغاليم جاهل بمعرفة اسعار اصناف البضاعة وقليل منهم يعرف غلاء الثمن
لقلة الموجود فانك لو ذهبت الى تاجرين مثلاً يتاجران في صنف واحد وساومت
احدهما على شراء شيء منه أخبرك بثمان ثم انت لو ذهبت الى آخر لاخبرك بثمان اقل
من الاول وان استقصيت السبب علمت انه يبيع لك مطلوبك تنكيلاً بجارهم او
انه قد يكون مستحقاً عليه دفع بعض الكمبيالات فيضطر الى البيع بالرخيص . ولقد
عرف بعض اهالي الريف ذلك منهم فلذا قد ينتقل احدهم من مخزن الى آخر
ليساوم السعر فمن رآه يبيع بالرخيص عن جيرانه يشتري منه . وقد يرضى التاجر
منهم ان يكون مكسبه صناديق الفوارغ كتجار الكبريت والشمع مثلاً . وهم مع
ذلك يفتخر بعضهم على بعضهم بكثرة البيع ولا يشعرون بخطائهم . الا اذا حان
أجل دفع الكمبيالات فتراهم يتململون ويشكون وتراهم يرهبون محصلي البنوكة وقت
مرورهم بهم وقد يظهرون لهم غاية الخضوع ومنتهى الذل والمسكنة

ولذلك اسباب غير ما تقدم وهي ان بعضهم اذا اتسعت تجارتهم بالقدر
”لا بالمعرفة“ يأخذون في مشتري العقارات التي كثيراً ما تكون داخل الحوارية
والازقة . حتى يقال ان السيد فلان صاحب ملك في الجهة الفلانية والجهة
الفلانية . وقد يشترون هذه الاملاك بالتقاسيط ويفضلون دفع اقساطها على دفع

ما هو عليهم للفوريقات ولو كان فيما ذكر شهرة الاسم ونجاح العمل وفاتهم معرفة
 الربح من الطرفين . اذ هما بلغت مكاسبهم من الاملاك لا تتجاوز ستة في المئة .
 اما في التجر فيربو الربح عنها ذكر . اذ لو فرضنا ان المقدار الف جنيهه والتجر به ووضع
 تحت امر التاجر لاربحه اضعاف اضعاف ما ذكر ولا غنى التاجر عن التذلل يوماً
 لمحصلي البنوكة ويوماً للقومسيونجي . ولوجد ما يدفع منه وقت الحاجة . وهو لو
 شغله لا يمكن التاجر الا شراء بالنقد وبالقد يمكن خصم ما يساوي اقله ٥ في المئة
 وفي خلال السنة يمكنه به ان يشتري ثلاث او اربع مرات فيخصم له ما ذكر أعني
 اربع مرات في خمسة تساوي عشرين في المئة بدلاً من الستة التي تعود من شراء
 الاملاك . وناهيك بالتاجر الذي يحنط في عمله في اخذه وعطائه فانه يشعر بلذة
 حقيقة في عمله فضلاً عن عدم انذاره بالبرستو يتلو البرستو وبالتهديد بحجز
 الاملاك وبالبعد عن الافلاس الميهن الذي يكون معرضاً له كل حين
 وليس للتجار حيلة او آراء محكمة في مباشرة تجارتهم بل حيلهم وآراؤهم
 لا تحضرهم الا اذا وقعوا في الامور المتقدمة . والا فمعظمهم يحضرون الى محالهم
 ضحى ويتروكونها عصرًا لحبهم النوم وايشارهم الراحة على التعب . ولداعي انهم كثيروا
 الاشتغال في اصناف يجهلون حتى في لفظ اسمائها يعتمد البعض منهم على الموظفين
 الاجانب فيشاركونهم في الربح ولو كانوا هم اصحاب رأس المال . او يستخدمون لديهم
 جماعة من الرجال العجائز المتقدمين في السن اهل السعال واحديداب القامة الذين
 ربما قد ينسون اكل الزاد اذا حضر . ويعطونهم مرتبات تافهة وهم مع ذلك ياتمنونهم
 على مخازنهم التي كثيراً ما يكون فيها عشرات الالوف من الجنيهات . نعم انهم قد
 انتبهوا اخيراً واستخدموا بعض الشبان ولكنهم يخلون عليهم ايضاً بدفع المرتبات
 الكافية لهم وهؤلاء لقلّة المرتب يلتزمون بالسير في طريق تآباه الامانة والعفة .

وكثيراً ما يلاحظ التاجر من سيرهم وسلوكهم انهم لا يخدمون بالشرف والاستقامة ولكن لكسلهم ولتصورهم انه لو خرج المستخدم نقف حركة عملهم يتركونهم يعشون باموالهم وهم ينظرون نظرة الحامل الابله . وأغلب مخازنهم بعيدة عن محلات بيعهم وشرايهم فاذا جاءهم مشتري نادوا على خادمهم ان يأخذ المفاتيح ويسلم عدد كذا من صنف كذا فيذهب هذا ولا يكاد يصل الا بعد ساعات لبعده المخازن وفي هذه الاثناء قد يتواطأ احدهم مع الشاري اما بتسليمه صنفاً غير الصنف المطلوب او باعطائه عدداً اكثر من مطلوبه لقاء مبلغ جزئي يعطى من الشاري للمخزنجي .

ولسبب عدم علمهم بحقيقة ما في مخازنهم او لكثرة ما يوجد من الصنف المطلوب فلا يمكنهم ادراك ما يسلم الى الشاري . هذا فضلاً عن عدم معرفتهم بحال مخازنهم وقل من يدخلها منهم في السنة مرة . ولو دخلها احدهم فعزير عليه معرفة ما تحويه لقلة الترتيب وسوء الانتظام . ولذا نرى كثيرين منهم يكتبون بقولهم لنا مخازن في الجهة الفلانية

وهذه المخازن أغلبها وكالات مهجورة يمكن السطو عليها في اي وقت كان . فضلاً عن عدم تسجيلها منهم امام شركات الحريق الامر الذي كثيراً ما تذهب بسببه تجارة احدهم كذهاب امس الدابر

وهم للآن جاهلون بطريقة تصدير بضائعهم سواء كان لداخلية القطر او لخارجه وجاهلون حتى طريقة ارسال طرود البوستة مع تحويل الثمن عليها . مع ان المصلحة المذكورة مهمة في هذا الباب بتسهيل عظيم بغية رواج وانجاح التجارة التي يمكن ارسالها بصفة طرود بوستة . ولمصلحة كتاب الدليل فيه كل ما ذكره باسطة عبارة ولكن لا اهتمام لاحد منهم به مثل اهتمام جماعة تجار الاجانب . فانهم ينتظرونه بالساعة حتى يقتنوه ويدركوا ما جاء فيه . وثمنه لا يتجاوز عشرة مليات وليس للتجار

الوطنيين اعنائاً بتجارة السجاير التي تصدر الى الخارج مع ان في ذلك رجحاً عظيماً لهم وان وجد منهم اشخاص فلا يتجاوز عددهم الاربعة وفي كل شهر يتأخرون عن شهر . فانك لو راجعت ما تصدر من محالهم في هذه السنة وقابلته على السنة الماضية لظهر لك كبر العجز بخلاف نجاح هذه التجارة عند جماعة اليونان والارمن . ويكفي التجار الوطنيين ان تنسب السجاير اليهم وانها مصرية من عندهم^(١) وليس النجاح مع جماعة الاوربيين قاصراً على السجاير فقط بل تناولوا كل شيء يربحون منه حتى تصدير بيض الدجاج بعد جمعه من البنادر والقرى بثن رخيص^(٢) وحتى البلخ فان لهم فيه مكسباً كبيراً لانهم يصدرون " العمري " منه الى الخارج في علب مخصوصة من الزنك يكون فيها البلخ مرصوفاً مرتباً . وغير ذلك من الاصناف الاخرى كالبرنقان والتين والشمام . هذه ابواب السودان قد فتحت والحكومة فيه قد انتظمت واسباب الامن فيه قد استتبت فمالنا لا نرى تلك المحال التجارية المتقدم ذكرها قد عادت الى اصلها . ومالنا لا نرى لنا في تلك البلاد نصيباً من التجارة كالسابق حتى لا يشكو التجار كثرة الموجود وقلة الطلب . وحتى لا يشكو التاجر من الدهر ومعاقبة الايام لانها تحرمه خيرات بلاده وتغدق نعمها على غيره من جماعة الاوربيين هذه امور يمكننا الاجابة عليها بقولنا ان من يتعاطى التجارة منا ليسوا في الاحنياط

- (١) بلغت كمية المتصدر من السجاير المصرية سنة ١٨٩٨ م ٢٤٦٩٢٨٣٧٤ سجارة وسنة ١٨٩٩ م ٢٩٤٩٠٥٨٩ سجارة كلها لجماعة التجار من الارمن واليونان
- (٢) بلغ المتصدر من البيض سنة ١٨٩٧ م ١٣٦٧٠٠٠٠ قيمتها ١٢٣٧٣ جنيه وسنة ١٨٩٨ م ٣٤٩٨٢٠٠٠ قيمتها ٤٣١٧٧ جنيه وسنة ١٨٩٩ م ٣٩٧٦١٠٠٠ قيمتها ٤٣٢٤٤ جنيه وسنة ١٩٠٠ بلغ قيمة ما صدر من البيض للخارج ١٠٣٨٠٠ جنيه واهم ما يصدر البيض الى بريطانيا العظمى . واكثره يستحضر من مديريات الوجه القبلي كقنا وجرجا واسيوط والفيوم ومن هذه المديرية الاخيرة يجلب احسن انواعه

فيها على شيء لانهم لم يسعوا الى الترقى فيها والاعتماد على شهامتهم مثل ما كانوا
قبلاً . والأفأكثر التجارة لبعض الاوربيين وبعض جماعة الارمن والسوريين
الذين هم في الحقيقة يدهم تجارة القطر . والسبب خمواننا وشهامتهم وتأخرنا ونقدمهم
والأفأبلاد السودانية اقرب اليانهم والحكومة واحدة فلماذا لا نذهب اليها
كالسابق . مع ان احد البيوت التجارية في منشستر كان له وكالة في الخرطوم
قبل عهد الدراويش فاعاد الوكالة الآن وهو يرسل اليها البضاعة والمنسوجات مثل
ما كان يفعل منذ عشرين سنة

وفي القاهرة كثيرون من الاروام وغيرهم لا يمر بهم يوم الا ويذهبون الى
الاقطار السودانية فينتخبون احسن البلدان وباشرون المشروعات التجارية . حتى
ان احقر البلاد هناك صارت تجارتها يدهم ولهم في معمر عملاء لاجل سرعة انجاز
الطلبات بكل دقة . وناهيك بطرود البوستة التي تسافر اليهم يومياً من قلم طرود
بوسته مصر . ويقرب متوسط عددها من مئتي طرد اسبوعياً كلها تقريباً باسماء
تجار من الاروام واليهود والسوريين . هذا عدا ما يرسل عن طريق السكة الحديد
برسم هاتيك الاصقاع

هكذا تكون حال التجارة وطريقة سيرها . ودع التجار المصريين وبالاخص
المسلمين منهم يقضون ليلهم ونهارهم بعمية بعضهم بعضاً ويرضخون للعجز والكسل
وحب الراحة الى ما فوق الحد المقبول والقدر المعقول والله عاقبة الامور

الزراعة

قال عليه الصلاة والسلام "التمسوا الرزق من خبايا الارض"
 الزراعة علم عملي مبني على الحقائق التي عرفها ارباب الزراعة بالاخبار .
 والزراعة افضل صناعة . وارجح بضاعة والفلاح الذي يبذل عافيته لتحصيل ما يفوق
 كفايته من الثمرات لتغذية ابناء نوعه وغيرهم من الحيوانات اولى بالاكرام واحق
 بالاحترام من غيره .

والزراعة تكاد تكون هي العمل الخاص لجمهور سكان مصر . وستبقى
 كذلك الى ما شاء الله . ولا يزدري بها الا من كان جاهلاً لفوائدها . وفي
 مقدمة هؤلاء جماعة منا قد انخرطوا في سلك الاستخدام الميري المتقدم ذكره .
 وسببه كما قدمنا جهلهم فضلها . وبالتالي استيلاء الكسل عليهم لما اعتادوا عليه
 في صغرهم من الخلود الى الراحة . والقناعة المزوجة بالذل بما يكتسبونه من
 استخدامهم في دواوين الحكومة ومصالحها . والآن لو كانوا يدركون فائدتها ولذة
 عيشتها لرأينا اولئك الذين استغنت الحكومة اخيراً عن خدمتهم بعد الغاء
 وظائفهم عاملين في خدمتها من استئجارهم للاطيان الاميرية وغير الاميرية
 ولكانت اوجدت فيهم الحنكة حب الكد والعمل واستتبات ما يخرج من الارض
 من فولها وعدسها وبصلها وقمحها وقطنها . بدلاً مما هم متعودون عليه من حب
 المعيشة الاتكالية في وظائف الحكومة . ولكن ليس رجال الاستخدام فقط هم
 الذين يستنكفون العمل في الزراعة بل وابناء الفلاحين أنفسهم الذين يخرجون
 من المدارس سنوياً ويعدون بالمئات . فهم ايضاً لا يعودون الى زراعة والديهم
 وحرف آباءهم . بل يبعدون عنها كل البعد ويستنكفون من نسبتهم اليها

ويطلبون الاستخدام في المصالح الاميرية بالاشغال الكتابية
 نعم ان ذلك لا ينقص عدد الفلاحين ولكنهم لو باشروا شؤون اعمال والديهم
 واهتموا بها لتقدمت الزراعة واستحيت الارض بفضل علمهم وعرفانهم وكدهم واهتمامهم.
 اذ الزراعة انما ترثقي بالعقل واليد وفي اجتماع العلم والعمل يكون التقدم الحقيقي.
 وفلاحنا في حاجة كبرى لامثال هؤلاء اذ ان جهله ظاهر في عيشته وحرفته
 اما في عيشته فدلينا عليه اخذه الاموال بالرباء الباهظ وحتى انه
 يقع في احبولة اولئك الذين يعيشون خلال دياره من جماعة الاروام وغيرهم^(١)
 وناهيك بالفلاح المصري وجبه للاسراف وجهله حاضره ومستقبله وقلة اهتمامه
 لغده قدر اهتمامه بيومه وهم المتوسعون في نفقاتهم في السير الى حد دونه السنه
 فضلاً عن خلق التنافس (حتى في الزواج) وهم الكثيرو الخصومات في معاملتهم
 بعضهم بعضاً لاقل سبب . وقضاياهم ومواقفهم في مزادات البيوع واخذهم وعطاهم
 مع جيرانهم واقربائهم . كلها اسباب تجر بهم الى الاسراف والاستدانة حتى
 توقعهم في تعاسة الفقر والعيشة الضنكة . حتى ان ديونهم اصبحت ثقيلة الحمل
 عليهم^(٢) وميلهم الى الفتور والى ما يسيء السمعة جعلهم في حاجة الى من يتولى

(١) وفي مصر وحدها من بيوت تسليف النقود نحو ٥٠ بيتاً . وهو اضعاف العدد الذي

يوجد في مدينة باريس

(٢) ظهر من سجلات المحاكم المختلطة في سنة ١٨٩٨ ان الدين الموجود على الفلاحين
 ٧٣٢٣٣٠٠ جنيه وقد يكون عليهم ديون غير مسجلة ربما زادت على ما ذكر ضعفاً او ضعفين
 ” وناهيك عما لحق بهم في سنة ١٩٠٠ بسبب الشراقي ومضاربات البورصة التي قدرها البعض
 بما يقرب من هذا المبلغ “ وليس لهذا الدين سبب موجب سوى انهم غير عارفين بالاقتصاد
 الزراعي وتقدير الدخل والنفقات . اذ يستدين الواحد منهم مبلغاً يشتري به ارضاً فلا يكون
 دخلها نصف ربا الدين

اعمالهم بالجد من اهل العلم حتى يجد فيهم حب الانتباه الى ما ينفع وما يضر .
اذ هم يبيعون محصولهم قبل حصاده او في ابتداء الموسم برخيص الاثمان . وهم لا
يعلمون ما يأتي به الغد من الاسعار . والشاهد السنة الماضية وما قبلها فانه مع
صعود الاثمان باعوا كلهم في ابتداء الموسم برخيص الثمن . فضلاً عن ولوجهم ابواباً
يجهلونها من شراء الاسهم والسندات التي كثرت اخيراً بسبب الشركات^(١) التي
لا يعرفون حقيقتها ولا ما هو الغرض منها مما يدل صراحة على احتياجهم كلهم لمن
يفهمهم حقيقة ذلك . والفلاح لو وفق الى من يعرفه ما يجلب عليه الضرر والى من
يعرفه ايراداته ومصروفاته لتحسنت شؤونه واحواله . ولبعد عن السير الذي يتبعه

اما جهلهم في حرفتهم فدلينا عليه قلة غلة الزراعة في القطر اذ هي لا تزيد
على الثلاثين مليون جنيه لو قسمت على السكان لما نال كل نفس سوى اربعة
جنيهات وهو مبلغ قليل بالنسبة الى ما تستغله الامم الاخرى التي اراضيها
كاراضيها مثل امريكا وفرنسا وغيرها فانهم يستغلون اضعاف هذا المعدل ولذلك
اسباب جمّة منها انقار الحرث والصرف وتعاقب الزراعة باضافة السماد لا تعاقبها
بقلة الدراية حتى يوذي لموتها . والسماد الجيد في مصر كثير . وحتى اذا لم يكن
موجوداً فيمكن استحضاره بالمعرفة وهو لو وجد وساعده خصب الارض المشهور
لضعف غلتها . افليس في القاء اجسام الحيوانات في النيل وفي الطرقات بعد
موتها ضياع لأعظم سماد . وهي لو تحفر لها الحفر وتطمر فيها الى ان تتحلل وتمتزج

(١) للشركات سماسة عددهم يزيد عن الثلاثة آلاف عدداً كلهم يسرحون في القرى
والبنادر لبيع الاسهم والسندات للشركات بتقاسيط شهرية من عشرين غرشاً الى مائة غرش .
” ذكر المؤيد الاغر “ ان شخصاً من النزلاء الافرنج انشأ من مدة ثلاثة سنوات بيتاً مالياً
في القاهرة رأس ماله الفين جنيه فاصبح الآن وهو صاحب خمسين الف جنيه مصري وهو لو
راعي الذمة في عمله ما ربح هذا القدر حتماً ومناماً . اهـ

بالتراب لوجد فيها فوائد عظيمة تنفع الارض فضلاً عن منافعها الصحية
 وجهل الفلاح لما يلائم طعاماً للحيوانات ضرره كذلك عظيم . فانهم يتركون
 حيواناتهم اذا اصبحت بالامراض تعدي بعضها بعضاً وتموت . هذا ولا تسأل
 عما جدّ فيهم من تسميم حيوانات بعضهم بعضاً واتلاف مزروعاتهم لجيرانهم
 ولغيرهم ايضاً

ومن الغريب ان قطرنا العزيز كان مقر تربية الخيول من قديم الزمان وكان
 اهل الشام وغيرهم يأتون اليه لابتياح الخيل منه فصار اهل مصر يمضون الى الشام
 وغيرها لابتياح الخيل منها ^(١) والخيل لازمة لكل البلدان الزراعية للحمل وغيره
 ونفقتها فيها قليلة . كل ذلك دليل جهلهم في حرفتهم والا فأرني دعائم الزراعة
 من بساتين لامتحان الزرع واثقان لآلات الزراعة « ولا يزال المحراث المستعمل
 في مصر هو الذي كان مستعملاً من النفي سنة » او أرني من مستلزمات الزراعة
 شيئاً من تربية النحل في الجنائن وهي الكثيرة وهو لا يحتاج لكبير مشقة

ذلك فضلاً عن حاجتهم لديوان زراعي يهتم بكل ما يتعلق باراضي القطر
 ليغني الحكومة والاهالي من انفاق النفقات على التجارب مثل اباداة الحشرات التي تسطوا
 على المزروعات سنوياً ويهتم بادخال المزروعات الجديدة التي تنمو في القطر والشروع
 في انشاء الاحراش وغيرها التي كان في القطر منها شي كثير والتي لا غنى لقطر
 زراعي كقطرنا عنها . ويراعي ما يجلبه المزارعون من الخارج مما يكونوا في غنى عنه
 لوزاد الاهتمام بالزراعة فيداويه . اذ المتأمل فيما يرد على القطر من الحاصلات
 الزراعية تأخذ الدهشة وخصوصاً لو علم ما يجلب بكثرة من الغنم ونحوها من

(١) كثيراً ما احتاجت نظارة الحربية ومصالحة البوليس للخيل وارسلوا الوفود لشراؤها

من سوريا وبالاخص في حرب السودان الاخير من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٨٩٩

المواشي ومن اللحم المقدد والمدخن ومن السمك المقدد والملح ومن الجبن والزبدة^(١)
ومن القمح ومن الذرة والشعير والارز والسمسم والبطاطس والنيلة
والقطر في حاجة لكثرة المعارض الزراعية التي هي من اقوى دعائم الزراعة
والتي من الواجب ان يكون كل شهر معرض في احدى المديریات . ولا يخفى ما
في المعارض الزراعية من المنافسة والمسابقة والاختبار والاعتبار
نعم ان الحكومة اهتمت بما ذكر وايضاً بعض كبار المزارعين . واقامت معارض
لهذا الغرض من بضع سنوات مضت . ولكن المتأمل يرى ان ذلك قليل النفع اذا
لم يعمم في كل المديریات مديريّة بعد اخرى على عدد اشهر السنة
وهذا معرض سنة ١٩٠٠ اعظم شاهد على قلة الفائدة فان الزائرين (لا
العارضين) له لم يتجاوز عددهم ٨٠٦٤ زائراً وانت لو استقصيت الحقيقة لوجدت
اكثر من نصف زائريه من الاجانب واكثر من الربع من تلامذة المدارس
لعمري ان ما بقي لعدد قليل على قطر زراعي ينبغي التقدم الحقيقي ويود تحسين
زراعته وكل اهله من اربابها وحياتهم كلها منها . هذا حاضر الزراعة المصرية وهي
الموروثة من اجيال مضت وقيل ان يعرفها من سبقنا فيها بأجيال
افبعد ذلك من دليل على العجز في مباشرة شؤونها . ام نقول معي حبذا
الزراعة لو اقتربت بالعقل واليد مع النشاط والجد لنصبح يوماً ونحن غير مفتقرين
لغيرنا فنعيش بسلام آمنين

(١) جد من امد ليس يعيد ثلاثة معامل للزبدة ولكن كلها لجماعة الافرنج

الصناعة ✓

قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه (قيمة كل امرئ ما يحسنه) وقال
ايضاً (الناس ابناء ما يحسنون)

لولا الصناعة لدام الانسان في فطرته الاولى متأخراً خاملاً . والصناعة من
الامور الضرورية للهيئة الاجتماعية وعليها تتوقف حياة كل أمة وهي السبب في
تعليم الشعوب حب الاستقلال بالافكار والاعمال . وحب الاعتماد على النفس
وكانت مقاليد الصناعة في مصر في عهد الولاة الاولين تناط بالحكومة فكانت هي
المتولية امورها وشؤونها . حتى انه ليصعب على المرء معرفة حالة الحكومة المصرية
الماضية . وما اذا كانت حكومة ادارية او زراعية او تجارية او صناعية لما يعلم من
انها هي التي كانت تأخذ على عاتقها انشاء المعامل وادارتها ومد الخطوط الحديدية
وتسيير السفن البخارية والتجارية وانشاء المطابع وغير ذلك من الاعمال والمشروعات
التي لا تقوم عادة بها الحكومات المتمدنة . بل تعد الامة نفسها للاقدام عليه .
نقول هذا عن الحكومة الماضية وهو قول حق . لأنه كان السبب في اقعاد الامة
عن السعي في ترقية شؤون الصناعة بنفسها لانماء ثروتها . وفي ايراد الصناعة موارد
التقصير المعيبة كحال الصناعة الوطنية التي نراها في نكوص دائم وتأخر مستمر يوماً
فيوماً . والتي اذا بقيت حالها سائرة القهقري آلت الى العفاء والمحو . على ان غاية
ما يمكن ان يقال في الصناعة الوطنية انها منحصرة في صنع الحصر والفخار وحياسة
بعض المنسوجات القطنية وغيرها من مثل الحدادة والبرادة وعمل الجزم التي يتولى
عملها بعض الافراد في معامل وورش حقيرة وهي غير آخذة في التقدم غير ان
حالة الصناعة عند النزلاء الاوربيين بيننا في تقدم ونجاح . فهم اصحاب معامل

السكر وتكريره واصحاب وابورات حلج القطن ومعاصر الزيوت واستخراج الصودا والنظرون وغير ذلك . ومع هذا فالناظر الى واردات القطر يجد الصناعة فيه بوجه الاجمال متأخرة تأخرًا عظيمًا والمصري يعذر من وجهه ويلا من وجه آخر على تواكله وتخاذله وبيان هذا الاجمال أنه لا يؤمل صنع المصنوعات التي يؤتى بكل موادها الاصلية من البلدان الخارجية في قطرنا . ولكن يؤمل ان المصنوعات التي موادها الاصلية موجودة في القطر يجب ان تصنع على الاقل فيه . فالسكر المكرر يرد منه من الخارج ما تقدر قيمته بثلاثين الف جنيهه مع ان معاملته في القطر على ما مر بنا وكان الواجب ان يفي بجاجاته او يزيد عليها . والورق وهو سهل العمل ومواده عندنا فكان الواجب ان يعمل في قطرنا وحاجتنا اليه شديدة لأنه من لوازم العمران وبعض الامم تقيس عمرانها على مقدار ما تستهلك منه فمن العار علينا اذا هذا التقصير في عمله . والقطر السوربي الذي هو متأخر عنا بمراحل يصنعه ولا يشكو اهله قلته كما نشكو نحن وجرائدنا ^(١) ومثل ذلك يقال عن الخبر وجبر المطابع التي اصبحت كثيرة الآن بمصر . ومن الغريب في الصناعة المصرية ان اهله من المصرين لم يتقدموا فيها ولم يحافظوا على ما كان معروفًا لديهم . فان المتأمل يراهم قد نسوا او تناسوا ما كان آباؤهم واجدادهم يصنعونه قبل مما يعجز صناع اوربا عن عمله مثل التجارة العربية « الاتشكة المشربية » التي ضيعوها وان صنعوها الآن مسخوها وهي الآن بيد جماعة من الافرنج وليس بيعيد عليهم ان يشتهروا بها في زمن

(١) علمنا انه قد تألفت شركة صغيرة في الاسكندرية لعمل الورق وبلغنا انها تصنعه على انواعه والوانه ما عدا ورق الكتابة وورق الجرائد . وهي تصنع على ما يقال في اليوم الواحد من ٥٠ الى ٦٠ قنطارًا بما كينة صغيرة واحدة فقط لان اسمها كلها بمبلغ ٨٠٠٠ جنيهه ولربما كان الداعي في عدم توسيع نطاقها قلة راس مالها

قريب^(١) وقد غفلوا عن استقطار ماء الزهور الكثيرة في مصر مثل ماء النعناع والورد والفليا . وفائدة استقطارها معلومة لا تخفى على احد . وان وجد من يستقطرها فافراد من النساء يستخرجون منها القليل ويمزجونه بالماء الكثير ويبيعونه داخل قناني في القهاوي وهنّ مهتكات وغني عن البيان ان البلاد في حاجة الى ذلك ولا سيما حينما تتغير ماء النيل في شهري مايو ويونيو ويوليو من كل سنة . والمتأمل في تقرير مصلحة الجمارك يرى كثرة ما يرد على القطر سنوياً من ذلك من البلاد السورية وغيرها . وهذه اشياء سهلة العمل جداً ويمكن تعلمها بعد المشاهدة مرة واحدة . كما هو ممكن صنع انواع الطيب الاخرى التي يورد منها على القطر من الخارج ما تقدر قيمته باحدى عشر الف جنيه . ويمكن ايضاً صنع الاكياس والحبال . ليستغني القطر عن جلبها من الخارج . ويمكن عمل قماش القلوع الذي يرد علينا منها ما تقدر قيمته ١٥٠٠ جنيه وجميع مواد هذه الاحتياجات موجود عندنا ويمكننا صنعها في بلادنا فنرجح نحن ما يربحه التاجر الاوربي الذي نستوردها على يده وينتفع عملتنا الفقراء باجور صنع هذه الحاجيات عوضاً عن نفع العامل الاجنبي ويضيق بنا المقام لو عددنا الاصناف الاخرى التي يمكننا صنعها مثل الجير والاجر فان قيمة الوارد منهما لا تقل عن الخمسة والعشرين الف جنيه

والخلاصة انا مقصرون في الصناعة حتى في صناعة عمل الخبز فان باعة الخبز عموماً يملأونه ماءً حتى يثقل وزنه على غير زيادة في مواد الغذائية^(٢) وما يقال عن الخبز يقال ايضاً عن الجبن فان قيمة الوارد منه سنة ١٨٩٨ تقدر بمبالغ ثلاثة

(١) اذ المكان الجميل الذي وضعت فيه مخلفات سيد الكون (عليه الصلاة والسلام) في

المشهد الحسيني من صنع الاجنبي وهو العمري اقدس الاماكن في القطر المصري

(٢) لهذا السبب انشأ الاجانب في الاسكندرية (مخابر صحية) بواسطة شركة بلجيكية

عشر الف وست مئة جنيه . ونحن مقصرون حتى في تنظيف ما في بيوتنا من
 الاواني الغالية الثمن حتى اننا نحتاج عند تنظيفها الى الاجانب وربما احوجتنا الحالة
 ان نرسلها الى الخارج . وان اردنا لجم شيء باخر ولو كان من الزنك لا ندري
 كيف يصنع ذلك وهذا غاية في الكسل ونهاية الاهمال وما أظن أمة من الامم قد
 ادى بها الانحطاط الى ما نحن فيه وان لم نتدارك شؤون الحياة بهمة قوية وعزيمة
 ماضية صرنا الى ما لا تحمد عقباه من سوء الحال وخيبة الآمال والعياذ بالله
 نسأل الله ان ينجي فينا حب الميل الى الصناعة حتى نحيا حياة اقتصادية
 جديدة ونجد فينا حب الابتكار في الصناعة فيكتسب الصانع كسبه بطرق محللة
 فان الصناعة ينبوع ثروة لا ينضب وسر من اسرار الاستقلال الصحيح

المطابع والطباعة

ونفعها الماضي وضررها الحاضر

اهتم المصريون بالمطابع والطباعة بعد ان عرفوها من حكومتهم عند اهتمامها
 بانشاء مطبعة بولاق سنة ١٢٣٨ هجرية فانشأ الافراد منهم مطابعهم الخاصة ليشغلوا
 فيها بطبع الكتب والرسائل فطبعوا ونشروا الشيء الكثير وكان جل اهتمامهم في
 اول امرهم بطبع كتب العلم من الحديث والتفسير وكتب التاريخ وغير ذلك مما
 وفقوا لطبعه من باقي العلوم الاخرى التي تكسب النفوس بعض الحياة وتحيي فيها
 بعض ما اندرس من العلم وتبين بعض ما انطمس من الحقيقة على الفهم . ظلوا على
 ذلك في مبداء امرهم حتى استبشر العقلاء بالمستقبل الحسن لتقدم الامة المصرية . غير
 ان الحال لم تدم طويلاً بل تبدلت بطبع الضار والمفسد من الكتب حتى اصبح ديدن
 اصحاب المطابع المصرية (وخصوصاً الاسلامية منها) الميل الى طبع كتب السخافة

والاوهام . ولعلمهم ان العامة اميل الى ذلك من العلم والحقائق اكثر مما من طبع
 القصص والحكايات الغرامية والفكاهية والاشعار الغير المستظرفة وكتب النوادر
 والمجون المفسدة للاخلاق والطباع والخيال ككتب الجفر والزيرجة والملاحم المملوءة
 بقول الزور والبهتان المنسوبة كذباً الى مشاهير الاسلام من اهل البيت وغيرهم ^(١)
 من ذوي الاصل الكريم والفرع الطيب غير ان اصحاب المطابع السورية وخصوصاً
 في هذه الايام لم يلتفتوا الى مثل هذه الخزعبلات بل ساروا سيراً حثيثاً يدل على
 اهتمامهم بمطابعهم وطبعهم الشيء النافع . فانك لتري بين ايديهم كتب الجد الحائثة
 للامة على الظهور في عالم الحقيقة وما السبب في ذلك الا اعتناؤهم بطبع كل شيء
 نافع مفيد . خذ لذلك مثلاً كتب الافاضل الذين ألفوها او ترجموها في الحقائق
 تراها مطبوعة في تلك المطابع وما بقي من كتب الجهل الدالة على ضعف العزائم
 فمطبوع في مطابع المصريين وبالاخص المسلمين . مما جعل القراء المدققين في
 دهشة من ذلك واستغراب . حتى حق للعاقل ان يزدري بالمطابع المصرية ولا
 يطبع فيها ما دام يمكنه التمييز بين كتاب مطبوع في مطبعة احد المصريين وكتاب
 مطبوع في مطبعة احد السوريين . اذ يتبين له عظم الفرق بين ما يطبعه هذا وما
 يطبعه ذاك . ففي الاول يرى من سقامة الطبع ورداءة الورق ما ينفر منه ذوقه .

(١) وحيداً لو كان علماءنا ينهون على هذه الكتب الضارة ليجتنبها الناس ولا يلتفتوا اليها
 وما اضر بالمسلمين شيء كاضرار هذه الكتب التي أفعدتهم عن السعي والعمل وغلت ايديهم
 عن الجد والاشتغال بما ينفعهم ومن الاسف ان بعض من ينتسب الى الازهر قد طبع كتاباً في
 العام الماضي من اشنع الكتب المضرة واعلن عن بيعه في الازهر ولولا ان يتبته لذلك ذوو
 الحكمة وبضربوا على يده ويؤدبوه لكان الامر من أفظع الامور وانا نستلفت انظار العلماء
 الى تلافي هذا الخلل ووضع قاعدة لدرء هذه المفاسد الناشئة عن هذه الكتب المنتشرة وهذا
 واجب يلقي على عانقهم لا يمكنهم التخلص منه أمام الله والناس

وفي الثاني دقة الوضع ونظافة الطبع . وما ذلك إلا من نتيجة اهمال الاولين لعملهم واعتناء الآخرين به وعدم جلب الاحرف الصحيحة بدلاً من الاحرف القديمة التي برت ضلوعها طرق الآلة الطباعة وطول الاستعمال وهذا هو السبب الثاني في تأخر مطابع المصريين . كل ذلك بقطع النظر عما يحصل في مطابع المصريين من كثرة الغلطات وسقوط نقطة او كلمة او تداخل احرف اللفظة في احرف جاريتها . ولذا يندر ان يكون كتاب مطبوعاً في مطابعهم بدون فهرست في آخره مبيناً فيه الخطاء من الصواب او الاعتذار للقارىء عما عساه ان يكون فيه من السهو

هذا قولنا عن المطابع المصرية وهو القول الحق الا انا نؤمل خيراً في المستقبل فقد انتبه منا بعض الشبان المهذبن فانشأوا مطابع لطبع الكتب طبعاً نظيفاً يسر الخاطر كمطبعة الشاب المهذب محمد علي كامل افندي وغيره

ومما يسرنا ذكره ايضاً انه تألفت من مدة جمعية لطبع الكتب العربية^(١) المفيدة وقد طبعت للآن سبعة كتب جديدة بالمطالعة لما فيها من بعض الفوائد . غير اننا لا نزال مقصرين ولا يزال باقياً لدينا كتب كثيرة ذات فائدة علمية وتاريخية نحن محرومون منها مع انها في لغتنا ونحن الاحق بمطالعتها وقراءتها لنقف على ما كتبه آباؤنا الاولون . ومن هذه الكتب عدد عظيم في دار الكتب بخانة الخديوية وهي احق بالطبع من كتب القصص والحكايات الغرامية وكتب النوادر والمجون والخيال التي اعتنينا بطبعها ونشرها . وهذه الكتب يعلم اسمائها من مطالعة فهرست

(١) بعد ان كتبنا عن هذه الجمعية علمنا انه تشكلت جمعية باسم جمعية احياء العلوم العربية تحت رئاسة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وقد طبعت كتاب المخصص في اللغة لابن سيده وهو من الكتب النادرة المثال وقد اعلنت الجمعية عنه وستوالي طبع الكتب النافعة وهذه الجمعية اعضاؤها من خيرة رجال القطر ونهبائه وفقهم الله واكثر من امثالهم امين

الكتبخانة المذكورة وإلا أفليس من العار على من يعتني بطبع ما تقدم ألا يعتني بطبعها^(١). اليس من العار علينا أيضاً ان يطبعها الافرنج بلغاتهم بعد ترجمتها ثم يدرسونها في منتدياتهم العلمية وهم بعيدون عن اللغة العربية ونحن اقرب اليها منهم . حقاً ان من يعرف كثرة طبع الافرنج لما ياخذهُ العجب^(٢) فعسى ان ينتبه اصحاب المطابع منا ويعتنوا بمطابعهم فينشروا تلك الكتب ويتنافسوا في طبعها بدلاً من كتب السخافة والهذيان التي افسدت علينا اخلاقنا وغيرت محاسننا حتى اصبحنا نخاف ان يكثر اولادنا من قراءتها واقاربنا وجيراننا أيضاً فتؤثر في عقولهم واخلاقهم التأثير السيء الذي ينغص الهيئة الاجتماعية والعائلية . وحبذا لو ساعد الاغنياء واهل العلم منا جمعية طبع الكتب العربية وجمعية احياء العلوم العربية ايضاً هذا بماله وذاك بعلمه لتحمي اللغة ويكثر الانتفاع حقيقة بالطبع والنشر . حتى لا يضحك علينا بعدنا اولادنا ومورخونا ويقولوا عنا انا كنا نهوى الداء وهو يتهدى مع ان الشفاء بيننا يتهدى ولكن لا نمد له يدًا . وكيف لا يضحكون واليك جدولاً مبيناً فيه الكتب التي ألفت وطبعت في القطر خلال السنوات الخمس الاخيرة

عدد

٧٥ روايات وقصص

(١) ومن العجيب الغريب المضحك المبكي ان باعة الكتب وطابعيها عندنا لاهم لهم ولا لذة الأبعاسة بعضهم بعضاً والسعي في اضرار انفسهم ولا يتنافسون الا على مثل كتاب الف ليلة وكتاب سيف اليزن وزجوع الشيخ ولذا تراهم يكررون طبع الكتاب مراراً والحال انه لم ينفد ولكن سعياً في ابداء الذي طبعه اولاً وهذا شأنهم ومن العجيب ان يطبع كتاب الف ليلة عشرين مرة وكتاب المدخل لابن الحاج مرة واحدة وهذا يدل على انحطاط كبير فينا وخذلان ليس له مثيل والعياذ بالله

(٢) انظر ما كتبه فاضل في مجلة المقتطف الجزء ٤ سنة ٢٥

	عدد
كتب تاريخية واكثرها من اسلوب واحد	١٩
ادبية	١٥
مجون ونفاق مثل كتاب المسامير وسهام التدمير وانقاذ الاخوان	٠٩
سياسية	٠٤
حسابية	٠٣
في التربية	٠٢
في الامثال واصل الكلمات العامة	٠٢
في العلوم الفنية	٠٣
ورسائل في المواضيع الدينية مثل رسائل الردود على القسس والقسس على المشايخ	٠٩
في اللغة القبطية والهيروجليف	٠٤
الزراعة	٢
الرثاء	٦
دواوين	٤
في الانشاء	٢
التراجم	٣
الحقوق	٢
الطب	٢
علم الآثار	٢

الكتب والمؤلفون بمصر

ان كان عدد المدارس وعدد المتعلمين والنظام المالي والاقتصادي يعتبر من الأدلة الصحيحة على درجة مدينة البلاد فنوع المؤلفات التي تشر فيها من حين الى حين وعددها ايضاً من احسن الشواهد على درجة ماهية هذه المدينة . اذ هي خلاصة افكار وخواطر نخبة الامة ومرآة ذوق المتورين واميال الفئة المتعلمة بأسرها . ومعلوم ان المصلحة الشخصية هي المحرك لجميع الاعمال في هذه الحياة ويستحيل ان يهتم شخص في الوجود لامر ما لم يكن مسوقاً اليه بحب المصلحة الذاتية . فتارة يكون اندفاعه طلباً في الافتخار " والانسان طبيعة يفخر بجماله وعلمه وادبه وثروته وتواضعه وتسكبه حتى عند ما يكون ظاهر عمله تضحية حب الذات " وتارة سعياً وراء المال او الانعام وغير ذلك من العوامل الادبية الخفية . اذاً لا بد ان يكون للمؤلف مثل غيره من غاية او محرك في عمله . ويمكن تقسيم المؤلفين من هذا القبيل الى (اولاً) مؤلفين غايتهم نشر افكارهم العلمية خدمة للعلم او الوطنية او الدين او الآداب . ولشهرة انفسهم مع الامل بالرجح المادي انما دون ان يكون هذا الاخير المطمح الرئيسي . وهذه هي اقل فئة بين العالمين

(ثانياً) مؤلفين غايتهم في جانب الشهرة الرجح المادي وربما اختلف البعض عن الآخر في انه يرمي اولاً الى الشهرة او الى الرجح انما بوجه الاجمال يصح القول بأن الغاية الرئيسية من السالف بوجه عام هي الرجح والشهرة

ونحن مع كوننا من فئة المستبشرين القائلين بسير البلاد الى الامام نوعاً لا يمكننا ان نقول باعتقاد صحيح ان في مصر عدداً محسوساً من الفئة الاولى وربما لا يخلو الحال من افاضل هم حقيقة منها وما منعهم عن الظهور الا ترجيحهم بأنه لا

يوجد في القوم من يقدر كتابتهم حق قدرها ويهتم بقراءتها فلا يرون من العقل
الاشتغال في اعمال لا يتوقع فائدة منها . ولكن هذا لا يوجب الانشراح على آية
حال سواء كان الرأي صحيحاً ام لا فالنتيجة ان البلاد خالية من اعمال اهل العلم
الصحيح "ماعد النزر القليل جداً وسيأتي الكلام عن ذلك" وتدل ايضاً ان هذه
النتيجة القليلة ليست مثل قريناتها في بلاد المتمدنين اقداماً ومنفعة للبلاد ولا يصح
التعويل عليها بصورة توجب الانشراح . اما القسم الثاني من المؤلفين فلوانه يوجد
بعض التماثل بين اعمالهم واعمال بعض المؤلفين في غير هذا القطر ولكن بوجه
الاجمال لا يمكن مقارنتهم بهم لا من حيث عدد المؤلفات ونسبتها ولا بالاختص
من حيث نوعها وقيمتها

ففي البلاد المتمدنة يوجد مؤلفون علميون ومؤلفون سياسيون ومؤلفون
اقتصاديون ومؤلفون دينيون ومؤلفون ادبيون ومؤلفون فكهليون انخ الخ .
يختلفون طبعاً من حيث متانة البحث واداب الكتابة ولكن في كل درجة منهم ما
يكفي لحاجات جميع الطبقات . ويمكن ان يقال ان في بلادهم كل شيء في تقدم
حتى الذل . نعم يتمنى المرء العاقل ان تكون جميع الخواطر منصرفة الى الجد ولكن
هذا يستحيل ما دام الانسان انساناً والدنيا دنيا ولكن وجود الذل وغيره يكاد لا
يؤثر على تقدم البلاد نظراً لاهتمام الفئة الكبرى بما يرقى البلاد علماً وادباً وثروة
اما في مصر فالمؤلفات المفيدة التي من هذا القبيل تكاد لا تذكر وعيوب
العدد الاوفر منها اكثر من فضائلها . فجرائدنا وكتبنا لا تخلو من محل للانتقاد
الصحيح اكثر بكثير من نظيراتها عند غيرنا . واغلبها خلو من المباحث العلمية او
الفلسفية او الادبية او التجارية وقاصرة على التهمك على بعض افراد لغايات دينية
محفزة او على نشر اراجيف وخرافات وافكار ومباحث تضعف الذوق العلمي

وملكة العقل الصحيح عند اهل البلاد فهي اذاً تساعد على انحطاط العقل اكثر من مساعدتها على ترقيته وتدل دلالة واضحة على انحطاط نفس المؤلفين وهم بحسب الارجح القئة التي امتازت عن المجموع علماً وادباً وأمكنها ادارة الاقلام ونحن لا نقول هذا عفواً بدون تبصر فان مصر مع انها تعتبر عاصمة البلاد العربية حضارة ومدنية هي بنسبة مركزها الحالي احوج الى الكتب العصرية المفيدة من غيرها فالمؤلفات المذخورة في الكتبخانات العمومية والخصوصية تكاد تكون قاصرة على بقايا العصور الخالية فالادبية والفلسفية منها قد لا تنطبق على آداب وفلسفة الوقت الحاضر الانطباق اللازم . والتاريخية منها اكثرها خطل وحكايات ليس لها في الغالب أساس علمي " أنظر بعض المؤلفات التاريخية من التي طبعت اخيراً وذكرونا عددها في الفصل السالف " واللغوي منها كاه تكرار ومزج غير مفيد " انظر كتاباً من الكتابين المؤلفين في الانشاء اللذين ذكرناهما في الفصل السابق " والعلمية منها لا علم صحيح في اكثرها لان اغلب قضاياها قد ثبت عدم صحتها . ولو انه لا يوجد الا نفر قليل مهتم فعلاً بطلعتها ولكن مجموع خرافاتها واضاليلها ما زالت منتشرة بين الجمهور . وهذا هو اكبر عامل مساعد على بقاء القوم في حالة الانحطاط العلمي خصوصاً وانه لم يفتن احد من ذوي النشاط العلمي الى دحضها بالاساليب المألوفة في غير هذه البلاد

نعم يظهر بيننا من وقت الى آخر مؤلفات بعضها مفيد نوعاً ولكن أغلبها كما قلنا عبارة عن ترجمة بعض روايات افرنكية قد لا تنطبق على المطلوب في هذه البلاد خصوصاً وان الترجمة تفقدها في الغالب قوة اللهجة ولذة العبارة وربما كان لترجمتها بعض الفوز اذ هم لا غاية لهم منها غير مجرد الفائدة المادية حيث ينظرون الى هذه البلاد كسوق رابحة تروج فيها بضائعهم والغاية الادبية من الروايات بوجه

العموم تمثيل عوائد البلاد ونقائص احكامها ونظاماتها واستبداد حكامها استنهاضاً
لهمة الامة ولتقويم المعوج . فالتى يكتب منها لبلاد معلومة قد لا يكون له كل
المعنى المطلوب في هذه البلاد . فما عدا العدد القليل جداً لم يظهر عندنا شيء مفيد
من هذا القبيل . وكذا قل عن التاريخ . اما عن الآداب والفلسفة فلا محل لها
في الكلام لخلو البلاد تقريباً من مباحث صحيحة فيها . والعلة الحقيقية في ذلك ما
هو سائد في اذهان العوام من ان كل بحث عقلي يناقض الاعتقاد الديني . وان هذا
مقدس لا يصح التعرض له ولا غرابة ان استمر مثل هذا الاحساس المضر في القوم
ان كانت جميع المدارس العائلية والابتدائية والعالية والاجتماعية خالية كل الخلو
من كل بحث في علل الاشياء ولا غرابة اذا انقضى القرن التاسع عشر ودخل القرن
العشرون واكبر مدرسة عربية " الجامع الازهر وما يماثله " ليس فيه شيء من
المباحث الفلسفية العصرية التي بدونها يستحيل تقريباً تهذيب النفوس التهذيب
الحقيقي الذي تقوم عليه المدنية الصحيحة . فان كان لمثل هذه المباحث او لمثل هذه
المباني نصيب واعطي لتربية النفوس والاخلاق محلاً ولو جزئياً في بروجرامات
المدارس لا يمكن التمييز بين منطقة نفوذ الدين ومنطقة نفوذ العلم ولظهرت بيننا
كتب ومؤلفات تنهض بالامة نهضة محسوسة يمكنها معها مجارات الامم المزاحمة
لنا هذه المزاحمة القوية

اما المؤلفات العلمية فقد انقرض زمنها لاسباب شتى اخصها عدم وجود فائدة
بالمرة من الاشتغال بها . اولاً لعدم استعمال المدارس الكتب العربية في تدريس
العلوم . ثانياً لعدم اهتمام الناس بالعلوم حباً فيها لا عنقادهم عدم فائدتها في حالة
البلاد الراهنة . ثالثاً لعدم وجود فئة محسوسة من اهل العلم الصحيح الذين يدأبون
من انفسهم على نشره بصرف النظر عن جميع الموانع

اما المجالات والجرائد فان استتني منها النزر القليل جداً الذي لا يعود فضله لاهل البلاد الاصلين فالباقي انما هو عبارة عن جرائد قليلة الاحتفاء بعزة النفس والرفعة الصحيحة غير واسعة الاطلاع والتمكن من المسائل السياسية والاجتماعية وجميعها ترمي الى غايتين أساسيتين . الاولى خدمة مصلحة اصحابها . والثانية خدمة الفئة المنتسبة لها ديناً . فهي اذاً من اقوى العوامل على نشر التعصب وازعاف البلاد واكثر ما يدرج فيها يقصد منه التشفي الذاتي وتوليد الضغائن وبحمد الله كلها مجمعة على البعد عن واجب الكتابة والمباحث المفيدة الاّ ما كان في بعض الاحيان من المسائل التي يجرحم اليها ظهور الحقائق بحيث نتغلب على ما ربههم وامياهم من حيث لا يشعرون وهذا قليل من سوء حظ البلاد

كتب مفيدة

وان كان كتاب " سر تقدم الانكيز السكسونيين " و" تحرير المرأة " و" المرأة الجديدة " مقدمة لحياة جديدة لهذه البلاد فهي كافية لمحو عارها واحياء آمال محبيها . اني لست اول محب بكل حرف من هذه الكتب النفيسة ولست ممن خصوا بالنصيب الاوفر من العقل لتقدير ما ورد فيها من المبادئ السامية التي تستحق بالامراء ان تزين بها العقول والمكاتب والمنازل ولست لسوء حظي من الذين يستطيعون اظهار فوائدها ولكن شغفي بها يدفعني دفعاً الى افراد باب لكل منها

" كتاب سر تقدم الانكيز السكسونيين "

" لسعادة العالم الفاضل احمد فقي زغالول بك "

قصد واضع هذا الكتاب احسن علم اجتماعي جمع فيه خلاصة اجنائه وابحاث قرائه في نظام فرنسا الاقتصادي السياسي ومقارنته مع نظام انكلترا التي منها يتضح

علة تقدم الاخيرين وتأخر الاولين . فهو اذا قاصر على مباحث اجتماعية محضة لا دخل للدين فيها . ولوجود تشابه محسوس بين الجمعية المصرية والجمعية الفرنسية من بعض الوجوه لاحظ سعادة العالم المدقق احمد فتحي زغلول بك ما ينجم لامته من المائدة من نشره وشرحه وتذييله بالملاحظات الخاصة بهذا القطر

فالكتاب جليل القدر . (اولاً) لانه اول مؤلف في بابه وقف على علل انحطاط الامة الافرنسية الحقيقية من عالم مدقق نقيباً فريداً من حيث كيفية ابحاثه وحرية نظرياته . (ثانياً) لانه بحث في مسائل مالية جوهرية يتوقف عليها حياة امة او زوالها . (ثالثاً) لانه يخص كل فرد من افراد الامة بدون ادنى ارتباط للاعتقاد الديني وهو ذو قيمة خصوصية بالنسبة لهذه البلاد . اولاً لانه اول مؤلف ظهر في

بابه فيها . ثانياً لان البلاد في حاجة واضطرار اليه . ثالثاً لان نقله الى العربية عالم فاضل لا شبهة في اقتداره على اظهار مزاياه واكسابه قوة التأثير التي لكتابه الاصيلي في بلاده خصوصاً وانه قد وضعه بصورة تفي بمحاجات البلاد الخصوصية فرغماً عن هذه المزايا لم يلق كل الاهتمام اللائق له . وعذر القوم في ذلك واضح فانحطاطنا الادبي مشاهد بالعيان . ونحن لا نلوم الفئة الكبرى لان جهلها المعلوم يلمس لها العذر ولكن الفئة القليلة التي كان ينتظر ان تنظر له بعين الرضا على الاقل وتهتم بالبحث فيه بقصد الامعان . كانت مع الاسف من اشد العاملين على الخط من قيمته ومسوخ معانيه ولعلمهم ان اكبر حجة تفلح في هذه البلاد هي التحكمك في الدين قالوا ان مباحثه تناقض الدين والله اعلم بأوجه التناقض . والكتاب بريء منها . ولكن بما ان نواميس الطبيعة تقضي حتماً بضرورة ظهور الحقيقة ولو بعد حين فلا بد من يوم تفهم الناس فيه معنى الكتاب وتقدر قدر واضعيه وانهم بلا شك من نوابغ الدهر ورحم الله القائل ما ضرَّ شمس الضحى في الأفق ساطعة ان لا يرى ضوءها من ليس ذا بصير

كتابتا تحرير المرأة والمرأة الجديدة
 "لسعادة العالم القانوني قاسم بك امين"

ظلت الامم ازماناً تجهل تأثير المرأة في العمران . وان لها حقوقاً وشأناً فيه . لا
 نقل عن حقوق الرجل وشأنه ان لم تكن اكثر . ولكن ما لبث هذا الجهل ان زال
 او تقلص على الاقل في الامم المتمدنة بنسبة ارتقاءها في سلم العلم الصحيح وادركت
 ان اساس العلم والتربية هو المدرسة المنزلية واساس هذه المدرسة هي المرأة وانه بقدر
 ارتقاء هذه ترتقي هذه المدارس وبقدر ارتقاءها ترتقي افراد الامة ايضاً . ادركت هذه
 الشعوب بان المرأة خلقت مساوية للرجل في الحقوق واكثر منه رقة في العواطف
 وسرعة في الخواطر وشغفاً بالمحافظة على الاداب وان ما انزلها الى درجة الاستعباد
 خلافاً لما تأمر به الاديان جميعها الا تطرف الرجل وخروجه عن حد الاعتدال
 واستبداده وان هذا الخط مضر فعلاً بجسم الهيئة الاجتماعية ومفسد لقوامها
 وارتقاءها اذ يترتب عليه ابعاد فئة كبرى من العمل المفيد بل ومن اكبر عمل
 يتوقف عليه التمدن الصحيح . فلما ادرك الرجال العارفون ذلك وثبت لهم ان
 سعادتهم لا تتم الا برفع اجماعهم عن النساء واعطائهن مركزهن الطبيعي الذي
 اقترن عليه الشرائع هان عليهم التجاوز شيئاً فشيئاً عن الاستبداد وساعدهم على ذلك
 ما شعروا به من الارتقاء وتوفر اسباب الهناء والعمران . هذه حقائق راهنة يكفي
 معرفتها للاقتناع بصحتها وهذه شعوب اوربا كلها دلائل ساطعة عليها . ولكن لما قام
 حضرة العالم الباحث سعادة قاسم بك امين يحدث اهل بلاده بها قوبل بالسخط
 والازدراء وياليت هذا من فئة الاميين وسطيحي المعارف فقط الذين ألفوا استعباد
 المرأة واعتبارها احط منهم قدراً واتخاذها متاعاً من امتعة البيت والدين يابى ذلك

بل من الفئة الممتازة "فئة العلماء" والظاهرين بمظهر المرشدين والمعلمين وحاجوا المؤلف بالدين وجعلوه عكازهم الوحيد . نعم انهم أفلحوا - ولكنه فلاحٌ وقتيٌّ - في تمفير القلوب من هذه المبادئ السامية ومنعها من الوصول بالتربية الحققة الى سعادتها ولا بد يوماً ما من انتصار الحق وتغلبه لاشتغال القوم بالعرض دون الجوهر فانهم تمسكوا بمسألة الحجاب وتركوا التربية واكثروا من الصياح والجلبة بالقول والكلام وتركوا العمل والفعل . وما فعلوه إنما هو عراقيل وقتية لا تستطيع مقاومة قوة الحقائق فلا بد لهذه من الفوز الاخير . ولا بد من عصر يعرف فيه قدر رجل الفضل ونابعة هذا الزمن الذي اخذ على نفسه المجاهرة بالحق والانتصار للمغبوتين في بلاد لا تقابل فيها مثل هذه المجاهرة إلا بالنكران والازدراء

اما جعل القوم مسألة الحجاب دينية محضة . فيخالفه ان المسلمين فيها ليسوا سواء في كل بلادهم وليس الحجاب شاملاً لجميعهم^(١) وصاحبنا انما يريد تعديل هذا لدرجة توافق المصلحة ويسهل معها التربية والتعليم والقيام بشؤون الحياة التي يليق بالمرأة ان تكون فيها فما بالنا قد تركنا اللباب وهو السعي في التهذيب والاصلاح العائلي والتربية الحققة واشتغلنا بالقشر الذي هو الحجاب ووقفنا عنده مكابرة

(١) قال الاستاذ الشيخ علي يوسف في رسالته من الاستانة العلية المؤرخة في ١٥

اغسطس سنة ١٩٠١ المندرجة في المؤيد الصادر في يوم الاربعاء ١٣ جماد اول سنة ١٣١٩

٢٧ اغسطس سنة ١٩٠١

المرأة هنا ذات حجاب ولكن لا كحجاب المصرية فهو اقل منه بكثير في شكله واكبر منه وظيفة . فهو كلا حجاب في نمودجه . ولكنه امنع للناموس واصون للعرض . فلا يوجد هنا برفع ولا يشمق . ولكن خمار رقيق اسود . او ذي لون آخر يسمى "بجه" تسدله الواحدة على وجهها في مضايق الطرق وترفعه اذا قلت المارة وخف الزحام "ورفعه اكثر من وضعه" وقد لا تخرج الواحدة منهناً الا وفي يدها شمسية لانقاء حر الشمس او رذاذ المطر . وهي تنفعها كثير في الاحتجاب ايضاً عن اشعة الابصار فلا تحتاج معها الى ذلك الخمار . اه

وعناداً أوليت قومنا يعتنون بالتعليم والتربية مع وجود الحجاب بينهم ويظهروا لنا
 قوة عزيمتهم وشدة اهتمامهم ويحيون اسم الدين في منازلهم وفي قلوب ابنائهم وبناتهم
 حتى تكون لنا تربية حقة وتعليم صحيح . اما "تحرير المرأة" ومساواتها بالرجل في
 كل الشؤون فلا يشمل الآ في العلاقات الدنيوية السياسية النظامية وهذا ما يوافق
 عليه كل من بحث في المسألة باستقلال نظر
 فان كان هذا هو نصيب مثل هذه المؤلفات في هذه البلاد فلا عجب ان
 قلت فيها وضعف الاهتمام والاشتغال بها

السياسة

السياسة عند كل امة متمدنة علم كسائر العلوم الاجتماعية . له اصول وروابط
 يتقيد بها ويسير عليها . وما شذ عنها فهو خرق في السياسة لا يمكن التعويل عليه
 ولا تعليل النفس به اذا مست الحاجة اليه . وله مدارس خاصة به واهمها الدهر
 والتاريخ ولا ينجح به الا من كان منذ نعومة اظفاره ميالاً اليه فيتعلمه في كل آونة
 وهو لا يعلم به . لا . لأنه غير شاعر به . بل لان ذلك اصبح عادة لديه اذا تر كها
 رأى في ذاته شيئاً غائباً عنه فيطلبه حتى يجده ويكمل به ما نقص منه . ومن
 لفظة السياسة يفهم الغرض منها اي مسامرة الزمن واغتنام فرصه في معرفة المراتب
 الدينية والاجتماعية الفاضلة والمؤذية ووجه استيفاء كل واحد منها وعله زواله
 ووجه انتقاله . ولا يستغني عن السياسة احد من الناس مادام الانسان مدنياً
 بالطبع ويجب عليه اختيار المدينة الفاضلة مسكناً والهجرة عن المؤذية وان يعلم
 كيف ينفع اهل مدينته وينتفع ولا يتم ذلك الا بالسياسة
 ونقصد الان ما دنا قد بينا ما تقدم الكلام على علم السياسة عندنا المنتشر في

القهلاوي والمنتديات والحانات حيث يؤمها الجحيم الغفير من الساعة إلى الساعة
انتشار الجرائد بيد باعته من الاطفال البالغ عددهم في القاهرة وحدها زهاء المائة .
والتي يتناولها منهم الغني والفقير ويقضون ساعات فراغهم في طرق مباحثات في
سياسات الدول عند اطلاعهم على ما جاء به روتروما اخبر عنه هافاس

واغلب اولئك الذين يتناقشون في السياسة من جماعة مستخدمى الحكومة
وشبان المدارس العالية المنتظر منهم لدى نيلهم شهادتهم المدرسية ان يخدموا الوطن
والوطنية بالتفاتهم نحو الزراعة والتجارة ولكنهم يفضلون الالتحاق بالخدم الاميرية ولو
اماتت احساساتهم وعلمتهم على الكسل وان كانوا في غنى عنها ايضاً . حتى انك لو
سألتهم عن عملهم قالوا انا كنا تلامذة والان نحن منتظرون اجابة زيد في الحقانية
وعمرو في المالية . هؤلاء لهم في ميدان السياسة قصب السبق في حين انهم في ميدان
الكسب خاملون . وقد مضى عليهم سنون عديدة في تفضيل فرنسا على انكلترا وانكلترا
على فرنسا حسب اهوائهم واهواء المدارس التي ربوا فيها واهواء الجرائد التي يقرأونها
وكلهم متعشمون في خلاص الوطن لتوهمهم انه في تعاسة وشقاء مثلهم وعلى هذا يسعون
على زعمهم في خلاصه من الاحتلال ولو كان فكرهم في اغلال — اذ عندي انه
لو طبع لهم كتاب تاريخ الجبرتي مرة ووزع عليهم مجاناً وقرأوه لفهموا النعمة الحاضرة
ولأدركوا خطاءهم ولحمدوا ربهم على ما هم فيه من النعم الجزيلة — اذا سألت
احدهم من بدء الاحتلال إلى الان بالاجمال ان شئت او بالتفصيل اذا احببت
فهم له حافظون واسأل من تشاء منهم عن ما يسمونه ديونكل او هانوتو^(١) ونقرة ٢

(١) ديونكل كان عضواً في مجلس نواب جمهورية فرنسا في وزارة هانوتو سنة ١٨٩٥
للخارجية الفرنسية . اتى مصر وساح في الوجه القبلي ووعد من رافقه من المصريين ووافق على
سياسته ان الانكليز سيرحلون عن مصر في اكتوبر سنة ١٨٩٥ وللان لم يصدق وعده لهم

ونمرة ٣ فهو يفسره لك باحسن تعبير كأنه يراجعهُ كل يوم فلا يفوته حرف منه
ولا حركة . واسأل من نشأ منهم عن مجادلات المؤيد والمقطم من عهد نشأتها
يخبرك بها حرفياً ان شئت او سطحياً ان اردت وكلمهم يقولون لك ان الجهاد في
سبيل الاستقلال واجب فان حاجتهم بجهل الامة غنيها وفقيرها وبفقد التضامن
الوطني الذي هو اكبر دعامة في الاستقلال الحق لتكون الامة حية متضامنة
وقفوا عن الاجابة وتمسكوا باذيال الفرار واستعملوا المواربة . ولا فرق بين البعض
والبعض الآخر في سعة الادراك في هذه السياسة الا ان هذا يحفظ وهذا لا
يحفظ ما حدث في عهد الاحلال للآن من الحوادث العظيمة التي كان لما بعض
التأثير . ولما كان اغلب المشتغلين في هذه الامور من المصريين جماعة الاسلام
ووجدوا ان الحالة باقية على ما كانت عليه ولم ينفعهم الاستصراخ بغلا دستون وغيره
من علماء السياسة في اوربا اوجدوا سياسة جديدة وهي سياسة الجامعة الاسلامية
وسياسة الدين فلذا ترى كلاً منهم يقول ان ما يراه في نظره اولى بالاتباع وكفى .
وكل رأي يخالفه فهو ضلال وان كان حقاً ويستنكف ان يجتمع بغيره حتى يقابل
فكرته بما عنده لعل احدهما يقنع الآخر ولذا تراه يخبط خبط عشواء يكتب
بالدين والاسلام وهو ابعد الناس عنها . ومن البديهي ان فاقد الشيء لا يعطيه .
ولو شئنا تعداد الآراء التي كتبت في مثل هذه الخيالات في الجرائد لطلال معنا
القول . وحديث الجامعة والدين يلذ فيه البحث لمن لا يدرك حقيقة الجامعة ولا الدين
مثلنا وهو كذلك ملذ للقارئ والكاتب لا لأنه شيء فكاهي مما تعودنا اللذة منه
فقط . بل لأن القارئ يجد ما توده نفسه وما تصبو اليه امياله ” ان الانسان
خلق هلوماً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً “
فيطالع ما يكتب في هذا الموضوع بانسراح خاطر وسرور نفس وهكذا الكاتب

يرى امامه الموضوع كبيراً متشعباً فيجري فيه قلمه حتى لو شاء الكتابة فيه إلى ما شاء الله ما استعصى عليه القلم ولا خاتمه القريحة . ولكن لا ندري ذلك وعاقبته وهل تصح الاحلام . ام الحقيقة هي انه من بعد موت الرسول "صلى الله عليه وسلم" والخلفاء الراشدين لم يبق للاسلام جامعة قط . ولدينا سير الاسلام واقوال مؤرخي الاسلام انفسهم في ذلك فان بعد موته "صلى الله عليه وسلم" والخلفاء الاربعة لم يبق للاسلام جامعة والليبي يعلم هياج المسلمين وقيامهم في زمن الصديق "رضي الله عنه" . وانه قام في بدء خلافته من قام لولا تهديته الخواطر بهيمته^(١) وبعد موته لولا اشتغال امير المؤمنين عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" في الغزو والفتوح لحصل ما حصل في خلافة خليفه الامامين عثمان وعلي "رضي الله عنهما" ودولة بني أمية فيها من التفريق بين ممالك الاسلام ما نعلمه وتاريخ الدول الاسلامية التي خلفتها حاو من الفشل وتفريق الكلمة بين الاسلام واهله ما فيه ومنذ تبوأ دولة آل عثمان عرش الخلافة للآن ما سمعنا باهداء سلام من

ملك مسلم عربي لملك مسلم تركي حتى صدق قول القائل

الضرب والنون قد يرجى اجتماعها وليس يرجى وداد الترك للعرب

بل كلهم يستنكفون تبادل السفراء في عواصمهم مع انهم يقبلون على الرحب

والسعة سفراء الممالك الاوربية فوا اسفا

ما ذا التقاطع في الاسلام بينكم وانتم يا عباد الله اخوان

(١) لما توفي "النبي صلى الله عليه وسلم" ارتدت قبائل عمان والبحرين ومهرة وحضرموت وظهر مدعو النبوة طليحة في نجد ومسيبة في اليمامة وقيس قاتل الاسود في اليمن وهم بالعصيان اهل مكة والطائف وسائر اقليم الحجاز فوجه ابو بكر "رضي الله عنه" همته لتمنع هذه الفتنة وبعث اسامة بن زيد الى البلاد الشامية بجيش هائل اوقع الرعب في قلوب العرب اجمع وهو اجل عمل قام به هذا الخليفة الاول ومن جاء بعده فهو عيال عليه

وها هو حاضر الاسلام في الاستانة منقسم على نفسه وكلهم احزاب وشيع
وكذلك الحال في مصر كثيراً ما تكدر الصفا بين سمو مولانا الخديوي المعظم
وجلالة مولانا امير المؤمنين . والفضل في ذلك لجماعة الاتراك الذين اموا مصر
اخيراً فان منهم جماعة ضد جماعة كلهم هاجون بعضهم بعضاً باقبح الالفاظ
وارذل النعوت

وكل فريق يؤلف ضد الآخر الكتب والرسائل ومن هذه الكتب ظهر
عدد كبير كما قدمنا وكان ذلك سبباً في تعكير العلاقات بين مصر والاستانة .
حتى اصبح البلغاري لائقاً للالثفات السلطاني اكثر من المصري واصبح ابن
الاستانة ينظر الى ابن مصر باحتقار وازدراء بعيشك قل لي هل من الجامعة ان
يشغل السلطان بالهدايا تتبع الهدايا الى ملوك اوربا وذوي الامارات الصغيرة
ويدع مثل سلطان مراكش وامير الافغان لانسمع شيئاً عن مهادته لهما ولو بالسلام
فضلاً عن الاتحاد يدأ واحدة والاجتماع على كلمة واحدة مع انه لا يتصور ان يبغي
بعضهم على بعض او يطعم في زوال ملكه

افهل هذه هي حقيقة السياسة التي اضعنا فيها الوقت الماضي كله . ام من
الحقيقة وحسن السياسة القول ان جميع ممالك الاسلام تحتاج لفتح جديد ويد
الله للتأييد .

ولا يتم ذلك ولا يتحقق شيء مما يقولون الا بالعلم وبث المعارف حتى يبعد
ذلك التفرير المشاهد بين المسلم واخيه وحتى لا ينتظر كل منا وعد ساسة اوربا
الاستقلال وكل منا متعلق بدولة ولو كان هذا التعلق اشبه بالمتعلق باذيال الهوء
او المستجير من الرمضاء بالنار

الجرائد السياسية المصرية

اول الجرائد السياسية المصرية التي أنشئت في مصر جريدة " وادي النيل " التي كانت تصدر مرتين في الاسبوع على شكل كراس^(١) وكان يجررها ابو السعود افندي أنشئت بمصر ١٢٨٣ - ١٨٦٧ ثم عكف من بعدها جماعة السوربين لانشاء الجرائد السياسية ومنهم تنبه المصريون على انشاء الجرائد بكثرة تلك حقيقة نذكرها ولا نبغس الناس اشياءهم . والجرائد يقال عنها انها مقياس كل أمة في ارتقاءها ونموها . فكما تكون الامة تكون جرائدها ومن رام ان يعرف جرائد امة فليذكرها ليتضح له حالة تلك الامة ونقدمها او تأخرها باجلى بيان . والغرض من الجرائد السياسية العلم بحقائق الامور الجارية . والوقوف على الاخبار بين البلاد وبعضها فاذا عرفنا ما ذكر نقول عن جرائدنا السياسية المصرية والأسف ملء الفؤاد انها دون سائر الجرائد التي تنشئها الطوائف الاخرى المعاصرة لنا في معرفة الاخبار وذكر الحقائق . والسبب في ذلك انه يجرر فيها كل كاتب وجد في نفسه مقدرة على حمل الاقلام وتجشم الآلام . واحتمال اللأواء ورزق قلباً ميتاً وكان ذا استعداد ليعيث في ارض الكتابة افساداً . واحتقب من الاوزار وهب من سنة الضياع فلهذا تنشأ الجرائد السياسية المصرية واصحابها غير كفوء لما اتدبوا اليه . وزد على ذلك انهم يتكلمون على مساعدة الغير مساعدات مادية وادبية

ويزداد عددها وعدد النسخ التي تطبع منها ايام اشتداد الازمة ووقوع الحوادث العظيمة مثل ايام الحروب والمشاكل الداخلية حيث يكون مجال القول لها فسيحاً

(١) اما الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) فقبل ذلك بكثير اذ اول صدورها كان

في سنة ١٢٤٥ هجرية

فتعرف بما لا تعرف سواء كان بالكذب او الصدق . والكذب عندها اولى وهو غنمية باردة . فان نشر الارجيف المهيجة للخواطر . ونشر الاباطيل المثيرة للاذهان تروج بضاعتها لما في طبع الناس من الاقبال على قراءة ما يقرع اذهانهم ويهيج خواطرهم صحيحاً كان او باطلاً ويفضلونه على قراءة الاخبار الصادقة المعتدلة الرواية المجردة عن التزويق واتميق . وهذا شأن اغلب الجرائد السياسية المصرية وشأن اصحابها فان منهم كل خلي من مبداء قويم كل محب للباطيل والارجيف والاضاليل بدلاً من الحقائق . ولذلك فلا ثبات لها في الاعندال . وفي انصاف القراء بتقرير الحقائق . وانما ثباتها في عرض البضاعة الرأجة من معارضة الحكومة والحقيقة . مثال ذلك ما نشره بعضها في المدة الماضية ايام حرب السودان . قال ان الجيش أريد وان التعايشي قطع الطريق عليه واتخن في العساكر الجروح . ولما تم الفتح ووصلت بشائر النصر اختفت تلك الاباطيل فمحي الاثر ولم تبق العين . ومن كتابة تلك الجرائد يظهر انحطاطها في الفكر وسقم الفهم . فان المواضيع التي تكتب فيها تغرير في تغرير حتى انه ليسهى على كاتب الجريدة منهم حالة افكاره السياسية فيشحنها باقوال الشتم والسب في الدول "كانكترا" مثلاً او "فرنسا" حسب اهوائه وامياله وكل يعني على ليلاه

على ان القارئ تثبين له حقيقة من ذلك وهي ان المقصود تسلية الخاطر وقتل الوقت وقت الفراغ عصرًا هذا وناهيك عما يدرج فيها يومياً من السباب والشتائم وقذف اعراض البعض من الوجهاء عدا عن ذم سياسة الحكومة وتقميع كل افعالها حسنة كانت او غير حسنة على حد سوى . مثال ذلك . نعت الوزراء بالاستسلام وبانهم لا يهمهم ان عاشت الامة او ماتت لترقية المصالح الانكليزية الى غير ذلك من القول التافه العقيم

وصاحب الجريدة منهم متسرع بحرفته في اظهار فكره في اي موضوع كان
مسترسلا في الكتابة بلا ترو مدع بانهُ العالم في كل فن ومطلب سواء كان نصيحاً
سياسياً او صحياً . ولو كان ممن صدقت فيهم الآية " أتأمرون الناس بالبر وتتسون
انفسكم "

اما النصيح السياسي فهو على ما يذكر القارىء التشيع لاحدى الدول ضد
الاخري ولا يسهى عن القارىء عكف الجرائد مدة العشر السنوات الماضية على
البحث في جعل نفوذ " فرنسا " اعظم من نفوذ " انكلترا " على ان ذلك لم يجدها
نفعاً سوى جعل الامة فريقين فريقاً متشيعاً مبدؤه انكليزي يهوى مسالمة المحتلين
بقدر ما يمكن وفريقاً متشيعاً على فساد يعكف على المناداة بالانجلاء وانعلق باهداب
الساسة في اوربا . ولكن ذلك لم ينتج ثمرة سوى ضياع الوقت وايغار الصدور عدا
عن ظهور بهتان تلك الجرائد ليصدق فيها قول " عمر " من تخلق للناس بغير ما فيه
فضحه الله . واي فضيحة للجرائد المتشيعه لفرنسا ضد انكلترا من كذب ديبلونكل
وبهتان هانوتو ونفاقه فقد تمنطقت بهما وبغيرهما تلك الجرائد لظنها فيهم ان البلاد
تستقل بجمعهم فكانوا حيات للدين واليقين . وللجرائد نصيح آخر سياسي دليله ايام
حرب الانكليز والترنسفال . فقد كانت تحرض الجيش المصري في السودان على
شق عصا الطاعة في معرض الحث على النخوة والمروءة وتغير الجنود المصرية على حسن
طاعتها وحسن ولائها في معرض التباهي بصفاء نيتها وسلامة طويتها وترجف بان
زمن التمرد على قوادها قد تهاياً . ولكن ذلك كان منها على سبيل الانكار او على سبيل
الاستفهام ولا سيما عند الاطباب في شجاعة البوير واشاعة الاشاعات الكاذبة عن
الانكليز والاعجاب بما تفعله امة صغيرة مثلهم والتحسر على امة كبيرة مثل المصريين
وزد على هذا تعييرها الامة وجيشها انها تهاب اللقاء جنباً وتخلد الى السكون ضعفاً

وتوايماً . كل ذلك لكي يعود عليها بالمغرم والريج ولو كان فيه ابعاد المودة من قلوب
المحتلين للمصريين وبالاخص المسلمين ولتوقع النفور بينهم والجفاء . ونحن امة ساد
الجهل فيها وقصرت افكارها عن فهم الحقائق وادراك ما ينفع وما يضر . وليس الحال
مقتصراً على النصح في السياسة فقط بل لهذه الجرائد نصح آخر في المتجر ضرره اشد
وقعاً مما تقدم فانها بمقدار قليل من المال تأخذ من احدى الشركات او "البورص"
تعلن طرق الخداع والنصب وتحض الامة الى الولوج في ابواب الشركات المجهولة
لديهم . ثم بعد حين تأخذ باللائمة عليهم لداعي ما خسروه واضاعوه في شراء
الاسهم والسندات حتى وقع الناس من فضل هذه الجرائد في شرك الخراب وافترق
كثيرون منهم وساءت امورهم . وللجرائد نصح آخر صحي تدعيه وهو الكتابة زمن
نقشي الامراض التي تنتشر بالعدوى ولم يدرك سيرها لان احد حتى ولا نطس
الاطباء . فانها كثيراً ما تكتب كتابة يصدقها جماعة العامة ويساعدها في الكتابة
بعض الاطباء الذين لم يدرسوا علم "البكتريولوجيا" فينشأ عن ذلك خطر عظيم
تبيت به البلاد عرضة للوباء . ونذكر القارى من نتائج ما كتبه الجرائد حادثة
مصر القديمة التي هجم الرعاع فيها على عمال التطهير من رجال الصحة وحادثة
الازهر التي اضطرت البوليس الى استعمال القوة في ايام الهوء الاصفر . وحوادث
الوطنيين في بورسعيد . وحوادث هجوم الرعاع في الاسكندرية في عام ١٨٩٨
وهنا مجال لتفكرة القارى في ضرر الجرائد بالنصح الصحي الذي تدعيه وهي لا تعلمه
ولقد سببت الجرائد التي لا تنفع المجادلات والمشاحنات حتى وقعت الامة
في انقسامات شتى فنحن الكل مصريين ولكن في الدين مختلفين . فاذا سنت
الحكومة قانوناً "وهي الآن حكومة دستورية تعد من اول طبقة بين حكومات
الشرق" فانا جميعاً نقوم قومة واحدة لنرى هل هو مطابق للدين . فان وجدناها

وافقت الشرع الاسلامي قبلنا القانون نحن ولو كان مخالفاً لسوانا من الآخرين
المسيحيين الذين تهضم حقوقهم لما لنا من الاغلبية بالنسبة الى عدد كل فريق .
فيسود الشقاق اثر ذلك ونحن احوج الى الالفة ولهذا تجد الاحزاب في مصر
حزب للمسامين وآخر للمسحين

تسمي الحكومة المسائل التي تختلف فيها مسائل ادارية كما تسمى في جميع
بلدان العالم . اما الجرائد فتسميها مسائل دينية طائفية يخشى منها على الدين بتبدى
صغيرة لا تكاد تذكر فتوسعها الجرائد حتى نتسع وتوشك ان تكون فتنة داخلية .
ولا الجرائد تفهم الحقيقة ولا الاهالي يفهمون . ولدينا شاهد وهو منع الحج لوجود
الطاعون في مكة المكرمة منذ سنتين . والقارى لو استقرأ هذه المسألة التي شغلت
الرأي العام الاسلامي في مصر اربعة اشهر وهاجت لها العواصم والقرى . لوجدها
مسائل عمومية يهيم الامة التسليم بها لأن الدين لا ينافي ذلك في مثل هذه
الاقوات . الا ان الاحقاد الجرائدية والاحزاب المتأخرة عدوة للوزارة الفهمية مها
عملت من الاعمال النافعة . والامة لجهلها حقيقة دينها تحذو حذو نفر قليل من
اصحاب الجرائد وتطلب طلباتها سواء كان اصحابها مخطئين ام لا . وهذا سر ودليل
آخر على تأخرنا . والا فلو كان فينا عدد عظيم ممن تعلم لكان الحال ارق مما نحن
عليه الآن

خذ لهذا مثلاً آخر مسألة اصلاح المحاكم الشرعية التي شغلت الازهان زمناً
طويلاً وهاجت لها افكار العامة تجدها حقيقة تدل دلالة صريحة على انحطاطنا . والا
فلو كان فيها ضياع لسياج الدين ضياع للشرع ما قبل الاصلاح المتفقين في الدين
ووضعوا له التقارير وطلبوه . ولكن الجرائد قامت صائحة حائثة الامة على الاحتجاج
على عدم مس المحاكم الشرعية . وكان كل فقيه وعريف في القرى يتنقل من مكان الى

مكان يحرض الاهالي المسلمين على الاحتجاج وتقديم العرايض والتلغرافات للمعية السنية بمصر كأن اصلاح المحاكم الشرعية جرم كبير وارتكاب محرم . وكان نتيجة ذلك كف يد الحكومة ورجالها حتى ألفت لجنة لمشاهدة المحاكم ووضع تقارير عن الحالة . والله يعلم كم ناب الاهالي من تعطيل المحاكم وكم ناب الامة من العار لدى الامم الاخرى . ولا يزال قصار العقول سقاء الافكار واجدين على الوزارة حاقدين عليها . والسبب انما تأتي من الجرائد التي يقرأ فيها العداة والبغضاء ولا يخفى ما للجرائد من التأثير — اذ الجرائد الدورية اسرع انتشاراً واقرب الى تناول الناس من الكتب ولها مشتركون مخصوصون ومواعيد ظهور تنتظر فيها بكل تشوق ولها باعة يعرفون مسارب طلابها ومنتديات عمومية تعرض فيها بخلاف الكتب فانها خالية من كل هذه المزايا في النشر^(١) — هذا وللجرائد الاسلامية عادة غير مستحسنة وهي انه عند وفاة مسيحي لا نترحم عليه فتقوم الطوائف الاخرى في المسلمين التعصب خصوصاً لتكرار وقوعه فضلاً عن تكرار اثاره الاحقاد والعداوة وتوسيع الخرق بين المسلمين والمسيحيين وعلى ذلك يبقى العداة منصوباً بيننا وبين اخواننا المسيحيين الوطنيين من جهة وبين الانكليز من جهة اخرى . وكل هذه الاسباب لها تأثير على العامة وبعض الخاصة ولكن عقلاؤنا والله الحمد قد ادركوا ذلك وعلموا هذا الشقاق فصاروا لا يثقون بقول امثال هذه الجرائد التي تعتمد التفريق بين مجموع الامة على حد قولهم "فرق تسد" غير ان هذه الجرائد التي تظهر بهذا المظهر حياتها قليلة وقل ان يمر عليها الحول

والسبب إما لأن البلاد والامة عرفت عدم حاجتها اليها . او لأن اصحابها انقطعت عنهم الامدادات الخارجية وحينئذ لا تلبث الأعشىة او ضحاها او لسوق

(١) قول احمد بك الحسيني في احدي مرافعاته امام محكمة عابدين في يونيه سنة ١٩٠٠

اصحابها للمحاكمة لجريرتهم في كتابتهم على طرق مستهجنة. مثل التعرض للشخصيات
فحومت وحكم على اصحابها

وعدد الجرائد السياسية المصرية التي ماتت في الخمس سنين الماضية ٩٧
جريدة سياسية كنا نحب درج اسمائها لولا خوف الاطالة غير اننا نقول ان الذين
حوكموا من اصحاب هذه الجرائد لاسباب الهجوم والسب والشتم والتزوير تسعة .
منهم اثنان لطعنهم على المرحومة جلالة ملكة الانكليز وآخر ساقط الآداب لهجوم
سمو مولانا الحديوي الاكرم^(١) والباقون لشتهم الامراء والعظماء ولتزوير الاوراق .
ولم يقتصر الحال على اصحاب هذه الجرائد بل ان بعض وكلاء هذه الجرائد حوكموا
ايضاً لاختلاسهم اموال الاشتراكات فيها وعددهم كذلك لا يقل عن ستة
هذا هو حاضر جرائدنا المصرية السياسية تذكره بلا التفات الى التحيز
لفريق دون آخر لما في الحق من اللذة ولما في الصدق من عدم التمييز والله اعلم
بذات الصدور

المجلات العلمية

الغرض من المجلات العلمية تحييص الحقائق التاريخية وتخليص العلم من كل
شائبة . مع ذكر ما اهتمت اليه العلماء في بحثهم . والحض على بث التعليم
والاستفادة بالطرق النافعة . ودليل كثرة المجلات العلمية التي من هذا القبيل بين
كل طائفة مبشر بتقدم العلم ونمو درجته بين افرادها . ذلك لما تبرزه المناظرات
فيها من الحقائق الراهنة التي ترسخ في اذهان قراءها ولقد ادرك الاسلام ذلك في

(١) بقصيدة صدرت يوم تشریف سموه من الاسكندرية الى مصر في ٤ نوفمبر

زمن بهجته وعزه ولو لم تكن المجلات معروفة في ذلك الحين معرفتها في وقتنا
 الحاضر. ولنا في جمع المأمون للعلماء ومناظرته اياهم المرة بعد المرة في مواضع شتى من
 العلوم العالية ما يكفي للاستدلال بان العلم كان اذذاك تحت حماية الخلفاء وكانوا
 يرعونه حق رعايته. اذ كانوا يستجلبون رجاله الى نواديتهم بما يبذلونه لهم من واسع
 النفقات وما يعينون من الجوائز^(١) حتى تكاثرت وفود العلماء على ساحاتهم وازدهمت
 الادباء افواجا على ابوابهم. وهذا مما كان باعثا لهمم الطالبين على النشاط. فعمت
 الفائدة وانتشرت المنفعة. وهذا المفضل الضبي والاصمعي وابو عبيدة واحزابهم ممن
 تقدمهم او تأخر عنهم ولولا تلك الجوائز الطائلة التي حصلوا عليها من المهدي والرشيدي
 وغيرها لما وصلت العلوم الماثورة عنهم الى ما تراه في سير السلف. من انتشارها
 بين ظهرانيتهم ولكن زمن هؤلاء الخلفاء انقضى واصبحنا على ما تعلم وشمطنا السبات
 العميق المنتظر لتقلب احوالنا وتغيير ملوكنا واهرائنا فتنقلص ظل المعارف من بيننا.
 الا انه لم نعدم رجالا ربوا في مهده العلم والفائدة فقام منهم افاضل كثير ونخدموا
 العلم بعلمهم وعملهم ومن هؤلاء فاضلان "مسيحيان" عرفوا الحقيقة باخبار الزمن
 فانشأ مجلة "المقتطف" منذ خمس وعشرين سنة تلي على نبها الامم الشرقية باسرها
 اسلامية او مسيحية ما يجد من المباحث الفلسفية العلمية المفيدة. فترى تارة في احد
 اعدادها مباحثات فلاسفة العصر في اوربا مترجمة عن اللغات الافرنكية للغة العربية
 الشريفة. وتارة يقابل صاحبها ما ذكره العرب قديما مع ما حققه علماء الافرنج حديثا
 فيتسنى لها على هذا الاسلوب تخيص الحقائق من القولين. او ترجيح احدهما على
 الآخر ثم يهديانها للقراء. وفي عمل هذين الفاضلين خدمة جليمة لأهل اللسان

(١) لما ولي المأمون الخلافة استدعى من القسطنطينية عالما يسمى «ليون» فابى توفيل

ملك القسطنطينية ان يرسله فكان بينهما سنة ٨٢٥ ميلادية حرب

العربي الجميل مما لو كانا معاصرين لتمدن الاسلام ونموه الاول السابق ذكره لانهاات عليها النعم والاكرامات كما انهاات على من سبقها من العلماء المسيحيين في زمن المأمون وبعده.

وقد كانا والحق اولى ان يقال بعملها هذا قدوة لنا معشر المسلمين في انشاء المجلات العلمية الاسلامية الا ان مجلاتنا الاسلامية المحكي عنها ظهر كثير منها ثم اختلفت. حتى انه من مدة ست سنين للآن ظهر ١٠٤ مجلات ثم ماتت وكان لم يكن لها من اثر

والسبب قلة الاستعداد لمثل هذا الامر من الذين يقدمون عليه منا وما يكتبه اصحابها فيها دليل عدم الاستعداد. فمن كتابة تكررت بعبارة سقيمة فيها موات اللغة. ومن طرق للباحثات التي لا تجدي نفعاً. ومن اشعار ادرجت في العشق ومن وصف للخمر او للعمامة او لصبي او صبية او لدابة او قطع من الحكايات التي لا تغني شيئاً نشرت وتكررت وكل ذلك بسجيم الالفاظ والايان على خيالات تروق لمن هو مثلنا في التأخر علماً وعملاً وكفى شاهداً انه لا يوجد لنا معشر المسلمين مجلة مثل مجلة الضياء تعني بخدمة اللغة اليوم حتى تعيدها لما كانت عليه قبلاً مع ان منا رجال اللغة من الازهر بين^(١) السابقين وغيرهم

وناهيك بالمناظرة التي يحى وطيسها بين المناظرين في جرائدنا العلمية والتي كثيراً ما تؤدى بهم للمهاترة والمشاتمة وفي الختام نتجلى كما يتجلى النهار على الاحلام. فتنتشع غيوم تلك السفسطات والاهام. ولعل ذلك سبب اياهم خاسرين مردولين (١) ومن العجيب ان علم اللغة لا يدرس في الازهر كبقية العلوم التي نقرأ فيه مع ان علم اللغة هو العمدة في العلوم والاساس التي تبنى عليه ومن الاسف ان هذا العلم ليس هو وحده الذي فقد من الازهر بل له نظائر عديدة ايضاً وفق الله العاملين على الاصلاح الى اعادتها اليه آمين

من ميدان المجالات العلمية دون باقي الطوائف ولو كان عددها في الوقت الحاضر تسعاً وكلها تظهر بمظهر المجالات التي تسبب الى العلم وليس فيها منه غير شوائب كدر الاختلاق عنه والتمويه والمواربة فيه ما عدا واحدة او اثنتين . ولعل لهم عذراً يقبل ما داموا هم ومجلاتهم سبباً اخر نعمسنا في سبات الانحطاط والتأخر . في وقت نحن احوج فيه الى الاصلاح بذكر حقيقة الواقع غير انا لا نبغس في الخنام هذه الجرائد حقها ما دام يمكننا القول عن فائدتها انها اتت بثمرة ترغيب الامة في المطالعة وايجاد الميل الى الوقوف على ما يكتب وان كان بحثاً في خلط الحق بالباطل وتمويه القول الصحيح بالقول الهراء فسبحان من جعل الداء انجم علاج للدواء . وهو رب العرش العظيم

الجرائد الدينية الاسلامية

الغرض من الجرائد الدينية . ترويض النفوس بالتأمل في الدين . واسرار احكامه السامية . والحض على احياء او امره الصحيحة التي دفنها قلب الزمن وتغير افكار الرجال بالاختلاط المشين . وعلى اماتة باطل ظهر في الدين من عمل ارباب البدع الذين لا خلاق ولا دين لهم واسداء النصيحة بالاحتراس من الوقوع في سيئات نهى الدين عنها ولو كانت صغيرة في شأنها . والامر بالتفكر في الآخرة وما يلزم لها من صالح الاعمال والارشاد للسلوك في طرق مأمورها من الله جل وعلا . توصل الانسان للصواب المبعد عن المواقظة لديه وتقرب الانسان بالثواب اليه . وحبذا هذا العمري من غرض سام ومقصد حميد . خصوصاً في وقت ألست فيه مبادئ ديننا غير لبوسها بواسطة اهل الفساد والجهل الذين لا يخلو منهم زمن . حتى اصبح يلتبس على الفهيم المدقق فهم حقائقها التي كان لا يرتاب فيها البدوي الساذج

فما دام الامر على ما ذكر فليعمل بأمر الله من اوتي العلم قياماً بالامر وغيره على الدين فقد قال عز من قائل - فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون - وقال تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون .
لانه اذا دام الحال على ما نرى فالعاقبة انحطاط في الحياة الدنيا وهلاك في الآخرة .
وقد آن لنا ان نبحث عن الجرائد الموجودة لهذا القصد وننظر اليها نظرة ناقد لتدبر أعندنا منها الكفاية ؟ وهل احاط الموجود منها بالاغراض المذكورة

الجرائد الدينية الاسلامية احدث عهداً من سواها من الجرائد السياسية والمجلات العلمية وعددها في الوقت الحاضر لا يتجاوز الاثنتين او الثلاث يحررها بعضهم من متخرجي المدارس وبعضهم من متخرجي الحرف والصنائع المجتهدين في تحصيل المعارف . ينشرون فيها بقدر الامكان ما يمكنهم معرفته من امور الدين ووصاياه . واكثر ما فيها ما ينقله اصحابها من الكتب المؤلفة لبيّنوا الاوامر والنواهي بقدر ما تستطيعه مداركهم وهذا عدا عن كونه غير ممكن اعتقاد الصحة فيه بالنسبة لقدر الناقلين فهو قليل بالنسبة لما يلزم وغير كافٍ للتأثير على الاخلاق والعقول الى غير ذلك مما هو جوهرى في انشاء مثل هذه المجلات ^(١) . ثم هم فوق ذلك يخلطون في المواضيع بين ديني وسياسي واخباري الخ . حتى لا نعود نعرف انها مجلة دينية الا من اسمها . وحتى ينقلب الخير المقصود شراً بواسطة هذا الخلط

(١) لانكر ان مجلة المنار الاسلامية لها اليد الطولى الآن بالتنديد على افعال العلماء لواجبهم والتنفير عن البدع والخرافات التي لصقت بالدين كما انها تتابع المقالات المقيدة في الاصلاح الديني وانا نرجو لها نجاحاً دائماً ونأمل من محررها ان لا يجعل للشخصيات عليه سبيلاً وان يوالي النصح والارشاد بالنبي هي احسن والله لا يضع اجر من احسن عملاً

الذي لا يراعون الذوق في التأليف بين مواضيعه وذلك من عدم تمكنهم فيها
 وضعف كفاءتهم لها . والادعي انها تظهر حيناً وتختفي احياناً . وفي كل ذلك من دواعي
 الاسف وبواعث القنوط لكل ذي شعور بحاجات امته ما لا يقدر
 والخلاصة ان جرائدنا الدينية الحالية ليست مما ينتفع به كل الانتفاع .
 والاهتمام بأمرها من اهم الواجبات ليس فقط لأنها عديمة النفع . بل لأن هناك امراً
 يجعل الضرر مزدوجاً . وهو انتشار مجلات المذاهب الاخرى الدينية بيننا انتشاراً
 "يكفل له الزمن واهمالنا اذا دام" عدول الامة بأخلاقها ومشاربها عن شرع الاسلام
 وذوق آدابه وطرق سلوكه^(١) واضن ان هذا الحال وحده كاف لانهاض هممنا
 واشعال غيرتنا

وتوجيه افكارنا لصد هذا التيار الجارف والعمل العدائي الذي يعملونه في
 جرائدهم بانتظام ويظهرون فيه بمظهر الناصح المحق والمرشد الامين ومن اين لنا هاد
 نستدل بتعاليمه في دياجي هذا التضليل وقوي كريم نعتز بجوله على مصائب
 هذا الزمن غير علمائنا الكرام وعظماء امتنا الفخام وقد سبق لنا الكلام عنهم
 واحوالهم لا ترضي الرجل الشهم الغيور

فاللهم يا منير بصائر العلماء بالحكمة انس عواظهم بنار مباركة من عندك
 ويا رافع شأن الاعاظم بالغنى والجاه علمهم ان يعرفوا فضلك في انفسهم لكي يتآزر
 الفريقان ويتحدا محافظاً على شريعتك الغراء الضامنة لهم سعادة الحياتين الباقية
 والفانية انك انت السميع المجيب

(١) خصوصاً اذا عرف القارى ان كثيرين من المسلمين مشتركين فيها

خلاصة القول عن الجرائد

واجمال القول في الجرائد اننا معاشر المصريين وبالاخص المسلمين ليس لنا مجلات علمية بقدر ما للطوائف الاخرى ولا ما يقاربها وبالاخص السورين . اذ لا توجد بيننا مجلات قضائية ولا زراعية ولا طبية ولا تجارية ولا مدرسية . وان وجد شيء منها بلغتنا العربية فانما هو بأيدي اخواننا السورين الافاضل فاهم في ذلك فضل الاسبقية فان لهم اربعة مجلات قضائية وليس لنا واحدة منها . وثلاث مجلات زراعية وليس لنا منها الا واحدة . واربعة طبية ولا شيء لنا منها . وواحدة تجارية ليس لنا منها ايضاً . ومجلتين نسائيتين وليس لنا منها الا واحدة فقط ولطائفة الاقباط مجلة مدرسية وكان لنا واحدة مثلها فماتت ذكرنا ذلك بياناً للفرق وما نحن عليه من الخمول ولم يكن هذا الاحصاء منا رجماً بالغيب بل هو اعتماداً على تقرير مصلحة البوستة وحسبك به تصديقاً

الوطن والوطنية

الوطن تعريفاً هو الجهة التي ينتسب الانسان اليها بصفته فرداً من افرادها خاضعاً لاحكامها ونظاماتها سواء كان ذلك بحق الولادة او الاقامة او الانتساب للامة . اما الوطنية فهي الشعور الذاتي برابطة الانتساب التي تجمع بين الانسان ووطنه ومن يشترك معه في هذه النسبة اي بوحدة مصلحة الطرفين وضرورة السعي في رفعته وتقويته والذود عنه رفعة وتقوية وذوداً عن المصلحة الفردية وقد يشعر الانسان بارتياح وحنين الى الوطن خصوصاً عند الابتعاد عنه ولكن هذا

تأثير طبيعي عام يجعل النفس تألف الاشياء والمناظر والحوادث التي تعودتها او نشأت فيها وتشعر بالوحشة عند الابتعاد عنها. فهو اذا ليس قاصراً على الوطن بل قد ينشأ ايضاً نحو بلاد اجنبية عنه يكون قد عاش الانسان فيها زمناً و آلف معاهدها. هذا هو الوطن وهذه هي الوطنية بحسب التعريف الاصح. وان كان لا يحتمل ان يختلف في ذلك دقيقو البحث في المسائل الاجتماعية والسياسية الا انه لم يكن المتفق عليه شكلاً في جميع الازمنة. واقول شكلاً لان الجوهر في الوطنية وهو وحدة المصلحة امر اتفقت عليه الشعوب والجماعات عفواً من حين ما نشأ الاجتماع على وجه البسيطة بحكم الضرورة الطبيعية. فقبل ان يتنبه خاطر اول جماعة من الجنس البشري الى معنى الاجتماع اتحدوا بدون بحث وما كان الحامل على ذلك غير الاضطرار والحاجة المصلحية. ومثل هذا الاتحاد الطبيعي ظاهر في جميع مظاهر الطبيعة. تخليقات العضو الواحد من الجسم متحدة لوحدة مصلحتها وحاجاتها الى تنازع البقاء في وسط الجسم كله وهكذا عموم الاعضاء اي الانسان في حالة الانفراد بالنسبة للوسط الذي هو قائم فيه سواء كان عالمياً او اجتماعياً او سياسياً. وهكذا العائلة بالنسبة للوسط القائمة فيه والامة والبلاد التي تنتسب اليها. وهكذا قل عن الناحية بالنسبة للمركز والمركز بالنسبة للمديرية والمديرية بالنسبة للحكومة والحكومة بالنسبة للحكومات وهلم جرا. وما يقال عن المنظمات الاجتماعية يقال عن المنظمات الصناعية او التجارية او الفنية وغير ذلك فلتجار صنف معلوم في ناحية واحدة مصلحة ووحدة خصوصية يشعرون بها ويهتمون لشأنها اهتماماً خاصاً ولجميع تجار الناحية اجمالاً مصلحة ووحدة اخرى قائمة بنفسها ولجميع تجار المديرية او البلاد او العالم قاطبة وتكون هذه الوحدة وهذا الاتحاد تابعاً للمصلحة الحقيقية المسببة لها فتقوى طبعاً عندما تكون خالية من تأثير

المصلحة الافرادية وعند ما يكون هذا التأثير غير محسوس وتضعف بضد ما ذكرنا. فالوطنية اذا قائمة في الحقيقة في وحدة المصلحة ليس الا. فالامم الراقية التي تدرك هذه الحقيقة تماماً لا تخلط فيها وتبني جميع اعمالها وسياستها عليها فتصبح قومية الذعائم يندران تفعل فيها ثقلبات الدهر فعلاً محسوساً اما في الامم الغير راقية تماماً فالوطنية الصحيحة لا تعرف انما هي متحد والاصح ان يقال انها تجتمع بحكم الحاجة لقضاء الغرض الذي ترمي اليه ولكن مثل هذا الاتحاد لا يلبث ان يزول بزوال الغاية لمدم ادراك الافراد اساسه الصحيح ورسوخه في اذهانهم. ولا يخفى انه يصعب على جميع الناس تحديد هذه المصلحة ومعرفة ماهيتها ومن اين تبتدي واين تنتهي ولكن لا اختلاف في حقيقتها عند الباحثين. فلكل بقعة في الارض مزايا طبيعية واقتصادية خصوصية يشعر سكانها بالميل والحاجة الى احنكارها وتوسيع نطاقها ما امكن وليس من باعث لهم في ذلك غير حب المصلحة الذاتية وخدمة الانسان نفسه. ولا ارتباط ثروة ومنافع العالم كله بعضها ببعض ولجنوح كل انسان وكل فئة من الناس فطرة الى جعل نصيبه وافراً منها. نشأ التزاحم بين كل فرد وقرينه وبين كل فئة واخرى. وربما أدى هذا التزاحم بالانسان الفرد الى مقاتلة الفرد الاخر. ولا يمنع هذا اختلاف شكل ووطنية كل عضو حيث انه قائم على ناموس الحاجة الفطرية. ويتحد افراد كل بقعة بحكم الناموس نفسه الى مكافحة افراد البقعة الاخرى. فان شذت هذه الاعضاء او الافراد عن هذا الناموس الطبيعي انفرط عقدها وفقدت قوتها وعجزت ليس عن المقاتلة فقط بل عن المحافظة على حياتها فتغتلها القوات المحاطة بها وتصبح في حكم العدم. هذه هي حقيقة ناموس الارتقاء تدل عليها حالة كل امة ويدل عليها بالاكثر انحطاط الثبرق وتهميوه الحالي لفقد الباقي من استقلاله ان كان هناك استقلال حقيقي باق

الوطنية في عرف الشرقيين

وعلة شقائهم

ان انحطاط العلم في الشرق وفقدان قاعدة البحث في الحقائق جعل
الاكثرين فيه لا يفهمون معنى الوطنية كما هو . وجاهلهم ان لم اقل كلهم يعتقدون
انها قائمة في جامعة الدين . نعم ان الدين يقوي تلك الروابط ويهدب اميالها ولكنه
لا يحول دون هذه الجامعة ان ادرك كل فرد ماهية دينه والغاية الجوهرية منه .
انما الجهل قد ابعده هذه الحقائق عن اكثر الشرقيين فهم يعتقدون ان لا جامعة
حقيقية غير جامعة الدين . فزال الاتحاد الوطني من نفوسهم وضعفت وحدتهم
واخذت في الانفراط

عدم تنافر الدين والوطنية

الدين عبارة عن اعتقاد بتعاليم خصوصية لا لتعدى دائرة الضمير وهي قاصرة
على علاقة الانسان بربه انما يسن اليه القواعد التي تتعلق بشؤونه مع غيره في
دائرة علاقاته الادبية لا في علاقاته الاجتماعية التي يعود امرها الى القوانين
النظامية السياسية . فوحدة الدين هي فقط الارتياح الذي يشعر به الانسان
عند ما يرى آخر مشاركاً له في رأيه ومذهبه . والمصلحة الدينية قائمة فقط فيما
يجده الانسان في شريكه في الاعتقاد من التعاضد في اقامة الشعائر الدينية التي ربما
يعجز الفرد الواحد عن اقامتها بالاحتمال المألوف . فكل ذلك يزيد الاتحاد قوة
وجمالاً ولكنه في الحقيقة خارج عن العلاقات الضرورية التي تحتاج الوطنية اليها

الحاصل الآن في مصر

نحن (اي السواد الاعظم) للآن لم ندرك الوطنية الصحيحة . ولم نشعر
 بوحدتها الحقيقية فالمسلمون يقولون لك ان لنا جامعة اسلامية مستقلة تمام الاستقلال
 عن كل فرد خارج عنها . ويعتبرون جميع مسلمي الارض داخلون فيها . والنفر
 القليل المهدب منهم يفهم ان للوطنية معنى آخر ودائرة نفوذ أخرى انما لا يزال
 يشعر بعداءً طبيعي ممتزج بدمه لكل من هو غير مسلم وربما بدون ان يدرك لذلك
 علة ظاهرة اما الذين يدركون ويعملون على اعداد نفوسهم لائتلاف الوطنية كما هي
 فهم في حكم النادر وقد لا يشعر بوجودهم . وهم بدون شك ليس لهم تأثير على جموع
 كثيرة العدد والبعد عن العلم والتمدن الصحيح . وما يقال عن المسلمين يقال ايضاً
 على غيرهم من المسيحيين الوطنيين ولو ان ظواهرهم تدل على انهم اكثر رغبة
 واستعداداً الى احياء المبادئ الصحيحة وايجاد وحدة وطنية نحن اصبحنا اشد الامم
 احتياجاً لها في الوقت الحاضر . اذ من حسن طالع الغريبين ونتيجة انحطاط مدينتنا
 وخلو جميع طبقات مدارسنا من مبادئ التربية الصحيحة ترانا الآن منقسمين الى
 قسمين رئيسيين قسم المسلمين وهو "حزب العرب وحزب الاتراك" وقسم النصراني
 وهو الاقباط الارثوذكس والكاثوليك والسوربين والارمن وغيرهم . وكل قسم ان
 لم يكن مهتماً في ادلال غيره فهو على الأقل عامل لمصلحة خاصة بدون ادنى ارتباط
 بالمصلحة العامة . وهم جميعاً يشتغلون ضد مصلحة انفسهم ولخدمة الاجانب الذين لا
 غاية لهم الا ابتلاع البلاد وما فيها وامانة العواطف الوطنية للاجهاز على ما بقي او
 يبقى لأهالي البلاد . والغريب أنا جميعاً غافلون عما تؤول البلاد اليه من التأخر
 المستمر فيما يخص بالوطنيين والبعض منا يتوهم ان المعارف نتقدم يوماً عن يوم وأنا

بهذا التدرج انما نرتقي ارتقاءً متوالياً. ولو انا بحثنا الامر حقيقياً نرى ان سيرنا بجانب سير غيرنا يكاد لا يشعر به والمعارف الصحيحة اقل انتشاراً بيننا من قبل. والحقيقة انا كنا اكثر امتزاجاً واتحاداً من الآن. والسبب بعد المعارف الصحيحة عنا وكثرة الغرور المشاهد بيننا الآن

حقيقة مصلحة المصريين

لنفرض ان للمسلمين جامعة ووحدة مستقلة عن جامعة ووحدة المسيحيين فهل يمكن للبلاد ان تنهض من خضوعها وانحطاطها الحالي؟ وان تحصل على استقلالها بمثل هذا الانقسام؟ وهل يمكن ان يتوقع ان البلاد تخلو يوماً من الايام من احد هذين العنصرين؟ كل هذا يستحيل. فلا وطنية بدون اتحاد حقيقي ولا فلاح ولا استقلال بدون وطنية. ولا أمل قط باختم اص البلاد بعنصر دون آخر. وحيث انه لا بد من اجتماع العنصرين في معيشة واحدة تحت سماء واحدة واحكام واحدة مدى الدهر وما دامت حياتهم بجمع وجوهها اصبحت اكثر من كل زمن تثوقف على القوة والتضامن وهذه لا توجد الا بالاتحاد وهذا لا يكون الا بتربية النفوس على ان الدين لا ينافي العلاقات الوطنية وهذا الامر طبعاً لا ينتظر من مدارس الحكومة حيث فكرة التعليم فيها ناقض المصلحة الوطنية الحقيقية فان رغب وود المخلصون لهذه البلاد ارتقاءها الفعلي وتمهيد السبيل الى استقلالها فلا يكون ذلك الا بفتح مدارس للبنات في جميع انحاء البلاد. وجعل المبدأ الاساسي فيها التربية الصحيحة بجميع انواعها. واكثر عدد المدارس الحالية للاولاد وانشاء جامعة في العاصمة يستحضر لها اساتذة من بلاد لا غاية سياسية لها في القطر.

والسبيل الى ذلك صعب لا مستحيل. انما نحن نترك البحث فيه الى غيرنا من اصحاب
النظر السليم والله يتولى امورنا بالنجاح جميعاً

الاسراف

” او ميزانية الهدم في الامة “

” والذين اذا اتفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما “ (قرآن شريف) .
الاسراف صفة عامة في كل الطوائف التي تتألف منها الامة المصرية . ولكنه يختلف
في كل طائفة عن الاخرى . فليس الاسراف في الطائفة الاسرائيلية مثلاً ولا في
الشعب القبطي كما هو في الشعب الاسلامي . واسباب اخلافه حرص الاولين وتوفير
الاقباط وبالعكس تبذير المسلمين . وما ذلك الا لاحتياط الطائفتين الاسرائيلية
والقبطية لانفسهما في السير على ما يكون لهما فيه قوام الثروة : فلذا دأبهما كنز
المال ولو جارتا على انفسهما والفضل في ذلك ليس لهؤلاء الطوائف بل للمصائب
التي اتت بهم من قديم الزمن وعلمتهم الادخار لوقت الحاجة فان للشعب الاسرائيلي
الآن مركزاً مالياً عظيماً في مصر وليس بعده في الدرجة الا الشعب القبطي . اما
الشعب الاسلامي فلا يكاد يذكر بينهما لانغماس المسلمين في الترف والابهة والعظمة
والتهور في الملاهي والولائم . اذ قد ورثوا كل زينة باطلة وكل ما يفضي الى الاسراف
والتبذير والحراب وهم لا يعلمون . ومن الغريب ان يحكم البلاد الان غير اهلها ولا
تشعر الطوائف المتألفة منها الامة المصرية بالتحوط لانفسهم في حفظ اموالهم لتربية
ابنائهم بما ينفعهم في ايامهم المستقبلية المجهولة اذ ليس اقوى من المال على حفظ
كيان الامة والجماعة . وما من امة استغرق افرادها في الاسراف والتبذير الا

تلاشت وانحطت وضعفت واضمحلت مقاماً وكياناً . ومن الاسف ان الاهالي عموماً
والمسلمين منهم خصوصاً ليس لهم في زمن حكومتهم العادلة وسائل لموارد الرزق
لجهلهم كيف يستخدمون اوسائط فيما ينبي الثروة : والمتأمل يرى ان عمران القطر قد
عاد بالفائدة المالية على جماعة الاجانب لعلمهم بطرق الاكتساب واغنائهم الفرصة
المناسبة في زمن العدل فلذا ترى الاجنبي يحل محل الوطني كل يوم في اكثر مواطن
التكسب لشيوع العلم فيهم وشيوع الجهل فينا وعلّة ذلك الاسراف المشين الذي
بليت الامة باجمعها به والمسيحي لا يأمره دينه بالاسراف والمسلم ايضاً كذلك فان
المتأمل لحكم احكام الشريعة المطهرة يجد في كتب الفقه ما مواده انه لا يجوز
لمتوضىء ان يسرف من الماء اكثر مما يلزم منه للوضوء ولو كان على شط نهر او
ساحل بحر . فاذا لم يجز لمن يتوضأ لعبادة ربه ان يسرف من ماء البحر الذي هو اوفر
الاشياء في الدنيا وارخصها ولا ينقص بوضوء المتوضئين سواء اكثروا منه او اقلوا .
فكيف يجوز لعاقل تبذير المال الذي عليه مدار مصالح الامة في الدارين واغلي
الاشياء واندرها بالنسبة للحاجيات العمومية . ولا سيما اذا انفق الانسان فيما لا ينفع
وهو من المحتاجين اليه اشد الاحتياج وحالة العمران تستدعي الاعتماد على المال في
قضاء الحاجات والواجب على كل انسان له زوجة واولاد ان يستعد للموت العاجل اي
ان يدخر لهم ما يقوم بحاجاتهم حتى اذا فاجأته المنية قبل ان يصيروا في غنى عنه
لا تبرح بهم المتربة ولا يكونون عالة على الناس . ولا يخفى ما في طوارئ المرض
والعطلة والشيوخوخة ايضاً من الحاجة الى المال . ومن احوج الناس الى ذلك مثل
جماعة الوسط من الامة — فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً — ولقد انتبه
الى ذلك وسط جميع الامم فانشأوا لذلك بنوك الاقتصاد ومن ثم كل يوم عددها
بينهم في ازدياد . وما كل ما يشاهد من الهمم في الامة المرثية عنا الأمن آثار

هذا العمل الباهر . وهو سرٌّ من اسرار ارتقاءهم عنا^(١) وحبذا لو حثت على الاقتصاد الجرائد بدلاً من سياسة "الطرايش في الهند" او ذكر ما روتهُ جريدة "محمدان" او ذكر "نجاح ونقدم حزب تركيا الفتاة" "ومصائب المالمين" فان الجرائد في تلك البلاد باذلة الجهد دائماً في تربية ملكة الاقتصاد في الامة لأن به قوام شعبها وحياته . ولو فرطت الامة في الثروة وبعثتها وبددتها فلا بد ان تصبح على شفا جرف السقوط والاضمحلال خصوصاً اذا كان التبذير والاسراف في مهام خارجية وفي زوائد تقليدية مثل استرسال جماعة الوسط الذي هو نتيجة عدم تعليم وايجاد ملكة الاقتصاد سيما وقد ساد على العقول المثل "اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب" وليمان الابواب الهادمة لثروة الامة نقول آفات الاسراف كثيرة منها آفة الميسر تلك الآفة الحديثة العهد في ديارنا فوق ما فيها من الآفات الكثيرة التي تسمت منها الاجسام وصغرت بسببها العقول فأماتت العواطف وضيعت الاحساس وافنت المروءة والشهامة فان مع منع هذه الآفة رسمياً بقرار صادر من الحكومة^(٢) لا يزال لابعوها المستترون كثيرين في بيوتهم ومجتمعاتهم الخصوصية وربما اشترك بعضهم مع مخدراتهم اشترأهم معهم في معاقره بنت الحان

(١) اهم بنوك الاقتصاد في اغلب البلدان المتقدمة بنوك البوستة . وما يسرنا ذكره سعي سعادة الشهم الغيور يوسف باشا سابا مدير عموم البوستة في انشاء بنوك الاقتصاد في بعض مكاتب البوستة والمأمول ان يعم ذلك مكاتب البوستة كلها عن قريب فان من يعلم همة سعاده في ايجاد شركة "الاقتصاد والتعاون" بين موظفي ومستخدمي البوستة ونجاحها الباهر يتأكد لديه مقدرة سعاده على ذلك

(٢) القرار المذكور صادر من نظارة الداخلية في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٩١ بعد تصديق محكمة الاستئناف المختلطة عليه . ويقال في المادة ١٧ منه ما نصه — لا يجوز لأصحاب ادارات المحلات العمومية ان يكتنوا احداً من اللعب بالاعاب القمار على اختلاف انواعها مثل البكارا والانسكينة والواحد والثلاثين والاربعين والفرعون والزيرو وما كينة الخيول وما أشبه

وما سلطان القانون على النفس التي لم تهذب وتربّ فيها ملكة الاقتصاد بانع
من اللعب بين المنازل والمصيبة ان آفة الميسر لم تحل بالمدن الكبيرة فقط بل ان
القرى الحقيمة ثن منها وتشكو

ومن الآفات العظيمة ايضاً انصراف الامة الوسطى الى المسكر واندفاعها في
الشرب وتعاطي الخمر حتى اصبح السكر زينة الفتيان والحانات اعز مقاعد الشبان
والمصري بيله الى الافراط في كل شيء سبق غيره في ميدان الخمر فلم يبق مالا
ولا ترك صحة وجهه لدينه وتقليده للأجنبي فيما يضر ولا ينفع كلها اسباب مكنت
فيه حب الميل الى الخمر والألوعرف ان الميسر والمسكر شيئان مخالفان لنصوص
الدين والشرع واوامر الكتاب والسنة من اول تربيته البيئية والمدرسية. وعرف
معنى المقصود بقوله تعالى

« يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان
فاجنبوه لعنكم تفعلون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون - الآية »

وتحقق لديه حكمة تحريمها والتناول منها ما اقدم على مخالفة امر الله الناهي بذلك عن
وارثة دمار الامم الجالبة الفساد والحراب المقتلة للنفس الباعثة على فساد الصحة^(١)
ومعاصرة الافرنج المبثوثين في اطراف البلاد شرقاً ومغرباً ساعد على انتشار

(١) يقول الاطباء ان الخمر تسبب ارتعاش الايدي بعد القدرة على تجربتها وتسبب
عسر الهضم وفقدان الشهية . تلحق بالكبد الاذى . تضعف القرينة . تؤدى الى كثير
الهواجس . وازدياد هذيان المدمن عليها . تؤدى الى الانتحار ولا يزول ضررها بانقضاء حياة
المدمن عليها بل يسري ضررها منه الى ذريته فينشأ الاولاد بالامراض العصبية على تنوع
اشكلها التي من اخصرها داء الصرع ثم انه مما اجمع عليه الاطباء ان ولد السكران يكون ضئيلاً
ضعيفاً وان عاش فقل ان يلد وحينئذ فجنابة الخمر على العقل والجسم لا تضاهيها جنابة مطلقاً
وبهذا استحققت ان تسمى أم المعاصي

شرب الخمر بماله من طرق الخداع والحيل حتى اعتادت اغلب الفئة الوسطى من
الامة على شرب "المستكى" ظهراً "والبيرة عصراً" "والكنياك" "مساءً"
فتراهم جماعات جماعات في الحانات عاكفين على شربها لتمسكهم باهداب مخازي
التمدن والحضارة الغربية . ويا ليتهم في شربهم معتدلون ولا يصلون لحد العرودة
والاسكار بحسوة الكأس اثر الكأس خمره صرفاً حتى لا يتشاجرون ويتضاربون
الى حد الاهانة والمحاكمة ولكن هي الخمر لا حكم لشاربها على نفسه اذ هي المتصرفه
بالعقل انى شاءت من ضحك ورقص وقهقهة وزعيق . ولا يخفى اضرارها المادية
في امة هي بحاجة الى الاقتصاد من مرض يطرأ ومصيبة تحل ومبالغ جهلها لا
يوصف . ومن الآفات المسببة للاسراف قهاوي الرقص المشتمل على الحركات القبيحة
التي يرتد عنها نظر الاديب حياءً وخجلاً
هذا ولا نطيل فيما بقي من الاسباب المؤدية للاسراف ما دامت كثيرة
معلومة لدى القارىء

ولكننا نتقدم اليه باحصاء اخذناه من محافظة مصر - قلم تنفيذ اللوائح -
عن بيان الخماير وقهاوي الرقص والقهاوي العادية التي للاجانب والوطنيين حتى
يظهر لديه بأجلى بيان كثرة مسببات الاسراف في الامة
كان في القاهرة وحدها للوطنيين ١٦٦١ محلاً من خمماير وقهاوي قبل
صدور اللائحة سنة ١٨٩١ وكان للاوربيين ٧٥٥ محلاً من خمماير وقهاوي رقص
وبيرات سنة ١٨٩١ ايضاً اي قبل صدور اللائحة
ثم حدث من بعد صدور اللائحة المذكورة ٥٠٥٠ محلاً للوطنيين و ١٩٨٩ محلاً
للاجانب وبإضافة ما كان قبل صدور اللائحة الى ما حدث بعد صدورها يكون
المجموع ٩٤٧٥ محلاً في القاهرة وحدها

فاذا تساهلنا وفرضنا ان كل خمارة او بيرة او قهوة من هذا العدد تباع يومياً
بنصف جنيه لا غير فانهم يبيعون في السنة بليون وسبعائة وثلاثين الف جنيه
وكسور ثم لو فرضنا ان سائر محال الخمر والقهاوي في جميع القطر بمقدار ما في
العاصمة فقط يكون مقدار ما يصرف في الخمر وعلى القهاوي والرقص وغيره يساوي
مبلغ ثلاثة ملايين وأربعمائة وستين الف جنيه وكسور

كل هذا المبلغ الذي دونه دخل بعض الممالك الصغيرة في اوربا يذهب من
ايدي الوطنيين اسرافاً وتبذيراً سنوياً في شرب الخمر وعلى التفرج على الرقص
والقصف والحلاعة وعلى القعود في القهاوي

ثم لو زدنا على هذا ما ينفقه الشبان الجهلاء الذين يرثون من المال ما لا يحصى
مقداره ويبذرونه في اماكن المقامرة المستورة وغير ذلك لضوعف المبلغ اربع
او خمس مرات

فاي مصري عاقل لا يتفطر قلبه اسي واسفاً على أمة هذا مبلغ حالتها في التبذير
واي انسان لا يتحمر على مال ينفق بلا نفع أدبي يعود على البلاد وتربية ابناءها
وكيف يؤمل حفظ كيان أمة بغير الثروة وهي حياة الممالك . او يؤمل لها مستقبل
حسن . وغاية شبانها وكهولها التبذير والاسراف الذي يزيد البلاد تعاسة وتأخراً
”فأما من اعطي وانقي وصدق بالحسني فسنيسره لليسرى“ صدق الله العظيم

الغناء والحماسة

الغناء صدى النفس الصادر من اعماق القلب بعد احتكاكه بالعواطف
والحاسيات . وهو الشاهد العدل على الاميال الغريزية في الانسان . والواسطة
لتجرد الانسان عن الاشياء الحسية وتعلقه باهداب العقلية والتوسع في الافكار

والخيالات لانماء الشعور واحياء العواطف وكان العرب في الجاهلية ينشدون الاغاني الدائرة على الالسنة في ذلك الزمان في حنلاتهم وكانت كل قبيلة تفاخر الاخرى بمقدار ما في قولها من الحماسة . حتى ان الفتيات اللواتي كنّ مخصصات برعي النوق والابل كنّ يغنين ويحدين لها على الطريق بغية ان لا يستحوذ الملل على النوق والابل وحتى قد اشتهر عندهم اذا ارادوا ان تسرع الابل والجمال في السير غنوا لها وحدوا فتسرع جداً ولا يزال بعض ذلك فيهم كما قد اتصل منهم الى بعض جهات في اوربا^(١) وبقيت هذه العادة ونمت وتحسنت مع الزمن وتداولت على الالسن واختلف نغمها باختلاف القبائل لان كل قبيلة كانت تظهر اميالها واحساساتها ان كان فخراً او حماسة او حباً في الغزو او اكرام الضيف

لا مرحباً بالليل ان لم يأتي في طيه ضيف عزيز نازل
والصبح لا سهلاً به اذا أتى ان كان عندي فيه ضيف راحل

او اسداء المعروف وغير ذلك من صفات العرب الطيبة . فكان السامع يحكم لاول وهلة ان القبيلة التابع لها هذا المنشد موصوفة ومشهورة بالصفة التي يترنح بها في الانشاد والغالب على الظن ان الاغاني كانت عندهم دليلاً على الفخر والترفع عن الدنيا وهذا مخالف لما نراه الآن . وبعد ان بزغ النور الاسلامي ونقشعت دياجير الكفر والجهالة واختلطت الامم الاسلامية بعضها ببعض وتفرقت لفتح الممالك وكسح البلدان ومازجت العناصر الغريبة طبقاً لقانون الترقى في الطبيعة . انتقلت الاغاني من دور كان حماها رعيان النوق والابل الى دور كانت حماها فيه من الخلفاء والسلاطين .

(١) مما يذكر عن اختبارات اهل سويسرا ان البقر عندهم يتأثر من الصوت الحسن الى حد ان ادراة اللبن يزداد على الغناء . وخصوصاً اذا كانت الفتاة التي تحلب اللبن تغني في وقت الحلب غناءً شجياً فان اللبن يزيد الى مقدار الخمس

ولاسيما الاندلسيين الذين اشتهرت في ايامهم الاغاني وموشحاتهم لا تزال خير شاهد على سبقهم في هذا المضمار^(١) ومثل هذا يقال عن المصريين والمتأمل في اغاني تلك الايام يقدر ان يحكم في الحالة التي كانت عليها الامم الاسلامية في ذلك الزمن السالف فالحكيم يقول -- من ثمارهم تعرفونهم -- وهذه الموشحات التي كان يغنيها الاسلام تنطوي على احساسات رقيقة تأبى الذل والهوان . عدا انها كانت صادرة عن افكار ثاقبة وقلوب امتلأت بحكمة وكلاماً وتدل دلالة واضحة على ما وصلت اليه الامة من المجد والسؤدد . فلما تطرق الفساد الى الامة والى محترفي صناعة الغناء لانغماسهم في المسكر الذي لا يبق على العقل والادراك . انتقلت بذلك الاغاني الى دور الانحطاط لاسيما وقد افسد الافرنج بها ذوقنا وسهلوا علينا طرق المفاسد لما آرب يرمون اليها فأخذت الاغاني في التأخر والسقوط الى ان وصلنا الى عصرنا الحاضر الذي اصبح المغني فيه متزوجاً بنائحة لياً أخذ كلُّ منهما بقسم من الحزن والفرح حتى اذا كان هناك فرح دعوه وان كان حزن دعوها . ولا ينكر ان المصريين يميلون الى الغناء والطرب وقد كاد الطرب يعم جميع افراد الامة وجميع طبقاتها واصبح المرء يرى الراح والغادي ذاهباً الى مكان المغني . فالغني عاكف على سماعه بما في وسعه . اما في بيته او في بيوت صحبه والوسط كذلك يسعى ما استطاع لسماعها والفقير والبياع المتنقل الذي يطوف في الشوارع والحواري ينادون بنغم حتى الفعلة وهم تحت الاثقال لا يحلو لهم العمل ولا يخفف اثقالهم شيٌ مثل التلحين والانشاد

والمغني ليس ينكر ولا مكروه اذ قد ورد عن النبي " صلى الله عليه وسلم " انه سمع نسوة يغنين في وليمة عرس فلم ينكر ذلك عليهن

(١) ترى بعض موشحاتهم في مقدمة ابن خلدون

وجاء أيضاً ان نساءً من الانصار استقبلنه عند قدومه من احدى الغزوات
بالدفوف والمزاهر وهن يغنين على الايقاع بقولهن

طلع البدر علينا من ثنات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ولم ينكر ذلك عليهن "صلى الله عليه وسلم". وفي سير الخلفاء حكايات
كثيرة عن حضورهم مجالسه. وقيل ان عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" سمع
الغناء فما انكره مع ورعه ونقشفه وصلابته في الدين. وحتى انه مر في بعض
الايام على ابي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه في بيته فوجده يتغنى فقال له
ما هذا يا ابا عبيدة فقال افعل ما يفعله الرجل في بيته ثم انشد

ولله مني جانب لا اضيعه وللهموني والخلاعة جانب

ويقولون ايضاً في كتب السير ان عبد الله بن جعفر رضي الله عنه كان

يجلس للسمع. وللغناء عمل كبير في تلطيف الوجدان وترقيق الشعور مما لا ينكره
ذو احساس وما من امة مرتقية او منخطة او همجية الا ولها نصيب منه على حسب
استعدادها وارتياحها. والغناء انتعاش للنفس وارتياح للجسم لو كانت في حماسة فيها
دلالة على شبه شيء في نفس السامع فان تأثير ذلك كالغذاء لها من بعد طول شقاءها
وبمدها عنه. ولذلك تستعمل الاغاني في الافراح والحروب وتعالج المرضى بها
وتستعمل في المآتم وبيوت العبادات ولا توجد امة اميل اليها من اهل المشرق اذ تاريخ
الغناء فيهم اقدم وهم فيه اعرق واكثر ارتياحاً يستحثون بها البطل في حومة الوغى
ليدافع عن وطنه وامته كما يسكتون بها الطفل عند بكائه وعند صراخه فيسكن لها
ويرتاح الى سماعها وشاهد ذلك ظاهر فيما لو تأمل القارئ في طفل تسكته امه بانشودة
غير ان حاضر الغناء عندنا مذهب بالشهامة مقعد للحماسة مضيع للروءة مفسد

للاخلاق يربي في النفس السكون والاستسلام والضعفة عدا حثها على مخالفة الآداب
وحث المرء على حسو الخمرة ومداعبة النساء وهذا الجاري في اغاني عهدنا الحاضر
وكما هو بين الرجال كذلك بين النساء فان اغانيهن في الافراح مما يسوء ذكره لانه
دلالة فيهن على بعدهن عن الكمالات وتورطن في قلة الادب الى حد السفاهة
او دون^(١) هذا والخلاصة ان الاغاني عندنا معشر ابناء العرب قد انحطت كثيراً
عن الغرض المقصود بها حتى علتها اغاني "البرابرة" لما فيها من بعض الحماس
والترفع عن الدنيا ويظهر ذلك من قولهم

الدجينات الممصه لا بد شيبين والنجمات اللججن لا بد غيبين

والبنات من غير رجال لا بد عيبين والخيل من غير فرسان لا بد غيبين

ولقد قابلت مرة شاعر الشيبية المصرية حضرة احمد بك شوقي وشكوت له
سوء حال الاغاني العربية ورجوته ان يضع بعض ادوار لتكون سبباً لايجاد روح
الحماسة في الامة فوعدني خيراً فعسى ان يكون ذلك قريباً ليذهب عن الناس تنفس
الصعداء وقت سرورهم وافراحهم والافلل في خلقه شوئون

(١) واليك بعض ما يقولون في الافراح

ان كنت خائف من أمي	أي علي	ستورا
وان كنت خائف من ابويا	ابويا عدا	المنصوره
وان كنت خائف من اختي	اختي عايقة	ومشهورا
وان كنت خائف من جوزي	جوزي يياكل	طاطورا
وان كنت تايه عن بنتا	بنتا قدامه	دحضورا

حاجة الشبان

بين الوسط من الامة شبان كثيرون من المتعلمين المهذبن . محتاجون الى مجتمعات لا تحط بقدرهم ولا تمس كرامتهم ولا تطفى جذوة النشاط والهمة من نفوسهم محتاجون الى ترويض الابدان بوسائط الرياضة الصحية من مثل استنشاق الهواء النقي في الاماكن البعيدة عن السكنى ذلك لانهم كما ذكرنا متعلمون مهذبون عارفون ان ذلك سبب ارتقاء ونجاح الشعوب الاوربية ولا سيما الشعب الانكليزي الذي اعتمد على تقوية عضلاته وترويض جسمه واعضائه فنجح هذا النجاح المشاهد . وما وجد فيهم ذلك الا لانهم تعودوا لعب "الجنستيك" في المدارس وشبوا وهم عارفون منفعته فيصعب عليهم والحالة هذه ان يتركوا اللعب به حال اتمامهم لدروسهم وزادت فيهم الحاجة الى ما ذكر لانهم يعلمون ان الصحة والقوة لازمتان للجالس في مكتبته اكثر من العامل في حرفته . محتاجون الى ما تقدم حتى لا يفقدوا الصحة بعدم انتظام المعدة التي شكا منها كثيرون واكثر شعور الشبان بحاجاتهم وقت فراغهم من العمل فانهم يشعرون بالحاجة الكبيرة الى اماكن تأويهم ومن على شاكلتهم والى ما يشرح الصدر منهم ويمنع عنهم الاندفاع مع تيار الشرور ما دامت كل المحال لا يقبل الشاب المؤدب ان يوجد فيها لسوء سمعتها وما دامت العائلات قد نسبت ذلك الاجتماع الذي كان معروفاً بينها قبلاً . وهو اجتماعهم عند بعضهم مرة في بيت هذا وأخرى في بيت ذاك ليقضوا اوقات فراغهم بين مباحثات واحاديث مفيدة . نعم كان ذلك والآن لا يوجد الا لجماعة الافرنج وبعض اذكياك جماعة السوربين ولقد صدق الاديب حافظ افندي عوض في مقالة له في المؤيد الاغر عدد

٣١١٩ حيث قال - واقول ولا اخشى لومة لائم انه اذا لم توجد أندية ومجتمعات عائلية فيها يقضي الناشئون اوقاتهم فالتربية ضائعة والكلام في التربية لا يجدي نفعاً وتذهب اقوال المعلمين والمربين هباءً منشوراً ولا ادب يفيد ولا اديب - ونحن نزيد على قوله ان الشبان في حاجة عظيمة الى مداومة الرياضة البدنية واستنشاق النسيم النقي وخليق بهم الذهاب والتردد على ما يكسبهم صحة على صحة ونشاطاً على نشاط وخليق بهم ان يتحدوا معاً حقيقة فيؤلفوا نادياً^(١) توضع فيه بعض الجرائد اليومية والمجلات الشهرية والاسبوعية سواء كانت عربية او افرنجية بدلاً من الجلوس في القهاوي التي تقدم الكلام عنها فانه لا شبان اكثر تشبثاً وتفريقاً من الشبان المصريين ولا سيما المسلمين منهم^(٢) وكثيراً ما يحتاج احدهم الى آخر فيفتش عنه في القهاوي كلها حتى يعثر عليه . والشبان مفطورون على تمكين علائقهم ومحبتهم مع بعضهم فاذا أنشئت لهم الاندية تخلصوا من جلبة الجالسين على المقاعد في القهاوي والهواء المنبعث من دخان "التراجيل" وليس في العاصمة مكان اجدر بهذا المشروع من حديقة الازبكية حيث يخطر بلبيل الهواء فيها ويسبح الاوز على صفحات الماء . وحيث تمايل الاغصان تمايل قدود الحسان حتى اذا اشتد النسيم في خطراته حنت رؤوسها اجلالاً وعانق بعضها بعضاً تحبباً وامثالاً فيسمع لها حفيف يزيل الهموم ويحلي عن القلوب صدا الغموم والا أليس بعار ان تصبح اندية

(١) انشأ الشبان المصريون لهم جملة اندية ولكنها لم تدم . وقد جمع بعضهم اكتباباً اخيراً بواسطة البنك العثماني ولكنها لا ندري ماذا تم اذ قد مرّ على هذا الاكتباب اكثر من سنتين ونصف ولم نسمع عنه شيئاً

(٢) ينشأ التفريق بين الشبان وبعضهم من وقت طلبهم العلوم في المدارس . اذ تلامذة الحقوق بمعزل تام عن تلامذة الطب وهو لاء لا يدرون من امر اخوانهم بالهند سخانة شيئاً ولهذا السبب بعد عنهم التألف والاتحاد وبعدت عنهم المحبة

مصر للاوربيين من انكليز وفرنسا وبن والمانيين ونمساوين وايطاليين^(١)
 وليس للشرقين شي الا ناد واحد انشاء جماعة من افاضل السوريين
 سموه "بالنادي الشرقي" وسنوا له قانوناً ورد في المادة الاولى منه
 "ان الغاية من تأسيس هذا النادي اجتماع ابناء الشرقين لقضاء الوقت في ما بلذ ويفيد"
 "وفي المادة الثالثة"

"ان المشاحنات السياسية والدينية ممنوعة على الاطلاق

فجاء ذلك وافياً لهم بحاجة نحن احوج منهم اليها . نعم ان الشبان احوج الى
 ذلك كما هم في اشد الحاجة الى انشاء المكاتب للمطالعة اذ المستقصي دور المطالعة
 في القطر يجد عددها لا يتجاوز اصابع اليد وهي "الكتبخانة الخديوية" بمصر
 وكتبخانة المجلس البلدي في الاسكندرية ومكاتب المسلمين الاميريكاني وبسبب
 فقدان ما ذكر من العواصم لم تتم التربية الصحيحة بين الشبان في العواصم
 واصبحت صحيحة في الارياف علية في البنادر والمدن لكثرة ما يوجد في الاخيرة
 من دواعي الترف والحلاعة

يتبين لك صدق ذلك لو تأملت اولاد الارياف فانك تراهم اوفى كلاً من
 اولاد المدن الذين هم اوفى رذيلة فلذا يشب الاولون وقد مارسوا غرس الاشجار
 وزرع البقول وتربية الحيوانات . والاخرون يشبون على غرس البغضاء في
 النفوس وزرع الشحناء في الصدور وتربية النيمة والمواربة والخداع وسوء
 الاخلاق . هذا ومن اهم حاجة الشبان التي لا تخفى على من درس حالة البلاد ان
 المعلمين منهم قد ابتعدوا عن الزواج لما علموا ان من يقترب بهم بعيدات الافكار

(١) اول من ابتداء بمعمل الاندية (الكلوب) الانكليزي في اوائل القرن الخامس عشر
 والكلوب لفظه انكليزية مأخوذة من مادة يراد بها الاجتماع كاجتماع الانجم والاشجار في
 غيضة او روضة مثلاً

عنهم وان كن متحدات الاجسام وقلة الزواج في الامم دليل على انحطاطها والتاريخ وحاضر جمهورية فرنسا اصدق شاهد. هذا وحاجات الشبان المتعلمين لاختيار زواج المتعلمات من البنات تنمو يوماً عن يوم^(١) فهلا أدرك اهل البنات ذلك وبدأوا يشعرون بضرورة تعليمهن وفقاً لما اشار به العقلاء اذ من الصعب جدا ان يرتقي فريق في الامة ونصف اعضائها غير مرتقي او كيف يهنا عيش احد الفريقين ما لم يكونا على اتحاد تام في الاميال والاخلاق وعلم التربية اعظم شاهد والواقع اقوى برهان على ما نقول

نسأل الله ان يصلح في هذه الهدنة امر هذه الامة ولا تأخذ باكظامها انه السميع المجيب

(١) اقترح احدكم مرة في مجلة "السمير الصغير" على الشبان ان لا يتزوجوا الا بكل متعلمة فصادف اقتراحه هذا استحساناً عاماً ممن قرأه من الشبان



القسم الثالث

في الفقراء

من هم الفقراء

الفقراء من الوجه الاجتماعي هم الامة كلها لا حنياج الناس بعضهم الى بعض
كما قال المتنبي

الناس للناس من بدو وحاضرةٍ بعض لبعض وان لم يشعروا خدماً
ومن الوجه الادبي هم مظهر البلاد . عوائد واصطلاحات . وعواطف واحساسات
ومن الوجه المادي هم معاملتها وعمليتها الدارجة . ومن الوجه المعنوي هم سمعها
وبصرها وعصبها الحساس . ومن الوجه المادي هم سورها المحيط بها . فتعال معي
ايها المصري او ايها الانسان المهذب الغيور على امتك وبلادك او الغيور على بني
الانسان في كل بلاد الله . والق نظرة الى كل وجه من هذه الوجوه واشفعها
بنظرة الى حالة الفقير في البلاد المصرية وقل معي . ولكن في اذني لاني واثق
بانك ستري ما رأيته ونقول ما استحي ان اجهر به امام الناس . شعب ولكنه
ليس بجي . ومظهر يدل على الجهل . معاملة سيئة . وعملة زائفة . آذان لا
تسمع . واعين لا تبصر . وعصب لا يحس . سور ولكن يا للأسف لا يحفظ ما
احاط به ولا يدفع عنه اذى . اذا وقفت على ذلك فهل من دواء لهذا الداء
المضال المهلك للامة باسرها؟؟ . أجل ولكن يلزم معرفة السبب حتى يكون

الدواء نافعاً للداء . سبب ذلك هو الجهل ولا دواء له إلا العلم . فاجمل ما فصلت .
 وقل في تعريف الفقير المصري هو الجاهل ونادٍ معي بين ذوي الاموال اصحاب
 الشهامة والغيرة على الانسانية مستصرخاً مستنصراً لهذا الجاهل لعل هذا الجزء
 الغني الصغير يرحم نفسه بالابقاء على هذا الجزء الفقير الكبير الذي هو مظهره
 وسمعه وبصره وعصبه وعملة وسوره ولا تكون مبالغاً اذا قلت حوله وقوته بل حياته
 وما أراك بمؤمن لي على افتقار هذا الفقير واحتياجه الكلي لالتفات اهل
 الغنى واليسار واعنائهم به وتسهيلهم له ابواب العلم ليعرف ويستفيد فيستفيدون
 من وجوده أكثر . فاسمع لأقص عليك احواله الاجتماعية واحدة واحدة كما هي
 بدون زيادة من ساعة ولادته الى حين موته من تربية وتعليم وزواج وطلاق
 واعراس واحزان وصحة ومرض واوهام وخرافات الى غير ذلك مما سشتمعه ونقول
 ما أنبت بمثل هذه الجهالات في الغابرين

زواج الفقراء

قال عليه السلام " الحلال بين والحرام بين وبينهما أمورٌ مشتهيات لا يعلمن كثيرٌ من الناس " .
 المصري الفقير يتزوج وهو صغير السن وكذا المصرية الفقيرة ايضاً . والدافع
 لزواجهما في صغر السن اغلبه ميل الأب والأم لستر عرضهما في حياتهما ليطمئن
 خاطرهما . وهذا سبب ما نراه فيهما وهما كهلان من انهما اباء لعائلات كبيرة
 وافراد كثيرين . وفي هذا بحث اجتماعي لا يستخف به " لأن من ورائه تكوين
 العصبية القومية وحبذا هي لو أدركت بالمعنى الصحيح " .
 والمتأمل يجد من وراء هذا الزواج ما يدعو للعفة والصون وحبذا ذلك لو
 تم للفقير مع الوفاق والراحة

اما طريقة الخُطبة عند الفقراء فهي كما عند الاغنياء والوسط اي بواسطة تكليف الأم او الأخت او احدى الخيران من الحرمان ان كان الزوج لا اهل له باليحث عن ابنة. حيث لا يمكنه بنفسه ان يخطب لعدم تمكنه من نظر البنات فتوجه المكلفة بذلك الى البيوت التي فيها البنات وتتقدم نقد الصيرفي للدنانير وتشم رائحة فمها وصدرها وتنظر كعب رجلها فان كان مثل المرجه " القبقاب " تكون المخطوبة سعيدة والأ كانت بخلاف ذلك. الى ان تستحسن ابنة فتوجه الى العريس وتبدي تمدح له قائلة. (لها وجه مدور " كالصنية " وشرطة عين مثل " الفنجال " وأنف مثل " النبقه " وفم " نخاتم سليمان ") وبناء على هذا الوصف يرغب العريس في الزواج معتقداً في من كلفها بالخُطبة الحق وحسن النظر وطهارة الذمة

اما افراح الفقراء فجميلة على الغالب ولو انها على غير نظام لطيف اذ يظهر على اوجه حاضري الفرح مع بساطتهم السرور واي فرح اشرح لصدر حاضره من ان يرى الرجل الفقير على فقره وبساطته^(١) بين اولاده واقاربه وانسبائه وصحبه من جيرانه وغيرهم قائماً بخدمة مدعويه. كما تكون امرأته كذلك بين النساء هاشة باشة بين صبية وشابة وامرأة وجدة تعني بهن ويعتنين بها والكل يخدم بعضهم بعضاً من حمل ملابسهم الى نقل ما كلهم الى رفع ما يغسلون به ايديهم. لا تكليف بينهم بل كلهم في الفرح والسرور منغمسون. وان شاءت المدعوات الرقص ترقص اولاً لهن ربة العرس وان شئن الغناء غنت في مقدمتهن اذ لا يعكرو صفائهن سوى ارتفاع اصواتهن وجهلن بالقناعة التي كثيراً ما تخرجهن الى

(١) البساطة مصدر بسط. وهي الدالة والسذاجة. فالرجل البسيط حسب التعريف

اللغوي المتهلل الوجه الكريم اليدين الطاهر القلب الساذج الاخلاق العديم الدهاء

طريق الاسراف فتخرج بهن البساطة وسلامة النية الى الشره في الطعام والزهو في الملابس وفي انواع الفرش والآنية التي كثيراً ما يجمعون كثيراً منها حتى يضيق نطاق البيت ولو كان رحباً ذاسعة . مع ان اشياء كثيرة يمكن الاستعاضة عنها بشيء آخر نافع للزوجة عند الاحتياج

وامر الزواج لا يتم من غير عقد يتولاه احد مأذوني الشرع الشريف ليقيده في دفتر العقود . ويسمع الاشهاد على الطلاق ان كانت الزوجة ثيباً او غير ذلك ان كانت بنتاً بكرآ . ولا يكون ذلك الا بعد الاتفاق بين الزوج وولي امر الزوجة على الصداق الذي يدفع ثلثه ويؤخر الثلث الباقي فاذا تم الاتفاق على الصداق بين يدي المأذون او سمع الاشهاد على الطلاق وحصلت عقدة النكاح حلت الزوجة للزوج شرعاً . واخذت العائلة في اعداد ما يلزم وقدمت الاقارب الهدايا امامهم قبل التوجه اليهم . وهذه الهدايا وان كانت مساعدة للزوج بحمل اثقال بعض المصروف ولكنها دين ووفاء يقوم به عند الفرص المناسبة لذلك ثم يبتدىء الفرح الذي كثيراً ما تدوم مدته اياماً عديدة قبل ليالي الحناء " والزفاف " فان العادة قبل ذلك ان يحبوا ليالي يدعونها " الضم " فيها الغناء والطبل والمزمار على فنون شتى الى ان يكون ليلة " الحناء " فيحبي اهل العروس ليلتهم على حسب مقدرتهم . ثم في ثاني يوم يستعدون " للزفاف " الذي يحضر في ليلته الزوج واهله لآخذ العروس لداره . وفي هذا " الزفاف " تظهر حالتهم وتهذبيهم ومقدار ترفيقهم " وفي الحقيقة مظاهر الجهل والحماسة " وفي مقدمتها المصارعون الذين هم عراة الاجسام . وما يسمونه بابن " رابية " وجماعته المشهورون بالحمالة واحط اوصافها ثم من بعدهم جماعة الطبول من يسير على الارض ومن هم على جمالهم يقرعون الاذان ومن خلفهم " التختروانات " واحياناً كثيرة تجد جماعة ينشئون قهاوي الحشيش

على عربات النقل معرّشاً عليها بسعف النخيل وغير ذلك مما هو دال فيهم على حب الهوى والميل الى التهلكة وما يشتمز منه المرء العاقل ويداري وجهه خجلاً وحياءً. لان في ذلك مدعاة لازدراء الغير بنا وحكمهم على مجموع الامة غنيها وفقيرها انها في منتهى الاسراف والتبذير في غير وقته ومحلّه. هذا ولا نذكر ما يحصل امام هذه "الزفة" من المشاجرات والمشاحنات وغيرها بين الشبان وبعضهم مما يؤدى احياناً كثيرة لتعكير الصفاء وما لا تحمد عقباه

غير انه اذا سلم الله ووصلت "الزفة" الى دار العريس تستقبل العروسة بالاحفاء والتكريم والتحية والتسليم من جماعة الاهل والمعزومين "وتزف" العروسة ليلاً بنقلها من جهة الى اخرى داخل الدار. وبعد "الزفة" يوضعون لها وسادة في القاعة التي نقلت اليها اخيراً ويجلسونها ووجهها مغطى بشيء كثير من "التلي" ومن اصناف الزينة والجواهر التي ربما تكون قدر اوقيتين او ثلاث او اكثر ثم تقدم "الماشطة" وتفرّد على حجر العروسة "شاورة" مشغولة الاطراف بالمقصب ونقول "يا حبايب العروسة ومشطتها" فنقدم ام العروسة وتلقي في "الشاورة" جزءاً من المال وبعدها يتقدم المعازيم ويحذون حذوها وكل يلقي على قدر طاقته فيكون المجموع عبارة عن نقطة "للماشطة" وبعد ذلك تأتي "العائلة" وتفعل فعل الماشطة^(١)

ثم تمد الموائد للمدعوين والمدعوات رجالاً ونساءً وفيما هم في وسط الاكل يجيء صبي الطباخ ومعه "زبدية خضراء" او "مغرفة" ويوضعها في وسط المائدة فيلتزم الرجال والنساء ان "ينقطوه" كما سبق ونقدم بيانه وتنتهي الحالة بان

(١) اسباب جمع نقطة "الماشطة" هي انها تغسل للبنات من يوم ولادتها الى ليلة عرسها مجاناً طمعا بما ينالها من "النقطة" في هذه الليلة

”يزف“ العريس ايضاً بين صحبه واخوانه بالشموع وغيرها حتى اذا آب العريس من ”زفته“ بسلام يصعد الى داره فاذا عروسه مهياً لقدمه فيدخل عليها ويقبلها وهي تقبل يده وبعد ان يقدم لها هدية ككشف الوجه وتكون نقوداً على الغالب ويعطي ”الماشطة حلوانها“ يلف ”الشورة“ على اصبعه السبابة وهي خام بوبرها الخشن ويمسكها له ”الماشطة“ والاقارب . فاذا ما نعت او جفلت من مطلبهم يستجد الزوج بهن فيشددنها الى سريرها ويمسكونها قسراً بايديهن من اليمين والرجلين ليتم هذا الجاهل عادة يحسبها فخراً له وهي في الحقيقة اهانة له وضرر لزوجته وربما كانت سبباً لشقائها الابدي فان كثيراً من النساء يصبن من هذه العادة بامراض عصبية ورحمية تفلق راحة المرأة طول حياتها . واقرب شيء تصاب به العرائس من هذا الفعل الوحشي داء (المستيريا) ”الصرع“ وسببه الجهل المطبق وتملك العادة وان شئت فقل سوء الظن في بكر يعلم الله انها مصونة العرض . واني اذكر ان عروساً ماتت في الصعيد وهي بين يدي عريسها الفظ الغليظ . وقرأت مرة في رسالة الاسكندرية لاحد مراسلي الجرائد من امد ليس يبعيد ان العريس دخل على عروسه بهذا الشكل فكان آخر عهده بها اول دقيقة من ثقيها^(١)

وعلماء الطب يقولون ان هذه العادة تكون سبباً للنزيف الدموي وتمزيق الرحم فمن لنا بمن يعرف الفقراء ضرر ذلك بدلاً من تفهيمهم السياسة التي برعوا فيها حتى لا يتسببوا في مجلبة المرض . ولا يخفى عليك عيشة الازواج لو كانوا كذلك من قبل يحملون في اجسامهم الامراض والعاهات الخبيثة ويقدمون على الزواج قبل بزئهم منها . لا شك انهم يلدون اولادهم وهم في حزن وغم دائمين فلا

(١) نحن لا ندرى كيف تطرفت هذه العادة الينا معشر الاسلام . ولربما كانت مقتبسة من الدخلاء في الاسلام او من المصريين القدماء حيث لا تعرف الا بين المصريين فقط

يكونون اصحاء او فيهم الاهلية لاعمال تنفعهم في مستقبل ايامهم ولا شك ان هؤلاء في عرف العقلاء اعظم الجناة فان جنائهم تعم الهيئة الاجتماعية ودون ذلك القاتل والمنحر

اما المعيشة بين الزوجين الفقيرين فانها اما ان تكون دائمة لتماثل الطباع وائتلاف الامزجة واما ان تكون على ضد ذلك . فان كانت الاولى « وهي القليل » فراحة فطرية ومعيشة بسيطة يحسد هم عليها من هم اعلى منهم طبقة حتى الاغنياء . وان كانت الثانية فسكون شهر وقلق دهر — لاسباب كثيرة اهمها عدم معرفة الزوجة القيام بواجبات الزوج مع مراعاة الاحترام لوالدته بنوع اخص واطاعتها في ما تأمرها به . والاستسلام لاوامرها . وان كانت بغلاظة وفضاظة . ثم صغر سن الزوجة ودخول الجيران بينها وبين حماتها وغيره الحماة على ولدها مشهور امرها . فتمنق الهفوات لها فتضربها وتشتها وتسبها لاقبل سبب وامر ولا تألو كلاتها جهداً من اظهار الاسف والندامة ولعن الساعة التي فيها تناسبتا . كل ذلك يحصل يومياً بدون انقطاع فتربو بينهن الضغينة والكره وتسوء العشرة في زمن قليل فتشكو الام لولدها زوجته وتظهر له نقايصها ومعائبها . وكذلك الزوجة تشتكي الحماة لزوجها فتسوء الحياة بينهم جميعاً ويتمنى كلا منهم البعد عن صاحبه . ولا يخفى ان للنساء الضعيفات قوة عجيبة في الدهاء والكذب بهما يلبس الخاطر ويخفض ما شئت في اعين من شئت . والرجل الصانع او المحترف الفقير لا تميز عنده ليتلافى هذه الاسباب فيستسلم على الاكثر لارادة والديه لانهما هما اللذان زوجه بالهما فيرضخ لاشارتهم

فاما ان يأمره بالطلاق فيطيع امرها او بزواج زوجة اخرى لتكيد

(١) الاولى ولتكون سبباً لتنعيس عيشتها وهنا تكون سيطرة الجهل على الجهل والفقراء في هذا القطر يملون كثيراً الاكثار من الزواج وخصوصاً اهالي القرى منهم فان العامل الذي لا يكسب قوت يومه الا بشق النفس يجمع بين زوجتين او ثلاثاً او اربعاً واذا طلق واحدة منهن تزوج بغيرها على الاثر فتكثر عائلته وتقل حيلته وتفسد معيشته فيعاملهن بسوء المعاملة وخشونة الطباع حتى ان بعضهن يتمنين الموت تخلصاً من شراسة الازواج (٢). وامر الطلاق صعب على النساء كما هو صعب على الرجال وعدم مقدرتهم على التصرف فيه بالحسنى يؤدي بهم كثيراً الى الاضرار ببعض ولهم في امور النفقة من الألاعيب الشيطانية شي كثير فتلجأ الزوجات المطلقات الى المحاكم الشرعية وكثيراً ما تصدر الاحكام على الازواج بنفقات زوجاتهم واولادهم فتبقى حبراً على ورق ولا تنفذ لضيقت ذات اليد. ومداخلات ما ذوني الشرع في ذلك مما يستحي من ذكره وعلى الاخص في تضييع حقوق المطلقات

(١) من الروايات المحزنة حكاية امرأة حكمت عليها محكمة الاسكندرية بالسجن ١٥ سنة وقد كانت هذه المرأة زوجة فلاح من مديرية البحيرة والرجل زوجة أخرى فطلق احداهن يوماً ثم خطر في باله ان يعيدها الى بيته فخاف ضررتها من المناظرة والمساوقة وجعلت تدس الدسائس حتى اذا احست المطلقة بتدابيرها عمدت الى الانتقام منها بوضع شيء من السم في حلوى اعدتها واهدتها لابن الضرة فأكل الولد الحلوى ومات وارادت الثانية ان تنتقم من خصيتها المطلقة فدست السم في نوع من الحلوى ايضاً وقدمته لابن عدوتها فاكله ومات ايضاً فالقت الحكومة القبض على الجانيتين وحكمت المحكمة على المطلقة بما ذكرنا لانها اقرت بذنبيها ولكنها برأت الثانية لانه لم يثبت عليها شيء. وهذه الحكاية المؤلمة بموت الولدين وسجن احدي الزوجين عمراً طويلاً علته زواج الاثنتين وسيطرة الجهل على الجهل

(٢) حدث في سنة ١٩٠٠ في جهة درب الاحمر بالقاهرة ان امرأة اشترت جانباً من الكبريت واذا بت رؤوسه في الماء ثم تعاطته ولما ادركها الطيب وسئلت عن قصدها قالت انها تقصد ان تريح نفسها من سوء معاملة زوجها لها

هذا وفي النساء المطلقات الفقراء حدثت بدعة ترك أزواجهن متى شئن ذلك
وهن ليطلقن أنفسهن بانفسهن غير منتظرات طلاق الرجل لهن ولداعي قلة الصداق
بينهما تبرأ المرأة منهن رجلا وتحمل عفتها ذاهبة الى حيث شاءت وهذه العادة
انتشرت بينهن كثيرا ولا رادع لهن من رجال الشرع . وكثيرا ما تمكث
احداهن مع هذا اسبوعا وتبرئه ومع ذلك اسبوعا وتتركه عابثات بالشرع عابثات
بالدين مجلبات للسخط والعار على الامة بفعالهن

ولمعرض يقول كيف يكون ذلك الزواج شرعي وهو لا بد من وقوعه على
يد مأذون الشرع . فنقول ان لماذوني الشرع تحليل بذلك وهو ان يتفق مع الزوج
والزوجة على كتابة العقد بينهما على يد جماعة من الاسافل ولكن لا يثبت في
دفتره الا بعد مضي ايام (العدة) . كما حدث ذلك في جهة باب الشعريّة من مدة
سنة ووجهة بولاق من سنة ونصف . ولا يقتصر ضرر ماذوني الشرع على ذلك واليك
قصة حدثت في حي من احياء العاصمة . وهو ان ماذونا شرعيا عقد نكاح امرأة
على رجل على صداق دفع عاجله وبقي في ذمته آجله وبعد قليل من الايام قابل
الماذون رجلا آخر يهوى المرأة وترامى على قدميه بعد تقبيل يديه شاكيا باكيا مما
في قلبه من الهيام والوجد . وطالبا منه ان يرفق بحاله فاجابه الماذون لا باس عليك
ان صليت على النبي (يعني بذلك طلب الحملان) او وحدت الله (يعني بذلك
ان يحافظ على السر حفظه على توحيد الله) فوعده واغظ في اليمين انه لا يبوح
بالسر ولا يمين فساومه الماذون حينئذ على المبلغ المطلوب فاعطاه اياه ثم عقد له
عليها فاصبحت المرأة زوجة لرجلين فوقع النزاع واخذ كل منهما يشكو حاله
وبلغ الامر المحكمة الشرعية وما فعل الماذون فاستدعت الرجلين والمرأة وسمع
القاضي حكايتهن

وبعد ما افرغ القاضي ما في جعبته من الوسائط الشرعية اجاز للمرأة ان
تختار احدهما زوجاً لها من الاثنين فاخترت من تهواه ويهواها (١) . وكان جزاء
المأذون اخذ الدفتر منه وتوقيفه عن العمل . حصل ذلك في العاصمة واقبح منه
ما حصل في اواخر شهر نوفمبر في الاسكندرية حيث تزوجت وطنية برجل من
هالي « حارة الراكشي » وبعد الزواج وجد ان الزوج خدعها بتواطىء مع مأذون
الشرع وحقيقته انه مسيحي فرفع الامر الى فضيلة القاضي هناك ليفصل اشكاله .
وارزل من ذلك يتكرر كثيراً في القرى والبنادر بفضل الماذونين

وقد جاء في عدد ٣٤٥٧ من المؤيد الاغر الصادر في يوم الاربعاء ٢٧
جماد الاولى سنة ١٣١٩ في رسالة مكاتبه بملوي ما ياتي بالحرف الواحد - بلغ من
بعض مأذوني الشرع المفسدين انه عقد لرجل على امرأة بعد ان طلق ابنتها التي كان
تزوج بها ومضى على هذا المنكر السيء ثلاث سنين ولدت المرأة فيها ولداً ولما سئل
الرجل عن ذلك ادعى انه يجهل حرمة هذا الامر والقضية منظورة بالمحكمة الشرعية
ولقد حقق لنا تواتر السماع ان كثرة الطلاق الفاشية جداً في قطرنا السعيد
دون قيد تقريباً هي التي تحمل كثيرات من المطلقات الفقيرات على اذلال النفس
وارتكاب السوء فيطن للتكفف في الطرق العمومية . او يضطرون الى سلوك
سبل الغواية ودخول بيوت الفجور . وليس من دافع لهن الا الفقر والجوع . وبهذه

(١) ومن المضحك ان احد اهالي « سنياط » حضر الى المحكمة الشرعية مستفتياً بانه
يعشق امرأة هي زوجة لاحد اصدقائه الذي هو مفتون بزوجته وقد اتفقا على ان يتنازل كلاهما
للآخر عن زوجته على هيئة بدل وعوض الا ان زوجة المتظلم حاملة ويرغب عوض حملها
« حمارة » زيادة على الزوجة المبادل بها فهل يجوز الشرع اجراء هذا البديل ام يمنعه فضحك
عليه المسؤول . وهذا يدل دلالة صريحة على تقدير المرأة في نظر عامة المصر بين - انظر
جريدة الوطن ٦ مارس سنة ١٩١٩ عدد ٩٠١

الواسطة يهملان اولادهن في الطرق والشوارع فيربون على المبادئ الدينية والاخلاق الفاسدة وتقوى فيهم الرذيلة وحب الشرف فيخرج منهم المتشرد واللص والقاتل وغيرهم من محاربي الهيئة الاجتماعية

وقد تنبه رجال الضبط والنيابة العمومية الى كثرة المتشردين الذين لا عمل لهم والمهملين من الاحداث في هذا القطر فقاموا يعالجون ذلك بسن اللوائح للمتشردين وانشاء السجون للاحداث^(١) وغير ذلك مما فيه مقاومة الضر وتقليل الشر. ولكن فاتهم ان الشفاء الحقيقي من هذا الداء لا يكون الا باستئصال اسبابه ولا يتم ذلك الا بمنع الفقراء من جمع عدة نساء في عصمة واحدة ما داموا لا يستطيعون الاتفاق عليهن خصوصاً وان ضرر ذلك لا يقتصر على الازواج واولادهم بل يلحق الهيئة الاجتماعية كلها. ولقد احصى بعضهم الاحكام الشرعية التي صدرت على الازواج بنفقات زوجاتهم واولادهم فوجد ان ما نفذ منها لا يزيد عن ثلاثة او اربعة في المئة والباقي بلا تنفيذ لعسر المحكوم عليهم وشدة فقرهم وعوزهم ولا تظنن الطلاق الذي هو اكره الحلال عند الله قليلاً نادراً فقد ذكر القاضي الفاضل قاسم بك امين في كتابه "تحرير المرأة" ان كل اربع زوجات في مدينة القاهرة ليطلق منهن ثلاث. فهذه حال الزواج والطلاق بين الفقراء في هذا القطر وقد ادرك حضرة مولانا الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده اضرار ذلك ونبه عليه في تقريره عن اصلاح المحاكم الشرعية باقوال يجب ان تسترشد الحكومة والامة بها في رتق هذا الفتق فقال ما نصه "انني ارفع صوتي في الشكوى من

(١) سجن الاحداث ببولاق في ارض مجاورة للنيل عدد من فيه ١٣٠ ولداً يتعلمون فيه

القراءة والخط والحساب والقران الشريف وصناعة الجلود والنجارة والحديد والصفح وحبذا لو انشئ مثل هذا السجن في الاسكندرية ايضاً وباقي عواصم المديرية.

كثيرة ما يجمع الفقراء من الزوجات في عصمة واحدة فان الكثير منهم عنده
 اربع من الزوجات او ثلاث او اثنتان وهو لا يستطيع الانفاق عليهن ولا يزال
 معهن في نزاع على النفقات وسائر حقوق الزوجية ولا يزال الفساد يتغلغل فيهن
 وفي اولادهن ولا يمكن له ولا لهن ان يقيموا حدود الله وضرر ذلك بالدين والامة
 غير خاف على احدٍ ثم وصف العلاج الشافي من ذلك فقال حفظه الله "واما
 الضرر الذي ينشأ من كثرة الزواج التي ولع بها الفقراء من سكان القرى وهو
 من الضربات المعطلة لاعمالهم المفسدة لشؤونهم وشؤون اعقابهم فأرى انلا فيه
 ان يلزم كل مأذون ان يسأل قبل عقد زواج اي شخص غير معروف بالثروة هل
 له زوجة اخرى . فان كان له فإهي الطريقة في الانفاق على زوجاته واولاده
 ويثبت جميع ذلك في ورقة العقد ثم يحدد حد معين من الثروة لمن يتزوج اكثر
 من واحدة متى كان غير معروف بانه من اهلها على انه لو ذكر في كل عقد من
 عقود الزواج وسائل معيشة الزوج من كونه صاحب ملك او تاجراً او صانعاً او
 عاملاً كان ذلك ادعى الى تضيق دائرة الضرر ولا شيء من اصول الشريعة يأبى
 ذلك وهو من قبيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا احق به من القادر عليه
 والحاكم هو اقدر الناس عليه

ومن المعلوم في احكام الشريعة انه متى تحقق ان الزوج لا يستطيع الانفاق
 على زوجته وان الزواج يفسد امر معيشته ويلجئه للخروج عن الحدود التي حددها
 الله له حرم عليه الزواج بلا خلاف فاذا وضعت لذلك قواعد وجب ان يراعى فيها
 جميع ما نصت به الشريعة المطهرة وما يقر عليه رأي علماءها " فبذا لو تعير الحكومة
 هذا النداء اصغائها وتسعى مع علماء الدين في تدبير حميد بقي الامة والبلاد غائلة
 هذه الآفة التي تعاضم شرها وتفاقم ضررها

الفقراء واطفالهم

اذا تماثلت الطباع وأتلفت الامزجة بين الزوجين الفقيرين ولم يحل بينهما
الطلاق المتقدم ذكره وتعدد الزوجات المتقدم بيانه عمراً الى ما شاء ربك وانجبا
الذرية فيلدون اولادهم ضعافاً مهزيبين فلا يعيشون الا وتظهر عليهم علامات
الكساح او يهلكون صغراً لعدم الاعتناء بهم الا اذا وهبوا قوة المقاومة وفازوا
على الامراض واسباب ذلك وعدم الحنو عندهم على الولد عدم العناية به لديهم الا
بالخرافات فان الوالد لا عناية له بولده حال طفولته والمتصرفه فيه هي امه
تخار له الاسماء عند تسميته وتطيبه ان مرض وتقمطه وترضعه اذا عرى او جاع
وهذه الام لاجل تسميته تحضر ليلة الاسبوع ثلاث شمعات وتسمي كل شمعة باسم
خاص وتبهرها ليلاً وفي الصباح تسمي ولدها على اسم الشمعة التي تكون قد بقيت
اكثر من غيرها. ثم توضع في (غربال وتحنه شيء كثير من المحمص والبندق)
وتغربله ولا ندري ماذا يلحقه من جراء ذلك فنترك ذلك التشخيص لرجال الطب
ليبدوا ملحوظاتهم فيه

تعلم الام ولدها الكلام

متى ابتدأ انتباه الطفل قليلاً لما حوله بتبدي تعلمه امه الكلام بالفاظٍ بذيئة
قيحة يشب عليها وينمو وتكون سبباً لتأصل الاخلاق والصفات القبيحة فيه
ومدعاة لميله الى الرذيلة

تخويف الامهات لاولادهم

اذا بكى الولد او اراد النزول من السلام ليلعب خارج البيت تخوفه امه
وتحذره من (الساوي) والمغربي لئلا يأخذه عنده ليعلقه من رجليه فوق

دست ماء يغلي على النار ويصني دمه «وقصدها بذلك عدم ابتعاد الطفل عن البيت لئلا يتوه». ومع ذلك فاولادهم (يتوهون) بكثرة ويطلقون وراءهم المنادين او يبلغون عنهم رجال البوليس^(١) «وتحذره من انه لو ذهب الى البحر يتلعه التمساح (وتريد بذلك عدم تعويد الطفل على الذهاب الى البحر خوفاً عليه من الغرق) ولا يخفي ما ينتج ذلك من الجبن على النفس. والجبن عرفه الفضلاء بانه انخدال في النفس عن مصادمة عارض لا يلائم حالها. والفقراء لا يتحدثون امام اولادهم الا في النوادر الخيفة ومدار حديثهم على (العفريت) (والمارد) (والمزيرة) وما اشبه. فما يقولونه على (المارد) انه يظهر ليلاً للانسان ويسد عليه اربع جهات طريقه بجائط. وما يقولونه عن (المزيرة) انها جنية وكل اجسامها ابر ومسامير وتظهر بزي امرأة جميلة مزينة بالحلي ومرتدية ازاراً ابيض كالثلج اذا قرب منها الانسان تضمه اليها وتخفي به. وما يقولونه عن (العفريت) فشيء كثير كنا نتخوف منه حال الصغر ونسمع ان اشكاله متنوعة فتارة يظهر شبه حمار

(١) جاء في تقرير سعادة هرفي باشا عند ما كان حكامداراً للعاصمة ان عدد البلاغات التي قدمت في سنة ١٨٩٩ م ٢٩٥ وجد منهم ٧٤ قبل تحرير ارانيك البحث عنهم و ٢٢١ بحثوا عنهم فما وجدوا سوى ٤١ والباقي ١٨١ لم يعثر عليهم وفي التقرير المذكور حادثة منها يتبين مقدار الصعوبة التي يعانها البوليس في الاستقصاء عن اقارب هؤلاء الاولاد وهذه الحادثة هي . ان بنتاً عمرها اربع سنوات وجدها البوليس في بولاك فبعد البحث عن اهلها عدة ايام استدلت على والدتها التي كانت ساكنة في فم الخليج فلما جيء بها الى المحافظة انكرت معرفتها بالبنت كلية ولكن لما ادخلت البنت في المكان الذي كانت والدتها به ورأتها اسرعت اليها وتعلقت باذيلها فدفعتها المرأة وادعت انها لم تر البنت المذكورة من قبل واخيراً لما استحضرت تلك المرأة امام سعادة المحافظ وصارت تهديدها اعترفت بان البنت هي ابنتها. ويظهر ان المرأة المحدث عنها كانت تزوجت حديثاً ولامتناع زوجها الجديد عن قبول البنت فعلت ما ذكر مرضاة لمخاطره.

عال ايض فيركبه الانسان حتى يعلو به ثم يقذفه من فوق ظهره فيسقط على الارض مهشماً . وتارة انه شبه قط او كلب او قرابة . وبعضهم يقول في وصفه انه اسود كالليل طويل القامة وعينه بالطول يقدح منهما الشر

بهذه الخرافات التي يخوف بها الوالدين اولادهم ينمو في اذهان الصغار الجبن والخوف والرعب حتى انهم لا يمكنهم الانتقال ليلاً ونهاراً خطوة الأ مع احد خوفاً من حادث يفزعهم ولو كان شخصاً مقبلاً عليهم من بعيد كما حدث ذلك في السنة الماضية في حي من احياء العاصمة^(١) ولا يقتصر تخويفهم اولادهم ساعة دون أخرى بل قد يخوفونهم وهم يأكلون معهم . ومن ذلك ان لو خطفت القطة من امامهم شيئاً من الأكل وقت العشاء واحب الولد ان يضربها يمنونه من ذلك ويفهمونه ان ضرب القط ليلاً مضر به لزعمهم ان روح القطط مفصول من روح الملائكة . واغرق من هذا في الوهم والخرافات انه ان وقع الطفل على الارض سمت عليه امه وسمت على اخنه معه مفهمة اياه ان له اخناً من بنات الجن

ولهم خلاف ذلك خرافات كثيرة في ليالي المواسم فمن ذلك ما يتحدثون به ليلة العشر من شهر محرم . من انه تهبط بغلة من السماء حاملة الجنيات لصاحب النصيب فيأمر الاب ابنه والام بنتها بدعوى الله لتكون من نصيبهم فيعلم هؤلاء احلاماً يقصها بعضهم على بعض في اليوم التالي ولسان الهم في الحقيقة يقول اذا صدق الجد افتري العم للفتي مكارم لا تخفي وان كذب الخال

(١) حدث في شهر نوفمبر سنة ١٩٠٠ ان خرجت ابنة صغيرة من سكان (حارة الروم) لشترى شيئاً مع ابنة أخرى فشاهدت اثناء سيرها رجلاً سقاء ذا شعر طويل مدلى فخافت منه البنت واسرعت بالعدو واختفت منه في منزل فاتفق انه دخل ذلك المنزل فلما رآته هذه المسكينة اندعرت وارادت الاختفاء في مكان فسقطت في بئر المنزل وفارقت الحياة وذهبت ضحية خوفها الذي تربت عليه من الصغر بفضل ابائها

وهذه الخرافات تسبب للاولاد احياناً كثيرة الامراض العصبية والتشنج اذ لا يخفى تأثير الوهم والخوف على النفوس الصغيرة. اذا عرفنا ذلك وتذكرنا يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٨٩٩ الذي تبا فيه بعضهم بانقضاء العالم لا نستغرب خوفهم ووهمهم الذي حدث ونقوهم الكذب في احياء الوطنيين. فقد روي عن كثيرين من الاقاصيص التي صورها لهم الوهم شيء كثير من فطير نطق في القرن وطفل ابن يومه ابتلع فرخة قبل طبخها وآخر اعلم والدته بصحة النبا وآخر (جادل القاضي مع والدته بطلب النفقة من ابيه) الى غير ذلك مما يدل على استيلاء الخوف واهم على النفوس بسبب التريية المنزلية التي ربوا عليها ووجدوا فيها ممتلي الرؤوس بالوساوس والخرافات

هذا ونحتم قولنا على خرافاتهم باعقادهم حال خسوف القمر وتشاؤمهم من ذلك فانهم يأمرون اولادهم بالقرع على غطاء الحلل والصفائح^(١) والشمس ايضاً هي على زعمهم يجرها الملائكة على عجل وهم مسخرون لهذا الامر وانها تغرق في البحر فيبتلعها الحوت «اهمال نظافة ابناءهم»

الفقراء يتركون اولادهم في الحارات والازقة يتضاربون ويهملهم للدعارة والعبث بكل ما تصل اليه ايديهم. انظر اليهم في الحوارى والطرق تجدهم يترغون في التراب ويعفرون به بعضهم البعض. حتى اذا اصيب احدهم برمد صعب الاستئصال تعلق الام على عين الابن خرزة حمراء يسمونها (البذلة) . واكثر

(١) يحكى ان فلاناً ابناً احد الامراء عن خسوف القمر في ساعة معينة فلم يعتقد نبأه واتهمه بالزندقة والمروق وتوعده بالموت ان كذب خبره ويجزى العطاء ان صدق نبأه فلما خسف القمر كان الامير نائماً فاراد حيلة لا يقاظه ليشهد له بصحة نبأه فقال للناس ان الحوت يبتلع القمر فاضربوا الطبول وضجوا شديداً ليحفل ويعود عن الكوكب فلما بدا صياحهم وعلت ضجتهم استيقظ الامير ورأى القمر نخسوا فكافأ الفلكي والله اعلم

الامراض في الاطفال مسبب عن قذارتهم حتى ان الطفل يصاب بامراض عدة وهو دون الحول من العمر وقد اثبت الاحصاء ان اكثر من تسعين في المئة من هؤلاء الاطفال يصابون بامراض العيون عن غير سبب سوى اهمال النظافة اهالاً تاماً لجهل الام وخوفها عليه من شر العين فيقع في مرض العين

ومن يتأمل في معدل الوفيات في بلادنا المصرية يجد ان اكثر من تصيبه المنايا من الصغار فتذهب بهم قبل ان يدبوا بارجلهم على الارض . ومن قابل بين هذه الوفيات في بلادنا وبين جميع بلدان العالم وجد ان الموت له الى اطفالنا طرق ومسالك قل ان يجدها في بلاد الله الاخرى ومن بحث عن الاسباب ونقب عن العلل الناشئة منها موت الاطفال الذين ربما كان في القمط منهم من يحيي الرباط لوجد اسباب ذلك وعلة جهل عامة الامهات باسسط القواعد والقوانين الصحية في مساكنهم التي كثيراً ما يبتدىء المرض منها وينتشر الى البيوت الاخرى حاملاً الموت على منكبِهِ . واذا دققنا النظر في عدم نظافة بيوتهم نراها على الاغلب من اهمالهم للنظافة وعدم اعتنائهم بماءهم وهوائهم والافلو كانوا مهتمين لانهمزمت جيوش الامراض والاسقام من بينهم ولاعتدلت صحتهم وآمنوا شر الامراض والحميات التي تلحق اجسامهم واجسام ابناءهم وكفانا تعريفاً عن مساكن الفقراء انها اكواخ حقيرة من الطين قد تراكت حولها الاقدار وتلبدت على ارضها وجدوانها الاوساخ وهامت الهوام عليها كأنها مزبلة من المزابل واولادهم لهذا السبب صفر الالوان كبار البطون اكتسوا من الوسخ وشاحاً^(١) وكما كثرت الوساخة

(١) ومن الغريب في اغنياء مصر انهم يجاورون هذه المساكن بقصورهم المشيدة وينظرون كل ساعة للفقراء وهم بهذه الحالة ولا تأخذهم رحمة بهم كأن هؤلاء ليسوا من لحم سكان القصور ودمهم . او بالحري كأن قد عدت الانسانية منهم فهم لا يتأثرون . ولو علموا الواجب لبنوا للفقراء مساكن صغيرة صحية بدلاً من تشييد صروح فخيمة تسكن شهراً وتهدم دهرًا

تطبيب الامهات الفقيرات لاطفالهن

سَاءت الصحة فساءت الاخلاق . واجسام الفقراء قل ان يبللها الماء فتتراكم عليها
 الاوساخ ايضاً والادران^(١) حيث يجد من وراء ذلك لهم الثقل في البدن والضعف
 في الادراك والفهم وزد على ذلك وسخ الثياب فانها ايضاً مجلبة للامراض والحمول
 والصداع اذ هي اعظم واسطة لانتقال المرض من واحد لآخر مثل الحمى القرمزية
 فانها تنتقل الى العائلة بثياب المرضع وكذلك الجدري والتيفوس
 نسأل الله ان يقرب الايام التي يشعر فيها الفقراء بلزوم التغلب على الفقر بالمعرفة
 حتى تسعد اوقاتهم . ويصبحوا ساعين في تهذيب انفسهم وتعليمها ما ينفع وما يضر
 ويعلمون (ان النظافة من الايمان)

تطبيب الامهات الفقيرات

لاطفالهن

الاولاد وهم في سن الطفولية معرضون لجملة امراض تتناهبهم من وقت لآخر .
 غير ان الاعناء بهم يخفف ويلاتها عنهم اذا لم يكن يمنعها بالكلية . وهذا الاعناء
 تختلف الطرق المؤدية اليه والوسائل التي تستعمل للوصول الى هذه الغاية باختلاف
 عوائد الامهات ومعارفها الا انه بقدر عناية الام بولدها حسب ما توجهه حالته
 بقدر ما تخف وطأة المرض عليه حتى يزول بتمامه . وعليه نرى ان اهل اليسار لا

(١) يظهر مما كتبه الفرنسيون في خطتهم ان عدد الحمامات التي كانت موجودة
 لوقتهم تزيد على المئة والآن لا يوجد بالقاهرة سوى ٥ حماماً وهذا بالنسبة لما بلغت المدينة
 من الاتساع وز باد السكان قليل جداً . وقد ذكر المسيحي في تاريخه ان العزيز بالله هو اول
 من بنى الحمامات في مصر وقال الشريف اسعد نقلاً عن القاضي القضاعي انه كان في مصر
 الف ومائة وسبعون حماماً وكان اغلب هذه الحمامات موقوف على الفقراء . وباهالها تجرت
 وتصرف فيها الملاك واستعوضت بمبانٍ اخرى (خطط علي مبارك باشا) (جزء اول وجة ٩٥)

يعتري اولادهم المرض بقدر ما يعتري اهل الوسط واهل الوسط لا يكون المرض بين اولادهم منتشراً كما هو بين الفقراء . وعلى الانسان بقدر طاقته ان يتحاشى كل سبب من شأنه احداث المرض وما ذلك بعسير اذ كل انسان ميالٌ بالطبع لدفع ما يؤذي ويؤلم . اما اخواننا الفقراء فانهم حقيقة يخافون المرض ولكن لا يعتقدون بطب ولا طبيب بل جل اعتمادهم في مداواة انفسهم مبني على علم معروف عندهم اسمه (علم الركة) وهذا كله مستوصفات منها النافع والضار . وفي كل مداواتهم للاعراض يعتمدون على الوهم والظن لا على الحقيقة . مثلاً يوجد بين النساء الفقراء معتقد وهو اذا مرضت اطفالهن وحكوا انوفهم فيزعمن ان في رؤوس اطفالهن ديدان فيستن في اخراجها برجل عالم عندهن ميرٌ في الحواري صارخاً بقوله (يا فرج) اذا احضرته يرقى الاطفال على زعمه ويمرٌ براحتهم على وجوههم فتساقط الديدان من انوفهم واذانهم . والحقيقة ان ذلك خزعبلات يمويه بها على عقولهن لاخذ اموالهن وقد تكون الديدان بين اصابعه او في كفه وقد ادخرها هناك ليلقيها وهو يمرٌ براحتهم على جبهة الطفل

وكثيراً ما يصاب الاطفال (بالسعال الديكي) والشهقة فيصف النساء لبعضهن ان يأخذنه الى جزار ابن جزار لكي يمويه عليه بجر المدية على عنقه فيشفي اما الحقيقة فيعلمها العقلاء والاطباء^(١) ولا يخفى ان الاطفال معرضون في صغرهم للحصبة والجذري والحى التيفوسية او القرمزية فاذا كان شيء من ذلك واعتمدن في شفاء اولادهن على تجارهن ولم تتجح اشرن على بعضهن البعض بان يزور

(١) ورد في مجلة (طبيب العائلة) جزء ٨ سنة ٥ ان الشهقة ويسميا العامة (الزغطة)

فعل عضلي عصبي خارج عن سلطة الارادة مركزه الخيوط الصوتية للحنجرة وهي تأتي بدون علة ولا سبب وتضايق صاحبها كثيراً بل كلما اظهر تضايقه منها زاد فعلها

الاطفال ثلاثة اسابيع متتالية (الطاقة) التي في مقام اولاد عنان (رضي الله عنهم)
وهناك اي في اولاد عنان (طاقة) صغيرة يدخلن فيها اولادهن كل يوم (سبت)
لا فرق بين رضيع وفطيم وبعد دفع الرسوم لشيوخ المقام يقرأ عليهم ما يأتي بصوت جمهور
«يا بركة الطاقة وما فيها تشافيه وتعافيه وان كانت نفس تمنعوها وان كانت كفية
تزيحوها وان كانت مشاهرة فكوها يا عنانية تشفعوا له بالشفاء والعافية تحفظ بدنك (يا محمد)
(مثلاً) قوم هات العافية في كمك واجري كلم امك»

وفي هذا المقام قبلة مهجورة ايضاً يقرأون فيها على الاولاد ما يشبه هذا الكلام
وكذلك يوجد بئر^(١) يقولون ان بها ولية تدعى ستي سكرة

يلقون فيها قطعة من السكر ويقرأون مثل ما تقدم ويداوم الطفل على الحضور
ثلاثة سبوت وفي الثالث يلقون بملابسه القديمة في الميضة ويلبسونه أخرى غيرها
جديدة . ولا يخفى على العاقل فتك الحمى وعدواها والحصبة والجذري فان علماء
الطب قرروا ان هذه الامراض مستعدة للعدوى من اقل سبب . ولربما ظن القارئ
ان الذين يذهبون من النساء باولادهن عددهن قليل . اما نحن فنقول ان اللواتي
يذهبن الى ذلك من النساء كل يوم سبت من المسلمات والمسيحيات (الاقباط)
لا يقل عددهن عن المائتين او الثلاثة مئة يحضرن راكبات عربات النقل وراجلات
على الاقدام من اطراف العاصمة افواجا . وعندنا ان ذلك سبب مهم في جلب
العدوى لاولادهن من حيث لا يشعرون ولا الحكومة تشعر بذلك . فحبذا لو
خصص الاوقاف من اموال الكثيرة جزاءً وبني مستوصفاً لهؤلاء الاولاد في
جانب هذا المقام الشريف حتى تطيب فيه الاطفال مجاناً والأفتكون الحاملة المتبعة
الآن سبباً يدعو بالاطفال الى الموت عاجلاً والى العدوى وانتشار الامراض فيهم

(١) كان لاخواننا الاقباط الارثوذكس بئر مثلها في كنيسة العذوية بالقبيلة

وانتقلها من حي الى حي مما لا يرضي هؤلاء الاسياد . والله يعلم ان اولياء الله كانوا يعملون بالحديث الشريف (الناس عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله) ومن تأمل فيما قلناه يَرَضْرُوة بناء المستوصف بجانب المقام رحمة بعباد الله ورحم الله من سهل للفقراء راحتهم في ضيقهم وشدتهم

تعليم اولاد الفقراء

كم من صبي ولد فقيراً لا ذنب له في قلة تربيته وتعليمه الا الفقر الذي نشأ فيه اذ كان قد وهب النباهة والادراك فقد اهملت فيه هذه المواهب . وان لم يكن وهبها فهو لم يستعض عنها بشيء من العلم . ترى ذلك بلا مشقة في الامة المصرية الفقيرة حال مرورك في الشوارع بين ابناء امك المهملين تربية وتعليماً ولقد ابناءنا التاريخ ان كثيراً من الفقراء الذين لم يفهم حظ العلم قد شبوا نافعين لامتهم ووطنهم وخدموا بلادهم الخدم الجليلة . كما ينبئنا البحث ان العقل يبدو كزهرة صغيرة فاما وسائط تنمو بها وتكبر ويضوع عبيرها . واما اهمال تضعف به فتذبل وتسقط الى الحضيض . الق نظرة نحو اولاد الاغنياء والفقراء وهم في المدارس فترى الاولين متأخرين غالباً والآخرين متقدمين يسابقونهم على احراز العلم والفهم ذلك لان الفقر الذي هم قائمون فيه يربي فيهم ملكة الاعتماد على النفس في المطالعة والدرس بخلاف اولئك الذين اكثر ما يعتمدون على الوسائط والجاه . والاولاد الفقراء عندنا ذوو استعداد احسن لقبول العلم لانهم لم يتعودوا عيشة الرفاهية والدلال . والدلال كما لا يخفى سلطان على اولاد الاغنياء واي سلطان . مشبط للهمم في نصارة العمر حائل بينها وبين ما يسمى التفات واكتساب من كل ما يمر بالشخص في المدرسة او البيت او السوق ومم علمنا الاكيد لتلك المزايا لاولاد الفقراء . فاننا لا نجد

لهم من المدارس ما يسد احتياجهم وغاية ما هناك منها بعض مدارس للجمعيات
الخيرية كالجمعية الخيرية الاسلامية^(١) وجمعية العروة الوثقى والمساعي المشكورة
وبعض مدارس للاميركان والفرير وبعض المحسنين^(٢) من الذين هزتهم الاريحية
لتعليم اولاد الفقراء مجاناً. وما عدا ذلك فلا يوجد ثمة مدارس للفقراء بل يوجد
لهم كتاتيب واحداً المكتب او الكتاب. وهو عبارة عن قاعة ارضية حقيرة
لا تصلح الا لايواء البقر او الحيوانات الاخرى يجمع فيها العريف او الشيخ كل
يوم صباحاً صبية اطفالاً من الحواري والمطف لتعليمهم على زعمه وعلى زعم الآباء
للخلاص من جلبتهم ولعبيهم في البيت طول نهارهم فيجلس التلامذة ومعلوم في حالة
سيئة ركماً فوق بعضهم ولو كانوا يفوقون الستين عدداً. على ارض رطبة قدرة لا
منفذ لتجديد الهواء فيها. حتى ان الرائي قد يظن لاول وهلة انهم جماد رض في
قاعة لحين الحاجة اليه لولا صراخهم الذي يبعد الظن ويقرب الى الذهن انهم
مخلوقات فيهم دم الحياة وطيب الروح. واكثر الكتاتيب لجماعة المسلمين منا وما
بقي من الطوائف فليس لهم الا النزر القليل منها

واجرة تعليم هؤلاء الاطفال كل يوم رغيف من العيش وجزء من عشرة
من القرش يأخذ نصفها او اكثر العريف او الشيخ وما بقي فطعام الطفل فطوراً
وغذاء ساعة الظهر. اما الحقيقة عن اجرة تعليمهم فما يتحصل من تشيعهم الجنازات
وفي هذه الكتاتيب يتعلم الطفل جزءاً من السور الصغيرة من القرآن صباحاً

(١) عدد مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية اربعة لا غير تلامذتها كانوا لغاية السنة
الماضية ٣٥٣ منهم فقط ٣٠ دفعوا الاجرة والباقي مجاناً لولا فضل الجمعية لما حصلوا على
ثمرة من العلم فاذا كان هذا ثمرة الاربعة مدارس فكيف يكون لو عضدها ذوو اليسار باموالهم
(٢) كالمرحوم الخواجه رفته عبيد الذي اوقف على المدرسة العبيدية الفيون وخمس
مئة فدان وجعل فيها التعليم مجاناً

عن ظهر قلب والاوراد والادعية فيما بقي من النهار. وليس تعليمهم من العريف او الشيخ بل من بعضهم البعض الا من خشى الشيخ سطوة اهله وتعنيفهم. فان ذلك يتلقى تعليمه من العريف مباشرة او من ولد متقدماً عنهم قليلاً وما سوى ذلك فهمل. والولد الذي يوكل بتعليم جماعة لنباهته قليلاً في زعم العريف له السلطان المطلق على الاولاد كلها فيقضي طول نهاره يلطم هذا وينهر ذاك ويخز الآخر او يوغر قلب العريف عليه ليضربه في "القلقة" (١) ولذا من صالح الاولاد مسالمة حتى لا يضايقهم بل يلعب معهم طول نهارهم في عمل ما يسمونه الاطفال (فريرة) او حبك خوص النخيل بما يسمونه (بيت النمل) او حبك دوبارة الحصر الجالسين عليها بايديهم وارجلهم وكثيراً ما يجلس جماعة منهم في ناحية من المكان ولا يكادون يقومون الا وخيطان (الحصيرة) كله معدوم فضلاً عن سرقتهم حاجتهم من بعضهم البعض ثم حصول الاتفاق بينهم على اكل لقمة كبيرة مرة واحدة يسمونها "لقمة الزقوم" كثيراً ما تضر بهم

كل ذلك يجرونها والعريف متغافل عنهم متمني انقضاء اليوم. واذا اراد نهيهم عن اللعب واتباع القراءة فانهم يقرأون السور المحفوظة في اذهانهم عكساً لطرده. او يهزون اكتافهم بغية ايقانه انهم عاكفون على الحفظ الى ان يجيء العصر ويتولى معظم النهار فيجمعهم العريف لقراءة الحزب ويصرفهم غير آسف والخلاصة ان ما يسمونه الكتاتيب مفسدة للاولاد في صغرهم مفسدة لتربيتهم وصحتهم. لان في الكتاتيب لا يتغذون جسماً ولا روحاً. وفي شربهم يشربون من داخل "بلايص" من نخار في وسطها غابات البوص يمتصون الماء منها مصاً

(١) كثيراً ما يصاب الاولاد بعلل وعاهات يكون سببها ضرب الفقهاء والعرفاء ومن عهد قريب فقا فقيه عين ولد يتعلم عنده في مصر القديمة

وهي واسطة عظيمة ايضاً لنقل عدوى الامراض والعايات بسرعة واخص ما هم معرضون له من الامراض مرض القراع والبرص والقوبة والجرب وغير ذلك غير ان لديوان الاوقاف ولنظارة المعارف العمومية كتابت ارقى من هذه قليلاً جاء عنها في خطبة الشيخ محمد شريف التي خطبها في ديوان نظارة المعارف يوم ٥ ديسمبر سنة ١٩٠١ ما ملخصه: ان لديوان الاوقاف كتابت تديرها نظارة المعارف عدد تلامذتها في هذا العام ٤٢٩٦ وكان في العام الماضي ٣٩٦٦ وزاد عدد البنات المتعلقات بها فصار ٧٦٣ بعد ان كان في العام الماضي ٦٤٣ واما عدد المعلمين الاكفاء فهو آخذ في الزيادة وقتاً فوقتاً فقد كان في سنة ١٨٩٨ م ١٩ وفي سنة ١٨٩٩ م ٤٥ وفي سنة ١٩٠٠ م ٦٤ ووصل هذا العام ٩٠ منهم عدد ٤ من النساء وكل واحد من العرفاء الذين نجحوا في الامتحان يقبض مرتباً شهرياً قدره ٧٠ قرشاً واما الفقهاء فيقبض كل منهم ١٤٠ قرشاً وهذا غير مرتبات التلامذة المعروفة "بالخميس" فانها كلها تقسم بين الفقهاء والعرفاء. وقد عينت النظارة بكل كتاب فراشاً يقوم بنظافته وما يلزم له وما زالت ميزانية هذه الكتابت ترقى حتى صارت في هذا العام ٥٥٧١ جنياً بعد ان كانت في سنة ١٨٩٧ م ٣٥٢ جنياً فقط. اما التعليم والنظافة ودواعي الانتظام في هذه الكتابت فقد ارتفعت كثيراً عما كانت عليه. ولكن مما يؤسف عليه انه رغمًا عن زيارة اطباء المدارس لهذه الكتابت فان صحة التلامذة لم تتقدم كثير هذا العام فقد اظهر الاحصاء الذي عمله حضرة حكيمباشي المعارف ان نسبة المصابين بالرمم الحبيبي هذا العام لا تزال ٨٠ في المئة كما كانت في العام الماضي والسبب الاكبر في وقوف التقدم عند هذا الحد هورداءة اماكن الكتابت فان الكثير منها غير صحي بالمرة ولا يصلح لان يكون محلاً للتعليم وهذه هي اكبر عقبة الان في تقدم الكتابت

التي صارت محط الآمال في تربية طبقة كبيرة من الامة . ولذا رأى ولاية الامور من رجال الاوقاف والمعارف انه ينبغي ان ينووا كتاب جديد على نظام صحي حسن يكون مثلاً في البنين والتعليم والنظام لما يبني في المستقبل من الكتاتيب في الديار المصرية . وهذا الكتاب يشيد الآن بجوارقة القدوة وسيتم بعد ايام وتدور فيه الدراسة . هذا ملخص قول حضرة الاستاذ عن حاضر الكتاتيب التابعة للاوقاف التي تديرها نظارة المعارف بالنيابة عنه

اما الكتاتيب الاخرى التي تكفلت بها المعارف وتمدتها بالاعانات وتهتم بملاحظتها وتفتيشها فقد قال في خطبته عنها حضرة الاستاذ انها تقدمت في هذه السنة تقدماً ظاهراً كما يعلم من الامور الآتية . اولاً عددها قد زاد في هذه السنة زيادة عظيمة حتى انه لم يكف لتفتيشها اقل من عشرة مفتشين اذ بلغ هذا العدد ٩٢٥ بعد ان كانت في سنة ١٩٠٠م ٤٨٤ وسنة ١٨٩٩م ٤٠٣ وسنة ١٨٩٨م ٣٠١ التي هي مبدأ التفتيش وقد زاد ايضاً عدد الكتاتيب التي امكنتها لائقة للتعليم فصار الآن ٢٦٨ وكان سنة ١٩٠٠م ٢٤١ وسنة ١٨٩٩م ١٢٩ وسنة ١٨٩٨م ٤٨ وكذلك زاد عدد الكتاتيب التي امتعتها كافية فبلغت في هذا العام ٢٢٠ وكانت سنة ١٩٠٠م ٩٩ وسنة ١٨٩٩م ٧٧ وسنة ١٨٩٨م ٢٧ . ثانياً عدد المعلمين الاكفاء الذين يتولون التعليم فيها قد زاد في هذا العام عن الاعوام التي قبله فبلغ الآن ١٣١ معلماً و٤ معلمات . وكان سنة ١٩٠٠م ٦٢ وسنة ١٨٩٩م ٥٥ وسنة ١٨٩٨م ٤٠ . ثالثاً عدد التلامذة ولاسيما البنات قد زاد عما قبله زيادة وافرة فبلغ ٢٤٦٩١ من البنين و٢١٤٠ من البنات وكان سنة ١٩٠٠م ١١٣١٨ من البنين و٩٩٧ من البنات وسنة ١٨٩٩م ٩٨٣٩ من البنين و٥٦٨ من البنات وفي سنة ١٨٩٨م ٦٩٣٦ من البنين و٥٩٨ من البنات . ومما يحسن ذكره انه

فضلاً عن كثرة وفود البنات على الكتابات من سنة الى سنة قد أنشئ هن كتابات خاصة بهن ومن احسن ما أنشئ لهذا الغرض المدرسة الخيرية بدمياط فانها أسست على نظام بديع يمكن ان يعد من احسن مدارس البنات بمصر. رابعاً فضلاً عن تعليم القران الكريم في هذه الكتابات قد انتشر فيها تعليم مبادئ اللغة العربية والخط والحساب هذا العام بكثرة زيادة عن الاعوام الماضية اذ بلغ عدد الكتابات التي تعلم فيها تلك المواد ٣١٢ وكان في سنة ١٩٠٠ م ٨٢ وسنة ١٨٩٩ م ٥٨ وسنة ١٨٩٨ م ٣٥. خامساً التعليم الافرادى الذي كان مستعملاً في هذه الكتابات وهو تعليم فرد فرد من التلامذة نقص كثيراً جداً عن الاعوام السابقة وقام مقامه التعليم الجمعي وهو تعليم جمع من الاطفال بعضهم مع بعض وقد استعاض هذا التعليم الجمعي في الكتابات هذا العام حتى بلغ عدد الكتابات التي يستعمل فيها ٣٩٤ وكان سنة ١٩٠٠ م ١٥٤ وسنة ١٨٩٩ م ٧٧ وسنة ١٨٩٨ م ٣٤. سادساً تحسن النظام في هذه الكتابات هذا العام زيادة عن الاعوام السابقة حتى بلغ عدد الكتابات التي يمكن اعتبارها منتظمة ١٠٥ وكان سنة ١٩٠٠ م ٣٩ وسنة ١٨٩٩ م ٣٧ وسنة ١٨٩٨ م ١٧ وجميع اوجه التقدم المتقدمة نتيجة التفتيش وبالاخص منح المكافآت لاهل الكفاءة من معلمي تلك الكتابات فانه بعث كثيراً من رغبة الفقهاء في نيل الاعانة واستنهض همهم الى تحسين احوالهم على قدر الاستطاعة واصلاح امكنة كتاباتهم والقيام بما يلزم لها من الامتعة على قدر الامكان. ومن اجل ذلك زادت الاعانة التي قدرت هذا العام لتلك الكتابات فبلغت ٢١٣٨ جنيهاً مصرياً و٦٠ غرشاً صاغاً وكانت سنة ١٩٠٠ م ١٠٠٠ وسنة ١٨٩٩ م ٧١٩ جنيهاً مصرياً و٩٠ غرشاً صاغاً وسنة ١٨٩٨ م ٤٩٥ جنيهاً مصرياً و٢٥ غرشاً صاغاً وهذه المبالغ بلا شك لا تعد شيئاً

بالنسبة للنجاح العظيم الذي حصلت عليه كتاتيب الاعانة في هذه المدة القصيرة التي لا تتجاوز اربع سنين ومثل هذا النجاح يبشر بان مستقبلها سيكون احسن وانها ستخطو خطوات عظيمة في طريق التقدم والارتقاء . وقد تأكدت به ثقة النظارة من نجاح مشروع الاعانة وانه كفيل بتعميم الاصلاح في جميع الكتاتيب الاهلية فزادت في مبلغ الاعانة للعام المقبل ونظمت للكتاتيب جميعها تفتيشاً عاماً متفرعاً الى تفتيشات محلية في القاهرة والوجه البحري والوجه القبلي واعدت له المفتشين وربت له ما يلزم من الامكنة والامتعة والعمال وعماً قريب تخرجه الى حيز الفعل وتستمّر في طريق الاصلاح الى ان تصل الى الغاية المقصودة المؤدية الى سعادة البلاد انتهى . باختصار قليل وفي ذلك بعض الاطمئنان على اولاد الفقراء الذين هم اولاد كل الامة

كتب الفقراء

كما للاغنياء والوسط كتب يغذون بها عقولهم ويعلمون منها ما طرأ على العلم والادب من التقلبات . كذلك للفقراء كتب بذية يتعلمون منها السفاهة ويعلمون منها ما طرأ على قلة الادب والرذيلة من الطوارئ . وهذه الكتب يؤلفها لهم السفهاء والحشاشون وهي مملوءة بصور هزلية قبيحة يقطر منها القبح وقلة الحياء . وهي المفسدة للاخلاق فيهم على فسادها المتضمنة للهدر والمجون مع كثرة بين الفقراء . ويصدر منها كل يوم شيء جديد كثير حشوه قلة الادب والسفاهة والبعد عن المبادئ القومية . وهذه الكتب يغنيننا التفكير قليلاً في اسمائها ككتاب "رجوع الشيخ الى صباه" (وكتاب منعظ العينين ومعني عن المعاجين) والايضاح في علم النكاح وقصة "الفلاح مع الثلاث نساء" (وعفريت الشوام)

”نوادرجحى“^(١) (والقاضي والحرامي) ”بدع بطه“ (وراس الغول) ”وخضرة الشريفة“ (وبئر ذات العلم) و”علي الزبيق“ (والمرأة اللي حبلت جوزها) ”وقمر الزمان بن الملك شهرمان“ (والعمدة اللي اجوزسته) ”وبدع خرج من الحمام“ (وتسالي رمضان القبيحة) كل هذا يغني عن زيادة الشرح وهو لا يقع تحت حصر مما من شأنه افساد الاخلاق والآداب والدين . واغراء الناسك على التهلك في الفسق وتخذير العقول بمخدرات الجهل فوق ما هي عليه . ومن الغريب رواجها بسرعة عجيبة حتى انها تطبع مراراً كثيرة في شهر واحد^(٢) . ولكن لا غرابة ولا عجب ما دامت نفوس الفقراء مترية على حب التوغل في الرذيلة والتعجب من الصغر اذا حق على العاقل المطالبة باعادة هذه الكتب لما تحويه من الغش والخداع خدمة للفضائل والآداب والانسانية . وحق للحكومة ان تعاقب اصحابها وطابعيها ولا يعز عليها ذلك ما دام اصحابها والذين يطبعونها يكتبون اسماءهم عليها . وهي لو اهتمت بالامر لوقفت على خفايا ما هنالك وعلمت انها محشوة بالكاذب في الدين والخداع في الآداب والاختلاق مما يودع في رؤوس العوام رذيلة السفه ويولد بينهم مكروب الفساد وليس أقدر من الحكومة على استئصال ذلك كما ليس احد مسؤولاً اكثر منها عما يحفظ ادب الامة ومجدها ونخارها وفي القانون ما يساعدها على العقوبات^(٣) والأفصعب والحكومة اصلاحية ان تتخلي عن الفقراء

(١) غاية ما يعلم عن حجي المغفل المشهور انه عاش في الكوفة في زمن خروج ابي مسلم الخراساني . ويروى انه كان له نوادر كثيرة اغلبها في السفه

(٢) اذكر ان ”بدع بطه“ طبع في اقل من شهر واحد ستة مرات

(٣) جاء في المواد ١٥٦ و ١٦١ من قانون العقوبات ما يأتي ”كل من انتهك حرمة الآداب وحسن الاخلاق باشهار رسم او نقش او تصوير او رمز وتمثيل يعاقب بالحبس من شهر الى سنة ويدفع غرامة من مئة قرش ديواني وقرش الى الف قرش“

ونتركهم يقرأون لهذه الكتب حتى يصيبهم من الضرر والشر شي كثير يؤثر على ارواحهم فضلاً عن تأثير الاعتقادات " بالعفريت والخيال والقرين "

المحبة والفقراء

المحبة صلة القلوب بين الناس ويجب ان تكون متينة العرى بين الفقراء ليتخلصوا من شراهاوتهم المتفرقة ومذاهبهم المختلفة . وليقربوا الى ما من شأنه تجنب الفساد وصرف الهمم الى الضار المشين . ولتقطع اعصاب الدسائس التي يدسونها لبعضهم البعض من غير موجب - والفقراء اولى الناس بالمحبة لتضم قلوبهم المتفرقة التي حجبها التفرير والتويه بسبب فقدهم لها . حتى اصبحوا منبت البغض واشتهرت عنهم آفات الكذب والخيانة والخداع . ناهيك عن احتياجهم اليها لتحليهم بدلاً عما ذكر بالصدق والامانة والمحافظة على جلب الرحمة اليهم والشفقة . وحبذا هي لو عرفت بينهم لتكون سبباً يدعو الاقوياء الى الاعتراف بحقهم والنظر في رغائبهم فينالونها بدون بذل ماء الحياة والتذلل الذي يذهب بالشرف الادمي . اما وقد صارت المحبة بين الفقراء سطحية تقع بينهم عفواً عن غير قصد . سعيّاً وراء منفعة ذاتية حتى اذا نالوها انقضت تلك المحبة من قلوبهم وعادوا الى التنافر والتباغض . فلا لوم علينا لو قلنا انهم في كره متزايد وعدوان مستمر وكل يوم لهم في البغض اثر في حاراتهم واططاطهم مع اهليهم وبني وطنهم وبني ملتهم ينشأون وينشأ معهم الشقاق والبغضاء منذ الصغر ويعيشون عاملين على البعد عنها في الكبر . الا جماعات منهم قليلون وهؤلاء ممن رزقهم الله حلية العقل والادراك . وما عداهم فالكل عائشون بالتحاسد والبغضاء . حتى صارت قلة الادب فيهم خلقية

موروثه وضاعت من بينهم الشهامة والمروءة والامانة . وعلاهم البربري ببرته في
 المحبة لاهله وبني جنسه مما لا يخفى على احد . اذ البربري يأتي من بلده ولا
 يملك ما يسد به الرمق ويستتر به العورة . فبالحبة ينزل ضيفاً عند معارفه وبني نوعه
 وبالمحبة يفتشون له على خدمة او حرفة يقات منها لا فرق بين رجل منهم او صبي
 بل بالمحبة ينتقون لها ما يصلح شأنها وبها يجمعون لبني جنسهم من بعضهم البعض
 ما يشترون له به صندوق " البويه " لمسح الاحذية ويعلمونه على كيفية الحصول
 على معاشه وطرق الكسب اذ يرافقه احد ابناء جنسه في البلد ولا يبخل عليه
 بتعليمه كيفية تنظيف الاحذية السوداء والصفراء . حتى اذا ترك حرفته هذه
 لكبره واستخدم بسبب مساعدتهم له سفرجياً او خادماً يأتي باحد اخوانه ويعلمه
 ويدربه على حرفته الاولى مع افهامه ان زياداً من الناس يدفع في مسح حذائه
 كذا وعمرواً كذا وهلم جراً . واذا انتدبه احد لبيته يدفع كذا . ثم يتركه
 داعياً له بالتوفيق والنجاح المستمر . وبهذه الوسطة يتعلم منهم فضل الاتحاد حتى
 توصل كثير منهم الان الى احتكار بعض القهاوي . غير تاركين لابن العرب
 واسطة او سبيلاً بينهم للتعيش وسببه علمهم بان اولاد العرب زملائهم يقبلون على
 مسح الاحذية برخيص الاثمان عنهم وفي ذلك مجلبة للخسارة عليهم لا يرضونها
 هذا الامر مشاهد بينهم ومصدره المحبة والاتحاد . يضاف الى ذلك العفة
 والحشمة والحياء والاعتبار بخلاف امثالهم من ابناء العرب الذين لا يستحون من
 القبح والفجور حتى انهم بعدوا عن طرق الخير ومسالكه بقدر ما زاغوا عن طرق
 المحبة والاتحاد والسير ضد الحشمة في جميع اطوارهم
 اذا عرفنا هذا وتذكرنا حال الفقير في صغره وهو الآخذ عن ابيه وامه
 الكثير من القذف والفحش في مجالسه بين اهله وجيرانه وبين كبرائه واهل محارمه

لا يصدّه وازع الحشمة لما اخذته به عوائد السوء في التظاهر قولاً وعملاً حتى
اصبح خلق الشر موروثاً فيه أباً عن جدٍ وولداً عن أب لا نستغرب فقدان المحبة
التي تحو البغضاء من نفوسهم وتشد آواخي الاتحاد المتين بينهم . وانت تراهم حتى
في صلاتهم بجانب بعضهم متخاصمين ولو في ختام الصلاة ينظر كلٌ منهم لاختيه
قائلاً " السلام عليكم ورحمة الله "

لما على بصرهم وبصيرتهم من غشاوة البغضاء والشحناء بسبب فقدان المحبة من
بينهم بل غاية ما يدركون الشتائم والسباب لاقل مناسبة حتى يتوصلون للشجرة
واقتراف الجرائم بالاعنداء بالضرب والجرح . ونكاية بعضهم بعضاً بشهادة الزور
وخدش الاعراض بسب الآباء والامهات . ويكفيانا اننا نسمع كل يوم ازدياد
مشاجرتهم وكثرة جرائمهم من مخالقات وجنبايات رجالاً ونساءً وانهم
يزيدون كل سنة عن غيرها في قتل الاب ابنة والابن اباه والاخ اخاه او اخته
والاخذت أختها او اخاها ولا جدال في ان سبب ذلك فقدان المحبة من بينهم حتى
جلبوا على نفوسهم العطب في ليلهم ونهارهم

نسأل الله ان يزيل المكروه عنهم ويهبهم ادراك معنى قول المرشد الاعظم
" صلى الله عليه وسلم " لا تحاسدوا ولا تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع
بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخواناً المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله
ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ههنا و اشار الى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء
من الشران يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه

الجبن

” وضعف عزيمة الفقراء “

الجبن الذي نحن في صدده هو قعود النفس عن الاقدام على الامور ولو كانت ممكنة لضعف متسلط عليها وانخدال في النفس عما فيه مصلحتها وبنفعتها وهو في الامة المصرية عام يتناول الرجال والنساء والاطفال . وهو ذو سلطان قوي على العقول والاجسام . اذا تملك وتآصل فيها أفسد نظامها واضعف قوتها وفل من حد عزيمتها . وقد سرى داؤه في اعصاب الامة وشرايين جسمها سرعان السم في العروق الجسمية حتى تكاد لا تجد فرقاً بين طائفة وأخرى في سيطرته على رجال العلم والجهل فيها . والجبن في الامة المصرية وراثياً من قرون مضت وعصور خلت وسبب ذلك الضغط والاستبداد الذي آنته الهيئة الحاكمة في تلك الازمان التي توالى عليها وكثرة تعاقب تلك الحكومات وشدة ما هي عليه من التنافر في السياسة والاحكام والقوانين . حتى لقد تنقض دولة كل ما صنعتها السالفة من الاحكام والشرائع تقصد بذلك تطلب الغاية التي تسعى اليها بكل قواها ومجهودها ويكفي لنا دليلاً على تغير الاحكام والضرر الناجم عنه ان اربع دول تولت امور القطر في المئة سنة الحالية هدمت كل منها ما وضعتها الاولى وابدلت ونسخت كثيراً من الامور وابطلت بعضاً من العوائد المرعية . اما الشعب المصري باختلاف عناصره فهو ذو اقدام وحب للتقدم لو لم تصل ايادي الاقوياء من الاجانب اليه انظر ماذا صنع ابراهيم باشا الفاتح من مدهشات الامور في فتوحاته وكيف انه هدد كيان دولة لها بمصر روابط دينية وجنسية وهو لو لم تقيد يداؤه باغلال

القوة من تداخل الدول الاوربية وحيولتها دون كثير من مقاصد لاتي بما لم
تستطعه الابطال الاوائل والاقبال الامثال . وهكذا فقد قرض الله ان يكون هذا
القطر مطمح ابصار الطامعين ونهبة الناهبين ومحج آمال المستعمرين لكثرة خيراته
ودمائه اخلاق شعبه التي لشدهتها تكاد تقرب احياناً من الذل والهوان

وليس بين الامم امة فعل بها الاستبداد فعلة الذريع مثل الامة المصرية . كما
انه ليس بين الامم امة اقام فيها الذل والهوان مثلها وهو الذي اورثها الخمول فتأصل
فيها مرض الجبن والوهن بامتصاص دمائها وهي رافلة في قيود الاستبداد . حتى
اشتهرت بالقهر والغلب على امورها وعلم عنها انها الامة الميتة حياة المندثرة وجوداً
وليس من يعجب اذا قلنا انها من جراء ذلك قد بليت بشر التقليد الذي يتولد في
نفس المغلوب في كل فكر وعمل وعزيز ورخيص واستحكم فيها داء الجبن الذي يتولد
عنه كثير من الخرافات والامور السافلة . لاسيما وقد جهلت الامة باجمعها
التربية الحققة وزاغت عن محجة الصواب في الازياء والعوائد الوطنية وبعدت
عن الاحساس والغيرة بعداً شاسعاً وعن الثبات والاقدام في اقل الامور كما هو
المنظور وافراد الامة ضعاف العقول كثير والاهام حتى ليعتقدوا احياناً ان في
اليأس رجاء وفي الجبوت املاً وفي الذل مجداً وعزاً كيف لا وهم لا يدرون الا
خزعبلات الكلام وتخريصات الاوها واضغات الاحلام التي يحتملونها في يقظة
حياتهم التي هي اشبه بالسبات العميق لاعنيادهم الرعب من لا شيء والتخوف من
لا خوف والرهبنة والانزعاج من لا قوة ولا صوت

فلا تستغرب اذا فساد رأيا وحزمها وعدم ثقته بنفسها . وبسبب الجبن
ترقد ولو نهبت اموالها وتسخر لاقبل الاقوياء باقل اشارة . حتى اذا اكل اولئك

الاقوياء على ظهور افرادها وشربوا ورموا لهم بالفضلات القليلة اکتفوا بها غذاءً
نعوذ بالله من شر الجبن

نعم ان الجبن في الامة قد اختلفت حاله الآن كثيراً بفضل حكومتنا
الحاضرة ونظامها السديد فانحصر ذلك الداء الويل في فئة الاغنياء والفقراء دون
الوسط وما سبب ذلك الا ان هذا الوسط اكثر اقداماً على استطلاع الامور
ومعرفة الحقائق ولما عرکه به الدهر وعلمه اياه الخبر دون الاغنياء والفقراء

اما الاغنياء فجنهم مشاهد منظور في سيرهم وحياتهم كلها كما مر بك .
والفقراء دلائل جنهم ظاهرة في جهلهم وخوفهم وتحصيل معاشهم وكلامهم واخذهم
وعطائهم وفي مقابلتهم من يكون أعلى منهم مرتبة . اذ يعتقدون ان طالب الحق
فاجر وتارك حقه مطيع والمشتكي المتظلم مفسد والنييه المدقق ملحد والخامل
المسكين صالح . ومما يدلنا باجلى بيان على زيادة الجبن والوهن فيهم هو ذلك اليوم
الذي صدرت فيه الاوامر بتجنيد رجال العسكرية من ابناء المدن التي كانت
معفاة من تجنيد اولادها قبل صدور الاوامر المذكورة

فان المتأمل في ذلك الحين كان يرى ابناء الاغنياء كلهم يقدمون البديل
العسكري عن سعة وانسراح مما اعطاهم الله من بسطة العيش والغنى . اما اولئك
الفقراء الذين ليس بيدهم شيء يشترون به حياة اولادهم كما يزعمون فقد كان
اهلهم وذوو قرباهم يكون وينتخبون في الغداة والعشي وكنت ترى الاب يفتدي
ابنه بما يملكه من حطام الدنيا فيصبح صفر اليدين . والام تباع قرطها او خلخالها
(ولو كان خلخال زار) باجنس الثمن حتى تجمع مقدار فدية ابنها من العسكرية
ومع هذا كله لا يذهب الابن للكمد والعمل ليعوض على ابويه ما فقداه بسببه بل
يعمل على ما به ضعف همته وخمول وجدانه . والجبن داء الفقير كما هو سمير الغني

وهو سبب من اهم الاسباب للانحطاط المشاهد في امتنا المصرية عموماً وفي
الاسلامية خصوصاً . بعد ما كانت ذات بطش شديد وساعد قوي . والآن فلو
كانت الامة جميعها بعيدة عن الجبن مشهورة بمضاء العزيمة وشرف الهمة المؤدية
لترقية الشعور وحب الوطن لتمكن من نفسها تربية نفوس اهلها لدرجة مصاف
الرجال والرجولية . بدلاً من ان يصبح الرجل كبيراً في السن ولكنه صغير في
العمل يفوقه اقل رجل من الطوائف الاجنبية التي بين ظهرائنا
نسأل الله ان يهدينا طريق النشاط والجد وبعيدنا عما يجلب علينا الموت
الادبي بطريق الجبن تحت كنف حكومتنا الحاضرة التي نبراسها مناراً بالحق
ومبدد ظلام الباطل ان الباطل كان زهوقاً

حرف الفقراء

ان فقد التبرية وضعف الاعناء بشأن الفقراء جعل حالتهم التي هم فيها
كأنها لا تتأثر بمرور الزمن ولذا ترى فقير اليوم كفقير الامس هو هو يأكل
خبزه بالكسل ويلبس لباسه بالخمول لا يعرف الشهامة والاقدام بل غاية ما يعرفه
لتحصيل قوته وملبسه صغار النفس وقعود الهمة عن السعي لعلمه ان ما تسوقه اليه
العناية والقدرة هو رزقه لا غير ولا سبيل للاستزادة منه . نعم قد وجد في فقير
اليوم بعض من الشعور وعلم انه مجبور على تحصيل قوته وملبسه بنفسه ولكنه
مع ذلك لم يهتد لمعرفة الواجب ولم يعلم احتياج الامة اليه ليعمل بما فيه نفعها ونفعه
ولم يهتم بان يكون جسمًا عاملاً بدلاً من ان يكون جسمًا خاملًا وان عليه الاهتمام
بمصالح الجمهور حتى يدرك ما قدر له حقيقةً من الرزق بطريق الكد والكسح

كما امر الله الانسان بقوله " يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه " حتى م لا يستيقظ الفقير ويعتبر ويستفيد من تيقظ من يعاشرهم من نزلاء البلاد . بل هو باقٍ على حالته التي كان عليها من سنين غير ناظر الى العمل نظرة العاشق لمرمى هواه والمريض الى الصحة بدلاً من شكوى سوء ايامه وشق زمانه وتركه جل اموره " للصدفة " مستعيباً ممارسة الاعمال لما نشأ عليه من حب الكسل وإيثار الراحة وفتور المهمة على العمل . والفقير لعمرى لو كان على ضد ما ذكر وهدى نفسه الى العمل لكان اقرب لقلب الغبطة على نفسه في معيشته . واقرب للفوز على من يعاشره من الاجانب اذ لا يخفى ما هو متيسر للوطني من المساعدات والعنايات والاحوال بخلاف ذلك الاجنبي النازح عن بلده المغترب عن اهله واقاربه والمقيم بين قوم ليسوا بقومه

اما وقد اقام الفقير على كسله المشاهد ودام على توانيه المنظور فلا حق له في الشكوى من سوء حاله الحاضر ما دام هو الكسول في حركاته وسكناته وليس اهلاً الا لان يقصيه ذوو العمل وينبذونه عنهم وهو القليل المروءة نحو نفسه القليل المنفعة لبلده المستعيب وسخ اليمين النافر عن رزق عرق الجبين وإنا نذكر للقارئ حرف الفقراء التي يحترفونها والتي يدعونها يشغالهم وفي مقدمة ذلك حرف البيع والشراء التي يقدمون عليها على امل الربح منها . واهم ذلك اصناف المأكولات القليلة الثمن والربح يزاحمون فيها بعضهم بعضاً رجالاً ونساءً حتى امسوا بسبب ذلك في اسوأ حالة فوضى فاودي الصبر . يجرون على انفسهم ملل المعيشة فلذا قل من يداوم عليها . والا فسرعان ما يتركونها الى ما يعبت بالامن . وخلوهم من الادب مع اضمحلال عقيدة الدين الآخذة بينهم بالتلاشي يلجأون الى السرقة في بيعهم وشراهم او في غش ما يزينونه وما يكيلونه

ويكاد يكون بيع الرجال والنساء واحداً . فالرجال بيعهم في الامور الآتية .
الكبريت والكتب . والاحذية . والحلوى . وعلائق الثياب . والفسق . والبطارخ
والاثمار . والاقمشة . والحينة والسמיד والجرائد . والفول السوداني . والزيت والتمر
الهندي . (وبيع الصفافير والاساور) وكل "حاجة بقرش صاغ" او بيع الفخار
على ما يذكر القارىء

والنساء يبعن الازهار والاقمشة وماء الورد والاثار واللبن والعسل "والمسلي"
يطوف الكل رجالاً ونساءً حاملين ذلك طول نهارهم على امل الكسب منه
وهنا لا بأس من سؤال القارىء عما يربحه ولد اسرائيلي حامل بضع اوراق
من ورق النصيب وهي خفيفة الحمل يربح منها بائعها اضعاف ما يربحه ذلك
البائع الوطني الذي يضع على رأسه ما يبلغ احياناً كثيرة زهاء الخمسين رطلاً من
البضاعة الدنيئة التي لا قيمة لها لا شك في ان حامل اوراق النصيب يعرف من
اين يأتي الربح وذلك الوطني جاهل ذلك ولو كان احدهما ولداً والثاني رجلاً
فقل لي بحقك ما مقدار ربح الولد وقت بلوغه اشده اذا قسنا ما يربحه وهو في
سن الحلم على ما يستنبطه من اساليب الكسب وطرق الربح اذا استعمل عقله
واعمل قريحته واستفاد مما مر عليه وهو صغير من الامور والطوارىء . وبينما يكون
الفقير وزوجته يكدحان وراء مبيع ما معها من البضاعة الزهيدة القيمة يتركان
اولادها يطوفون الشوارع والطرق بهيئة رثة كئيبة واينما مررت او اينما حلت
تري زمراً من اولئك الاولاد منتشرين بحالة يرثى لها وهم بثياب بالية يتراكضون
ويتضاربون على كسرة من الخبز او فضلة طعام او عقب سباجة . جالسين على
الارض كأنهم ليس لهم آباء ولا أمهات تراهم يملأون الازقة صراخاً ويركضون
صاخين لا عينين لا يردعهم عن السب والقبائح رادع الادب والتربية لفقدانها

منهم ولذلك تراهم من بنات واولاد كثيري الجرأة والحيلة في مداهمة المارة وسلب ما وصلت اليه ايديهم من امتعتهم يدفعهم الى ارتكاب مثل هذه الدنيا دافع الجوع والعري وحب السلب وليس الذنب في ذلك كله الا على آباءهم وامهاتهم لا همهم تربيتهم فيشبون على حب ارتكاب المحرمات واثان المنكرات من الامور فيكونون عالة على الامة وعبئاً ثقيلاً على كاهل الحكومة وهم لو تعلموا مبادئ التربية الحسنة لكانت لهم اعظم وازع عن هذه الامور . واغلب الاماكن التي يلجأ اليها هؤلاء الاولاد هي القهاوي والمطاعم وابواب المعابد ودور الاغنياء ونحوها واذا من الله على فئة منهم بعمل شيء من حرف المعاش اذا كبروا وهم ليسوا باهل لعمل مفيد مباشرون حرفة مساحي الجزم^(١) اولاً واذا ساعدتهم الفرص الى حرف المكارين (الحجارة)^(٢) والجمالين^(٣) الشيالين^(٤) او الحوذية^(٤) او يأخذون في حرفة التجوال في الحوارية "جميدية" وقوفاً امام الدور هذا ناقرأ على دفعه ناشداً لقصة "الغزاة والجمال" وذلك حاكياً "قصة خضرة الشريفة" او قصة "صبر ايوب" او ناديين الزمن او ذاكرين ألم الفراق للاهل او متوجعين من ألم المرض وكثرة العلل ولو كان اغلبهم اصحاء الاجسام اقوياء البنية يحتاج اليهم الوطن بعمروه والعمل ليغدق عليهم نعمه بدلاً من كسرة يطلبونها ببح الصوت او ملهم يأخذونه بعرق القربة او باستنجاد اهل البيت والتشفع برجاء الاولياء والصالحين

(١) بلغ عدد مساحي الجزم بالقاهرة ١٢٦٢ سنة ١٩٠١

(٢) بلغ عدد المكارين (الحجارة) بالقاهرة ١٤٠٠ سنة ١٩٠١

(٣) بلغ عدد الجمالين (الشيالة) بالقاهرة ١٠٨٧ سنة ١٩٠١

(٤) بلغ عدد الحوذية (العرجية ركوب) بالقاهرة ٢٥٠٠ سنة ١٩٠١

اما عرجية النقل فقد بلغ عددهم في السنة المذكورة ٦٥٠٠ أخذنا ما ذكر من قلم -

الذين لا يبيعون الصدقة على امثال هؤلاء^(١) هذا هو العمل المشتغل فيه الرجال الفقراء والنساء الفقيرات غير ان للنساء الفقيرات حرفاً أخرى كغسل الثياب وضرب الرمل ومعرفة الفال وقراءة القرآن في الطرق وغير ذلك من مثل بيع البرنقال او الادرة او البلح او الاستخدام في معامل الدخان وكل ذلك اسباب تطرق بهن الى الرذيلة من شيء الى آخر ولنجتزي الان بذكر شيء عن بائعات البرنقال وشيء آخر عن استخدامهن في معامل الدخان

اما بائعات البرنقال والبلح والادرة فنقول بتبدئ البنت منهن في بيع الاشياء المحكي عنها وتكون في اول عهدا حريصة على ستر وجهها ان يظهر فتضع عليه النقاب خجلاً وحياء ثم لا يمضي عليها قليل زمن حتى تتركه وتمشي في الارض مرحاً بغير نقاب ثم تبدئ في تعليم النكت والهزار فلا يمر عليها عابر طريق من حوذي او حمّار الا وتناقشه النكتة . حتى رجال البوليس في دوريتهم اذكر اني كنت مرة في منتدى عمومي وكانت بالقرب مني امرأة من هؤلاء جالسة على الارض مفرطة الارجل فجاء اليها البوليس ضاحكاً وابتدأ يخطر في الشارع بين ذهاب واياب وهي ترميه بنكة وهو يرميها بمثلها حتى ان وقت ايابه للخفر فجاء اليها واخذ جزءاً مما تبيعه واوصى خلفه بها . وعلى هذا المسلك تجري بقية البائعات من النساء الى ان يضبطن في محال الخنا والفجور

اما عن البنات اللواتي يستخدمن في معامل الدخان فهن قسم كبير كلهن يحضرن صباحاً ويذهبن مساءً وهؤلاء هن شر البنات سيرة وارذهن سريرة اذ

(١) من قول المتبولي رحمه الله — لا احب الفقير الا ان كان له حرفة تكفيه سوء ال
الناس — وكان رحمه الله يعمل في حياته في الغيظ وبدير الماء وينظف القناة من الحشيش

يحكى ان منهم عدداً كبيراً متزوجات بشبان الاروام زواجا غير شرعي . هذا
وكثيرات من البنات الفقيرات يراهن المارون في شوارع العاصمة وغيرها من
المدن جالسات يقرأن سور القرآن الشريف على مشهد من الجميع ومسمع وأخص
مخالهن جهات السيدة زينب والسيدة نفيسة وكبري المتبولي وابو العلا . ولا يخفى
ان بعملهن هذا حطة لنا وازدراء بنا لانهن يقرأن القرآن الشريف بين القذارة
والطين وبين ايديهن اطفالهن يصرخون ويبسبون فتخلط القراءة بالبكاء . وكأنهم
شاعرون بتحريم ذلك فيكون وبراءون والآفما الداعي الى بكائهم وعهدنا بالطفل
يحن للصوت ذي الرنة والنغم . هوؤلاء اللواتي يقرأن القرآن في الطرق لواعتنى
بامرهن جماعة من اهل الخير وعملوا لهن مكتبا صغيرا وجيء اليهن بمعلم يحرص
عليهن في حفظ القرآن وتلاوته مضبوطا . ثم يذهبن بين النساء في المآتم يقرأن لفتح
لهن باب رزق حلال ولا تآب الله محضهن بدلا من اولئك النادبات الملعونات
هذه هي حرف بعض الفقراء وقد تركنا حرفا أخرى كثيرة يطول شرحها
ولو كان ما ذكر مع ما لم يذكر لبساطته يفقد النفع المرجو من جماعة هم كل الامة
والمجموع يعملون في ايقاف حياتهم على ما يوقف الثروة جبناً منهم لفرارهم من
مواقف الكسب بالكد والكسح والآفاين الثروة مع كثرة السكان ما دام اهل
البلاد يشتغلون على ما ترى بالتافه القليل . وفي العطلة والحزعبلات والشعوذة
الشيء الكثير حتى ان المتأمل اصبح يقرع سن الندم ويصفق صفقة الاواه على ما
حاق بامته وما خسرتة جماعته بفضل الجهل المرئي المنظور والله عاقبة الامور

الصناع الفقراء

انه مع قلة المعامل والورش الصناعية في قطرنا العزيز بسبب عدم وجود المعادن في بلادنا المصرية وقعود الرجال وذوي الاموال عن تشييط الصناعة فيها فان عدداً ليس بالقليل من الصناع الوطنيين الذين يصنعون للبلاد ما يلزم من بعض الحاجيات ولو كان اغلبها محبوباً من البلدان الاجنبية موجود بين ظهرانينا لا ينتظرون لظهور فائدتهم للبلاد الا نهوض الكفاء من الرجال لتعزيد الصناعة والامة في حاجة الى هؤلاء الصناع حاجة هؤلاء الفقراء الى افرادها من الاغنياء والكبراء . غير انك لو شئت ان تعرف حقيقة حالهم فهم ضعاف الميل والعزيمة في اداء العمل الذي يناط بهم . كثيرو الكفر بنعم مستخدميهم لاقبل سبب ولو انها نصيحة من ولاة امورهم . اذ يعكسون الغرض من ذلك الى حقد عليهم وعدم رضى باعمالهم فيتولد لذلك في نفوسهم حب الانتقال من حرفة الى اخرى ولو لم يكونوا قد مارسوها من قبل

وعدم الاطمئنان هذا مجلبة لقلّة نجاحهم في اعمالهم فضلاً عن انتفاء الثقة بين الصناع منهم وزميله اذ هم كلهم مبغضون بعضهم بعضاً لما ظهر منهم من حب التعريض والنميمة والسعاية التي تكون عقباها وخيمة عليهم اجمع واذا علموا ذلك شعرنا بانهم لا يذوقون لذة العمل ولا يحرصون عليه حتى يبلغوا فيه الاجادة وكل هذه اسباب تجلب الفشل عليهم والتأخر المستمر وتوجد فيهم حب الرضوخ لسلطان الصناع الاجنبي . فلا تستغرب بعد هذا لو قلنا ان الصناع الوطني يكون مستسماً للصانع الاجنبي مقبلاً على طاعته يتصرف بقوته وقوة زملائه كيفما شاء علماً منه ان له من قوة هذا التضامن فوزاً مبنياً وسبقاً اكيذاً في نجاح عمله

وبلوغه الغاية القصوى من اتقانه وحصوله على الشهرة الطيبة . وهذا الامر غريب من الصناع الوطنيين . وهم مع ذلك كله بعضهم يدرونه ويعلمونه ويشاهدونه متأكدين من ان في اختلافهم هذا انحطاطاً وضعفاً ونذالة يجرونها اليهم عن غير قصد واختيار . ولا ريب في ان ذلك يستمر ويزداد ما دامت في قلوبهم الكراهة والميل الى الشقاق والنفور والفضى وحق للاجنبي ان ينتصر عليهم ويسود . واصدق شاهد على ما تقول الحالة الرديئة التي وصل اليها اصحاب الصنائع الوطنيين من حدادين وبرادين ونقاشين ونجارين تضمهم جامعة الصناعة والاخوة والوطنية . ولنا على ذلك مثال في عنابر بولاق وورشها والورش الاخرى اذ ترى كل هؤلاء الصناع لا يحافظون على الوقت بينهم ولا يعرفون له قيمة وكثيراً ما اقدموا على الشروع في عمل قبل ان يتموا الذي قبله واخلوا بترتيب اعمالهم وهو من اشد الامور لزوماً للصانع عند تكاثر الاعمال

زر احدى المعامل المذكورة او ورشة من ورش الوطنيين واقترب منهم تراهم يتركون ما بايديهم ويقبلون على التكلم معك بكلام طويل غير شاعرين بقيمة الوقت الثمينة . نعم لا ننكر ان هممهم عالية وعزائمهم ماضية يتحملون مشاق الاعمال ويكابدون اشد الاهوال ولكن ذلك لا يكون منهم الا دفعاً باليد خوفاً من سيطرة مسيطر عليهم

تأمل فيهم تر ان اخص صفات الصناع منهم الجرأة على الكذب والغش والاحتيال . او فوض اليهم عملاً تراهم كثيرى الاخلال بالمواعيد كأن العامل منهم لا يحسن عمله الا بالخداع والمواربة . تفرس فيهم جيداً تراهم ينظرون الى العرض في اعمالهم تاركين الجوهر . ظناً منهم ان الغاية الحقيقية هي في البهرجة

والطلاوة لا في احكام الصناعة ودقة الاحتراف وقد يعم فيهم هذا الحكم على كل اعمالهم
 هذا وطريق الاقتصاد في مؤونة الاعمال الصناعية غير معروفة بينهم بل
 المعروف فيهم أخذ "المؤونة" ازيد من مطلوبهم وهم مشهورون بالخفة والطيش
 في العمل وعدم اتخاذ التروي ديدنا لهم واعمال الفكرة دليلاً في ما يعملون وما ذلك
 الألفقدانهم فائدة الصبر والاعتماد على النفس ولذلك كان هذا الاهمال والقصور
 في احكام الصناعة ضاراً بهم مادياً وادبياً مضعفاً اجسامهم كما يتبين ذلك لمن
 عالمهم

دين الفقراء وتعصيمهم

ان كل المصائب التي لحقت بالاسلام واهله منذ اشدك نكته الى الآن
 لمصيبة صغرى تلقاء منشأ تلك المصائب وكبرها وهي جهل فقراء المسلمين بحكم
 اوامر ونواهي دينهم الحقيقية. وعندى ان سبب ذلك هو عدم وجود رابطة عامة
 في مركز الخلافة الكبرى لا كبرائة الاسلام تجمع كلمتهم على حقيقة المراد من
 تلك الاوامر والنواهي بالبحث والاجتهاد والتفسير بكل اخلاص. وترسل فتشتر
 نور تلك الحقيقة في العلم الاسلامي ليهتدي به وتوحد افكاره فتكون وجهته
 واحدة في كل احواله الدنيوية والاخروية. اما وهذه الرابطة "التي هي امر
 جوهرى" غير موجودة. ففي كل قطر من اقطار الاسلام بل في كل بلد بل في
 كل حارة من دعاة الضلال المدعين التفقه في العلم المشتغلين بالدين حرفة
 للتغيش الناصبين اشراك البدع والفتنة للاغواء على الرذيلة والانطواء لاحكام
 السفاهة المفسرين آيات الكتاب الكريم على ما تدعو اليه اغراضهم العالمية السافلة

الملفقين عن الرسول "صلى الله عليه وسلم" من الاحاديث ما تروج به مصالحتهم
ونقضى حاجاتهم ما تنوء تحت حملة الانسانية وترزح لثقله الارضون . وتهتز له
السموات جزءاً وينشق به فؤاد الفضيلة فرقاً^(١) هذا ما اضل عقول المسلمين
وازاغ ابصارهم وفرق اهواءهم وغلبهم على ارادتهم وانتزع من قلوبهم الرحمة وقطع
منها علائق الاتحاد والائتلاف حتى اصبحوا شديتاً لا يرجى جمعهم اذا استصرختهم
لا يجيبونك واذا هضمت حقوقهم واهنتهم استسلموا اليك صاغرين . يرون لجهالتهم
ظلمات بعضها فوق بعض فيقولون نور على نور حتى اصبح المنصف العادل من
المسلمين لا يرى وجهاً واحداً للحكم بان هؤلاء من المسلمين الا اذا كفت
شهادتهم باللسان . هؤلاء هم المسوغون لاختواتنا المسيحيين ان ينعتونا بالتعصب وحبذا
هذه الكلمة لو كانت فينا بمعناها الحقيقي . لان التعصب لا يخرج عن حد غيره
المرء على دينه ومحبه له والدفاع عنه اذا اقتضى الحال . وائتمنى في هذا المقام من
الكلام لو كان الذين ينعتوننا بالتعصب من المسيحيين يفهمون ما يقولون . لاننا
ما سمعنا ان احداً من عقلائهم قال بذلك وما سمعناه الا ممن يتضرر العقلاء
المتنورون من وجودهم مثلما يتضرر الفئة المتعلمة منا من جهلائنا الذين ذكرناهم

اما وقد يظهر للعارف جهل المسيحيين والمسلمين لحقائق دينهم ودخول البدع
فيه وتمسكهم بها ووضعهم اياها موضع الدين الصحيح فلا تعصب عندنا معاشر
المصريين بل هو جهل عم الكل يرمون به بعضهم مزيناً بحلى الدين والدين بريء
منه لانه من دعائم التوحش ومن دواعي الجفاء بين اهل الوطن الواحد لا توجد

() ويسدد هذه الضربات كساد اسواق العلم والعرقان بين عامة المسلمين بل في
الشرق على العموم بحيث لا يمكن ان يدرك افراد العامة شيئاً من الحقيقة بنظرهم او ببحثهم

المحبة حيث يوجد وتعالى الانسانية عن ان تحتل ارضاً يمثلها الجهل وتأنف المصالح
ان تحط رحالها في ابواب اصحابها

والآ فلو علم الناس عموماً والمسلمون خصوصاً قواعد شريعتهم السمحاء واركانها
الحقة لما جهلوا ولا جرؤوا المصائب عليهم وعلى قومهم . كما لو عرف المسيحي الفرق
بين لفضة تعصب ومغالات في الدين ما نعت اخوته في الوطنية بهذا النعت
ولا تجاوز المقصود ورعى باوهام باطله وافكار عاطلة . والاسلام ديانة تهذيب وآداب
واخلاق مرضية . وهو الدين الذي يأمر اهله بالمعروف وينهاهم عن المنكر واساسه
مكارم الاخلاق ^(١) وهو سلامة وسلام لا مشاغبة ولا خصام . اذا عرفنا هذا
وعرفنا جهل عامة المصريين فقد بطلت اقوال القائل بالتعصب ومحقت مفترياته
البعيدة عن الذمة والشرف . مادام ديننا يعلمنا ان من كان على نصرانته او على
يهوديته فانه لا يرد عنها وان للمسلمين دينهم والآخرين دينهم

والمطلع على التاريخ يعلم ان المسلمين والنصارى صلوا معاً في جامع الامويين
بدمشق وجعل كل بينه وبين الآخر حاجزاً ^(٢) مدة سبعين عاماً ولطالما أُؤتمن
المسلم أخاه المسيحي على ماله واهله . وما وجدت الفتن ووقعت بواعث الجفاء
بينهما الا في الازمنة الاخيرة لجهل الجميع بمعرفة الدين ومقصده اذ طالما عاش
الفریقان بسلام ومحبة وإلفة ووداد . ونحن نناشد كل مسيحي يرمي المسلمين
بالتعصب بدمته وبقية ان يقول الحق ويعترف به . هل توجد بلدان تكثر فيها
جمعيات التبشير مثل بلادنا المصرية فيها حرية التبشير والمجامع الدينية ولا يعترض

(١) قال الفيلسوف آرنست رينان " ان الاسلام هو اول ناشر للحضارة في ربوع
اوربا وان الفصل في هذه المدنية الحاضرة لهذا الدين الذي من اصوله حرية الفكر والارادة "

(٢) راجع تاريخ دمشق للقساطلي

عليها معترض مثل ما يفعل اهالي البلدان الاخرى حتى نفس المسيحية التي من
 مذهب مخالف لمذهب آخر هل يلحق بدعاة الدين المسيحي بالديار المصرية اذى
 او اضطهاد وحيث مثل باقي بلدان العالم التي كل يوم نسمع عنهم اضطراب حكوماتهم
 ان تدافع عنهم بالقوة والسياسة . أليس المرسلون يفعلون في مصر وفي جميع الممالك
 الاسلامية ما يثير النفوس ويجلب الظنون بنشراتهم وتعاليمهم فهل بعد ذلك
 التسامح والتغافل يرمى المسلم بالتعصب ونفس الطوائف المسيحية هي التي تولد التعصب
 بعضها بين بعض ولا اختلاف المذاهب تلعن الطائفة اختها وتحرمها وتحكم بضلالها
 وكفرها " يرمون المسلمون بالتعصب لسبب اسلام شخص واظهار معتقده
 بالاسلام لاغراض سافلة فتقوم الطوائف بسبب اسلامه ترمي الدين بما هو بريء
 منه ويتبادون في سب المسلمين والمسلمات بما هم براء منه ولو كان الذي اسلم حلاق
 دنيء او صبي صائغ لا شرف عنده ولا علم . لا المسيحية تبكي عليه ولا الاسلام
 في حاجة اليه . الا يكفي حجة على خطأ امثال هؤلاء قولهم انهم اطلعوا على ما في
 الديانتين فرأوا انفسهم في خطأ فاتبعوا الصواب باسلامهم . ولو سلمنا جدلاً
 وقلنا بصحة مدعاهم وانهم اطلعوا على الدينين واتبعوا ما اتبعوا فهل ذلك صحيح ؟
 والمسلم نفسه حاضره كما تقدم لا شك ان امثال هؤلاء هم من السفلة
 الفاقدي الرشد لانهم تركوا الدين الذي ولدوا فيه وليس من دافع لهم الاغرض
 في النفس . ويقولون اسلمنا حباً بالمسلمين . والدين لا يتبع حباً بالاشخاص بل
 حباً بحقيقة مبادئه وشرعه . فاين لامثال هؤلاء معرفة المبادئ والشرائع وهم
 المتبعون شرع اهوائهم بسوء التربية وسقم الادراك . والعامل مسلماً كان او
 مسيحياً لا يهمله شيء من ذلك ما دام يعلم ان للاديان جميعاً رباً يحميها ان كان

حقيقة يرضاها والآ فلا دين محمد يعتز بنفري او نفرين ولا تخور همة دين السيد المسيح من ذلك. فاذا كان هذا من امثال هؤلاء الجاهلين يوغر دائماً الصدور بين الطوائف المتألفة منها الامة المصرية. فنحن ننشر داءنا منهم ومما يجرونه وينسبونهُ للدين لعل الطوائف الاخرى تحذو حذونا وتشهد دائها وتطلب شفاءه من عقلائها والمآل كله لله فيثيب برحمته من يشاء ويعذب من يشاء وهو رب العالمين

حاضر اهل الطرق

والاذكار

قال الشيخ شهاب الدين ابو حفص عمر بن محمد السهروردي رحمه الله " ان الصوفي من يضع الاشياء في مواضعها ويدبر الاوقات والاحوال كلها بالعلم . يقيم الخلق مقامهم . و يقيم امر الحق مقامه . ويستمر ما ينبغي ان يستمر . ويظهر ما ينبغي ان يظهر . ويأتي بالامور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص اه . وقال المرحوم علي مبارك باشا رحمه الله في خطبه بعد ان ذكر ذلك " اقول فمن كانت هذه صفاته يستحق ان يقتدى به بقوله وفعله ونحن جميعاً نود ان تكون هذه الصفات لصوفية عصرنا المنغمسين في نعم خير بلادنا " اه . اما نحن فنقول حبذا لوردوا الى اصل دينهم بقوة القائمين على حفظ الشريعة ليرجعوا الى نقاوة في دين وطهارة في معتقد . والافاجملة الرايات في هذا الزمن الا قوم ملئت نفوسهم بالتلاعب في اصول دينهم لينظروهم الغير وهم في "سياراتهم" التي تدور في الطرقات وامامهم "الزي منير" وخلفها جماعة اهل الاذكار واهل الطرق وهم مشغولون بالصياح والتصفيق فيعدون عملهم من

مباني الدين الاسلامي . والله يعلم انها اضاليل عامية ما انزل الله بها من سلطان
وترى الاجانب يعدون موكب الرؤية والحمل في مصر من اكبر الاحتفالات
الدينية عندنا ويكتبون عنه في كتبهم وجرائدهم ما نخجل لو قرأناه
ويا ليتهم على ما تقدم متفقون بل اصبحوا وهم طوائف يضعون القوانين والمغالط
ليعملوها مصايد لاهل العقول المستضعفة ليعتر بهم خلل الخروج عن حالتهم التي نشأوا
عليها واليك بعض اعمالهم في حاضرهم نقصه عليك لتعلم نفاقهم وكذبهم على الله والناس
جماعة المتصوفة واهل الاذكار قوم خبيثا ولو كانوا بهاليل يغشون اطراف
البلاد للتجرب بالافتراء على الدين الكذب وكسب حطام الدنيا بذكر الله ممزوجا
بدق الدف وقرع الكاسات . بلي بهم الاسلام فاحدثوا فيه بدعة الجدال في العقائد
وخالفوا الله ورسوله في النهي عن الخوض في القدر . يخدعون عامة المسلمين
ببهرج القول وزور الكلام حتى كان من فضلهم تفرقهم شيعا واحزابا فمن كانت
طريقته رفاعية لا يميل ولا يصبو الى من عهده بيوميا ومن كان عهده احمديا
يخالف من كان برهاميا وكل له اقوال يؤيد بها طريقه ويوهن بها طريق الآخر
ولو كانت اوهاما لا نسبة لها بين اصول الدين الصحيح والحق الواضح . كلها
يا للأسف اعمال مجلبة للخراب والعار تصيب سهامها الدين والمعتقد لو رآها الغير
ومن الغريب انهم يرضون بتمثيلها عند الغير لمبلغ من المال . فيمثلون اركان الدين
على زعمهم في اشنع صورة واقبح مثال ^(١) لتملك الجهل منهم وفشوه بينهم وكثرة
جماعة البهاليل والكل مدع معرفة اسرار آلهية وهم في الحقيقة معتوهون ساقطو

(١) لا ينسى القارئ الذكر الذي كتب عنه المؤيد الاغري في منزل البارون او بنهايم
قنصل المانيا بالاسمعية وكان حاضرا جماعة السياح نساء ورجالا واهل الطرق يرقصون
ويقولون لترجمانهم ان عملهم هذا من اس الدين وقواعده

التكاليف الشرعية ودليل ذلك فيهم الرضى بالذهاب الى المعارض الاوربية^(١) بغية عرض خزيمهم ووقاحتهم التي جروها على دينهم وأمتهم بفعالهم مثل رقصهم ودورانهم وانكسار الوسط منهم . واشكال ملابسهم التي يلبسونها مما لو رآها اي انسان لضحك واستغرق في الضحك من مراءهم اذ منهم من له زنار وحزام ومن له شعور كشعور النساء ويدهم العصي المضيبة بالنحاس او الحديد مما يشبه كل الشبه لجماعة اخوة تبع السيد المسيح عليه السلام^(٢) وهذه الاذكار اصبحت مفسدة للاخلاق

(١) ذكرت جريدة عثمانلي التركية ان بعض الادنياء من اهالي سوريا ومصر اتوا الى معرض باريس ودخلوا جنينة الحيوانات بهيئة دراويش يمثلون عوائد المسلمين وصلواتهم بطرق شنيعة مضحكة وكان الباريسيون يتقاطرون لمشاهدة تلك المساخر الجارة السخرية والهزة بدين الاسلام . فيا لله

(٢) كتب المسيو فيكتور شار يونيل مقالة في مجلة المجلات الانكليزية سنة ١٨٩٩ زعم فيها ان قانون اليسوعيين ونظام رهبنتهم منقولان عن بعض الطرق الاسلامية . ثم قابل بين نظامهم ونظام تلك الطرق وادعى ان انياس لوابولا مؤسس الرهينة اليسوعية (ولادة هذا الراهب في عام ١٤٩١ ووفاته عام ١٥٥٦ م) اخذ عن تلك الطرق ونسج على منوالها واته سجن اياماً في سجن التفتيش لعدة الاسلام اه

فاذا صح ذلك ولا يخاله الاً صحيحاً ظهر معنا ان محاسننا التي كانت فينا ولم تكن في امة اخرى قبلنا قد ضيعناها ونسيناها بفضل رجال الطرق عندنا وفقهائنا . نعم ذلك صحيح فان الملتفت الى طعمة جماعة اليسوعيين يرى بعض الشبه لما لا يخالف سير وسلوك اهل الطرق منا والاً فهذا البناء العظيم وذاك الاساس المتين الذي اتى بفضل سيرهم وسلوكهم على طريق نعبطهم فيه لا يبعد ان يكون بني علي شبه ما بني عليه اهل الطرق بنايتهم قبل وكتاب مجاني الادب المجموع من شتات الكتب الاسلامية دليل فان كان هؤلاء اخذوا ما كان لنا وجروا عليه ونجحوا هذا النجاح الوافر فلم لا نرجع الى ما كنا عليه . ولم لا نبعد تلك الاضاليل والاكاذيب التافهة التي في مخيلة اهل الطرق والاذكار . ونبعد تلك الاقاصيص التي نقصها عن اوليائنا واهلينا ونتمتع سير من سلف حتى نتبجح بعض النجاح الذي نحجّه من هم نأقلون عنا وآخذون منا

مجلة للخزي والعار على أمة تأبى الضيم وتتفر من الاذى . والانكى مما تقدم بيانه
ان الذين ينشدون عليهم الانشاد ينشدونهم من الادوار والمواويل الغرامية مثل
”عزيز حبك“ (وكان عقلك فين) وهم كل امرد جميل افرغ على نفسه الحلل
المزركشة والثياب المعطرة

واغلب اذكارهم تكون في الموالد التي سيأتي الكلام عليها والتي فيها يستعمل
الحيل والبطالة والدعابة والمزاح وتفقد العفة والزهد والطهارة حتى ينعكس قول
ابو نصر السراج لصدده

ليس التصوف حيلةً وبطالةً وجهالةً ودعابةً بمزاح
بل عفةً وفتوةً ومروءةً وزهادةً وطهارةً بصلاح
وتيقنً وتصبُرً وتوكلً وتذلً وتكرمً وسماح
فالى الصلاح غدوهُ ورواحهُ والى الرشاد مساؤهُ بصباح

ولا اهل الطرق والاذكار اوهام كثيرة وخرافات عدة منها ما ينسبونه الى
الاولياء من الكذب والنقص كقول بعضهم ان السيد احمد البدوي ”رحمه الله“
استنكف اخذ العهد من الشيخ الرفاعي وصعد الى السماء مؤملاً اخذ العهد من
الرسول ”صلى الله عليه وسلم“ فسبقه الرفاعي ومد يده اليه فتناولها البدوي واخذ
العهد منها ثم قابله الرفاعي عند نزوله وسأله ممن أخذ العهد فقال له من الرسول
”صلى الله عليه وسلم“ فقال له اتعرف اليد التي قبضت عليها قال نعم فمد يده
اليه قائلاً . أمثل هذه اليد فلما تأملها البدوي كظم غيظه

ومنها ان في الركن الخراب مقاماً للسيد احمد الرفاعي^(١) وانه موكل بالحيات

(١) الحقيقة ان مقام السيد احمد الرفاعي في ام عبيدة بالعراق في لواء عمار . رجم اخيراً

على نفقة جلالة مولانا السلطان عبد الحميد بمبلغ ٣٨٣٧١٧ قرش

والثعابين وسائر الهوام الى غير ذلك من الكذب والافتراء الذي يسوءنا ذكره. هذا
 ومما يحسن نقله عن جريدة "مصباح الشرق" الأغر على ذكر الثعابين ان المرحوم
 الشيخ البكري الكبير كان جالساً مع الشيخ الغلبان امين الفتوى والشيخ علي الدرويش
 شاعر ذلك العصر واسماعيل افندي الخربتاي من الادباء فخرج عليهم ثعبان ففزعوا
 منه فقال لهم الشيخ كيف تفزعون من ثعبان وانتم في حضرتي وكان الخدم قد
 عاجلوا على الثعبان فقتلوه فقال له الشيخ الدرويش "ان الثعبان لم يخش جدك في
 الغار وبقي أثر ذلك فيه وفي ذريته" فتخنجح الشيخ البكري وضحك الحاضرون.
 ومن اوهام مشايخهم انهم "التزموا" بعض البلاد وصار كل صاحب طريقة منهم
 لا يقول بقبول ذكر الله في البلد الذي هو فيه الا اذا كان على طريقته. اذ كر مرة
 انه لما كنت في بوسنة قلوب أقيمت حلقة ذكر وذكرت جماعة بطريقة البيومية
 فجاء شيخ كان جالساً عن بعد ونبه القوم لكي لا يذكروا الا طريقة الرفاعية فوقع
 الخلاف بينهم حتى كاد يصل الى ما لا تحمد عقباه لولا توسط نجل سعادة الشواربي
 باشا في المسئلة فانتهت بسلام. ويذكرون ويأتون في المساجد كل ما هو منهي عنه
 حتى باتت المساجد مثل حانات او ملاهي لعب ترتفع فيها الجلبة والصرخ عدا اتيان
 النقائص التي لم تكن تعرف قبلاً وهم بما يأكلون من لب البطيخ والقرع
 وما يلقونه من قشور الترمس وجذور الكراث وفتات الخبز يصير بعضها كأنه
 مستودع للزبالة ونحن ذاكرون في عجالتنا هذه قول علماء المذاهب الاربعة نقلاً
 عن جريدة "الحياة" الغراء عدد ٢ سنة ٢ قالت

استفتي بعضهم في سنة ٦٦١ للهجرة علماء المذاهب الاربعة الاستفتاء الآتي
 "ما قول السادة الفقهاء ائمة الدين وفقهاء المسلمين وفقهم الله لطاعته واعانهم
 على مرضاته في جماعة من المسلمين وردوا الى بلد فقصدوا المسجد وشرعوا يصفقون

ويشطحون فهل يجوز فعل ذلك شرعاً افتونا مأجورين يرحمكم الله

فقال الشافعي

السمع لهو مكروه يشبه الباطل من قال به ترد شهادته والله اعلم

وقال المالكية

يجب على الحاكم زجرهم وردعهم واخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا والله اعلم

وقال الحنابلة

فاعل ذلك لا يصلي خلفه ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمه ان كان حاكماً وان عقد

للتكاح عقداً فهو فاسد والله اعلم

وقال الحنفية

لا يصلي على الحصر التي يرقص عليها حتى تغسل والله اعلم

ذلك حكم الشريعة الغراء في اهل الذكر وارباب الطرق منذ ست مئة سنة

فما قولك الآن بعد مضي نيف وسبع مئة سنة أخرى لا شك ان الحالة اسوأ من

ذي قبل. ونذكر الايات الآتية من قصيدة لابي بكر المقري التي قالها قديماً ولكنها

تنطبق على من ذكرناهم ايضاً حديثاً وهي

برغم سنة خير العجم والعرب

ما كان صلى عليه الله يأمرنا

بل سد عن مزمر الراعي مسامعهُ

اضحت مساجدنا للهو واللعب

بضرب دفء ولا زمر ولا قصب

صوناً لها ولنا من هذه اللعب

ومنها

فضحتمونا وصيرتم مساجدنا

شوشتم الدين غيرتم محاسنه

صيرتم دينه هزءاً ومضحكة

هيئات والله ما في دينه عوج

ولا دعانا الى شيء نعاب به

وهي المصونة كالحانات للعب

فعلتم فيه فعل النار في الخطب

لكل ذي ملة من قوم كل نبي

ولا بملته نقدٌ لمحتسب

ولا الى فعلته تزري بندي حسب

ومنها

سألتكم بالذي لا تكفرون به والطائفين بييت الله ذي الحجب
هل استدار حوالي احمد خلق فيما مضى من ذوي الاسلام والصحب
وقام فيهم مغنيهم كمثلكم للضرب بالدف والتزمير بالقصب
تالله انهم لو رجعوا الى الحقيقة من دينهم لكان عملهم هذا السخري يتحول
الى عزة وجنونهم المشاهد وهزلهم المرئي الى حكمة وعلم

الفقراء والموالد

قال المرحوم علي مبارك باشا في خطبه ان الموالد التي تعمل في السنة في
مدينة القاهرة وضواحيها ما يقرب من الثمانين مولداً موزعة على اشهر السنة هكذا

٧ في شهر شوال

٥ في شهر القعدة

١٠ " " ربيع اول

١ " " ربيع ثاني

١١ " " جماد اول

٧ " " جماد ثاني

١٠ " " رجب

٢٨ " " شعبان

منها موالد سلطانية كبيرة ومنها بسيطة قاصرة على احياء ليال بسيطة
ولقد بين رحمه الله اسما اصحابها فمن اراد احاطة العلم بها فليراجع الجزء الاول
وجه ٩٠ من الخطط المشار اليها

وبعض هذه الموالد يلزم زمنه وشهره العربي الذي يعمل فيه ولا يتحول
شتاءً وصيفاً فتارة يكون في الشتاء واخرى في الصيف هذا بخلاف ما يعمل منها

في بلاد الارياف مما لا يعلم عدده إلا الله. وفي الموالد تكثر الحركة ويكثر الاخذ والعطاء والسلام والكلام لما يأتيها من الخلق الكثير من كافة البلدان كمولد النبي "صلى الله عليه وسلم" ومولد سيدنا الامام الحسين "رضي الله عنه" والسيدات والامامين والعقبي والشيخ يونس بمصر وكبار الاولياء كالرفاعي والبيومي وغيرها وفي الارياف كمولد السيد احمد البدوي^(١) وسيدي ابراهيم الدسوقي^(٢) فلذا يكثر فيها فعل الموبقات من سرقة وخطف وشرب المسكرات وتعاطي المخدرات اذ تجار المسكرات "السيروتو" يجتهدون في عرض مسكراتهم ويحبسون اليهم تعاطيها باية واسطة كانت حتى انهم يعلنون عنها في الجرائد السيارة^(٣) وبسبب الموالد يخرق العوام حدود الدين ويهددون حصونه بترهاتهم الكاذبة. يذكرون الله بألسنتهم ويسارقون النساء المارة النظرة بعد الاخرى وافواهم ثقبيل صغار الاحداث بينهم والمنشدون يجرئونهم على امرهم ويزيدونهم حماسة في ميلهم بنشيدهم (اذا امتنع بوس الحدود) (وكان عقلك فين). وبديهي ان اكثر من ثمانين في المئة من زوار الموالد مسوقون اليها بقوة الاعتقاد في اصحابها ولذا من عاقه عائق يمنعه عن الزيارة يتشاءم جداً من قطع عادته ويتوقع شرّاً. وهذا الاعتقاد القوي لو وجد له من يستطيع ان يستخدمه في طرق الخير كل سنة لكانت الموالد كلها بركات على اهل القطر كافة

(١) ولد سيدي احمد البدوي في مدينة "فاس" بالمغرب سنة ٥٩٦ هجرية وقدم مصر من الحجاز سنة ٣٧٠ وادركته الوفاة سنة ٦٧٥ بالغاً من العمر ٧٩ سنة ولقد بلغ عدد زوار مولده سنة ١٩٠١ زهاء الثمانمائة الف زائر

(٢) وبلغ زوار مولد سيدي ابراهيم الدسوقي في السنة المذكورة مائتين وخمسين الف زائراً

(٣) واليك صورة اعلان منهم

ولكن من الاسف ان هذا الاعتقاد في نفوس العامة كله خيالات باطلة
 واوهام ساقطة تجعلهم يرقبون الاولياء ويخشونهم اكثر مما يرقبون ويخشون الله
 ومثل هذه الوهام التي ترسخ في الازهان الى هذا الحد تضر غالباً
 بالاخلاق وتبعدها عن أس المعتقد الصحيح . ونموذج الفضيلة والكمال الادبي
 وهذه الموالد السلطانية التي هي مجتمع لاصناف الناس على ازياء شتى ومقاصد
 متنوعة اكثرها مضرٌ بالاخلاق والاداب بما لا يتصوره عقل عاقل . من خلط
 اوهام بحسن اعتقاد وفساد نية مع سذاجة اخلاق وطباع
 نسأل الله ان يبعث من يجدد للعامة دينهم ويثقف عقولهم ويجول بساطتهم
 ووساوسهم الى عقائد حسنة تصلح بها اخلاقهم وادابهم ففي ذلك فوز عظيم لهم
 ونجاح باهر اذا تحقق امره . والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء . وهو على
 كل شيء قدير

الاعیاد والفقراء

ابهج الايام واجملها ايام الاعیاد . اذ تكثر فيها اسباب الهناء والالفة .
 وتروج فيها سوق المحبة والعشرة . بعد اداء فرض اكرام الرب . وسنة توثيق عرى
 المودة بين ابناء الجنس . يخلد فيها المرء الى الراحة بعد التعب وتروح فيها النفوس
 بعد عناء الاشغال ولا غرو فالاعیاد يلبس فيها الجديد وتزين فيها النفوس بشوب الزينة

(صورة الاعلان المشار اليه في الوجه السابق)

سيحتفل محل سبتية بار امام الخطبة باحياء ليلة باهرة احتفالاً بمولد سيدي الاستاذ
 المدبولي وقد زين المحل بانواع الزينة وسنقيم الالعب النارية من الساعة السابعة مساء الى
 الساعة الثانية عشرة وذلك مساء يوم الجمعة اي ليلة السبت . وقد احضرت مشروبات من
 احسن نوع وعلى كل ستكون هذه الليلة من الطف الليلي والبهجها . قسطندي نعوم

والاعياد عندنا معشر المصريين كثيرة جداً ولا يكاد يمر شهر من دون عيد عند طائفة من الطوائف المتكونة منها الامة المصرية . ولكن لتعدد المذاهب المسيحية لا يعلم ابن طائفة بعيد ابن طائفة أخرى وكثيراً ما يعيد احدهما الآخر فيسمع منه قوله ان العيد ليس بعيد . وكأنه يلزمه عند مصاحبه لصاحب ان يعلم مذهبه ايضاً حتى لا يقصر في معايدته ابان عيده ولهذا فالاعياد المسيحية تمر ولا يدري بها أغلب المسلمين حتى واغلب ابناء الطوائف المسيحية ولذا لا بهرجة للاعياد ولا تأثير لها مع كثرتها ولا تزاور ولا تواصل فيها وان علم شيء من واجبات الاعياد فاعياد المسلمين في مقدمتها . يذكر الصديق صديقه الغائب عنه والاخ اخاه النازح عن بلاده . والمرء اهله وذوي قرابه . فتبادل رسائل الود والهناء حاملة ارق العواطف واحر الاشواق واخلص الادعية واذكي التحية . ولكن الزيارات الشخصية متعذرة عليهم جميعاً كأن كل فرد منهم في بلدة او في مكان بعيد وليسوا عائشين في بلد واحد لاستبدالهم عوائدهم القديمة بعوائد وسنن الغربيين من ارسال رقاع الزيارة اشارة الى المعايدة تقليداً للافرنج في اعيادهم ولو كانت المعايدة على هذا النسق اقل شعوراً بالواجب في ايام ما اصفى مسراتها واهج حفلاتها هذا قولنا بالاجمال عن الاعياد بين الامة المصرية واغلب ما ذكر معمول به بين الطبقتين العليا والوسطى . اما الفقراء المقصودون بالذات والذين هم تقرباً كل الامة . فلا يعرفون شيئاً عن الاعياد ولذا لا يعباون بها ولو كانت تمر عليهم تباعا فاعلهم ينتهزون فرصتها للانغماس في الملذات والشهوات واعطاء النفس مشتتها من انواع المجون والانكباب على المسكرات والمخدرات ومحلات الفحش والبغي والعقلاء منهم يسكنون مدة ايام الاعياد في " القرافات " بين الاموات وقليل منهم من يعرف الواجب منها فيتبادل مع اهله واقاربه وصحبه عبارات

المودة والاخاء مما يدعو الى توفير اسباب الالفة . غير ان الدلائل دلت في هذه السنوات الاخيرة على ان الامة بدأت تدخل في دور اليقظة وتعلم فضل الاعياد المليّة كما بدأت تعرف فضل الاعياد الوطنية فتحييها وتسربها وتشارك العناصر المؤلفة منها الامة المصرية باحتفال عيد سمو مولانا الخديوي المعظم . مما يدل على ان الاعياد في مستقبل الايام ستظهر بمظهر الابهة والجلال وتأخذ معناها الصحيح المقصودة به . وما احلاها اذا كانت الالفة موطدة والامن معززا والرغد ناشرا لواءه والسلام ضاربا اطنابه والجميع عائشين في ظل الرحمة والعدالة مرتبطين بعري المحبة . كما يعيش الآن المصريون في ظل خديويهم المحبوب اطال الله عمره واعلى في الخافقين بنوده وعزز كلمته

سهر الفقراء

كان الفقراء لا يعرفون السهر قبلاً إلا في بعض ليالي الافراح او المآتم وكان جل سهرهم قبلاً في بيوتهم او في بيوت جيرانهم بين نساءهم واولادهم يقضون ساعات السهر بسماع قراءة القرآن الشريف او بالافتكار في حل الحوازير او سماع الحكايات . والبحث في الحوازير هذه ملذ مفيد لانها مدعاة لاحتكاك الفكر فيهم ومجلبة لتولد النباهة بينهم والحوازير كالانغاز والاحاجي تكون في الأكل او اللبس وغير ذلك ولا ضرر منها عليهم اذا انتهت من غير كدر بل نفعها عظيم في صرف وقت السهرة في ضحك وسرور^(١) . اما الآن فقد تعود الفقراء السهر

(١) منها سؤال - ان كنت حدق ولبق وتعرف الذوق ففسر الجلد من جواً واللحم

من فوق - جواب - (قوضة الفرخة)

ومنها سؤال - شيء مسكته من ايديه يملق لي عينيه - جواب - (برقع)

ومنها سؤال - شيء قد النمنمة يجيب الخيل ملجمة - جواب - "الكتابة"

في القهاوي البلدية وتركوا عاداتهم هذه لسماع القصص من القصاصيين او لسماع الرباب من الشعراء الكذابين الذين يقصون عليهم قصص زناة^(١) وسيرة بني هلال وقصة سيف بن ذي اليزن او السلطان حسن^(٢) او "دون جوان"^(٣) او لسماع الاغاني التي يسمونها "الصهباء" في قهاوي الحشيش ومحال المسكرات او الفرجة على الرقص في مجالس الخناء والفجور على افطع انواعه من الحركات المزدولة على جملة معانٍ . وهذه تزرع في نفوسهم التأثيرات السيئة وتوجد في اميالهم واخلاقهم شيئاً كثيراً من المضار والمعائب وبالاجمال ان سهر الفقراء مضر بهم جالب

(١) غاية ما يعرف من مطالعة التاريخ عن جماعة (زناة) انهم كانوا قبيلة من اعظم قبائل افريقية لمبوغ كتبتها سبعمائة وخمسين فارساً . التجأ اليهم الامير عبد الرحمن حفيد الخليفة هشام الأموي من ذبح السفاح فقايلوه بالترحاب ودخل مدينة اشبيلية وبقرطبة الرئيسان من طرف العباسية يتنازعان قيادة العسكر والسلطنة . فلا يبعد ان تكون قصة زناة هذه وضعها القصاصون لان في زمن هذين الرئيسين وقعت حرب ظفر احدهما على الآخر وبايعه اهل اسبانيا سنة ٧٥٦ للميلاد وتبع من ذلك الوقت انفصال الخلافة المغربية عن الخلافة المشرقية ببغداد . كما يعلم ذلك المطلع على تاريخ الاسلام

(٢) لا يبعد ان يكون السلطان حسن هذا هو الذي تولى سلطنة غرناطة سنة ١٤٦٥ ميلادية وقد كان معروفاً بالشجاعة وحب الوطن ولو رماه اهل غرناطة في زمانه بالتكبر والقسوة وتغلب حب جارية نصرانية على عقله واخياره ولدها لان يكون خليفة دون ولده ابي عبد الله ابن السلطنة زوريا . ومن المأثور عن السلطان المذكور ان ملك مملكة نواره والوارث لمملكة اراغون اللذين كان لهما التصرف في الممالك الثلاث طلب من السلطان حسن الجزية الذي كان والده يؤديها . فأبى قائلاً للسفراء اذهبوا فقولوا لاسيادكم ان غرناطة ليس لديها ذهب بل حديد لاعدائها ثم دهم مدينة زهرة واخذها سنة ١٤٨٠م وبعدها التهمت نيران الحرب الداخلية الى ما جاء في كتب التاريخ والسير والله اعلم

(٣) غاية ما يعرف عن "دون جوان" انه كان رجلاً قائداً نمساوياً حضر الى حصن جوليطة بعد واقعة لينته فاخذ تونس بلا ممانع ونأى عنها سنة ١٥٧٢ ميلادية واعلم هو المذكور في القصص التي نقرأها العامة

الشقاء عليهم في معاشهم رمعادهم. اذ لا يخفى ما وراء السهر من فقدان القوة خصوصاً للفقراء الذين هم في حاجة اليها في صنائعهم وحرفهم. والذين لا يمكنهم النوم نهائياً بل منزومين بالبكور على العمل وليس مثلهم كمثل الاغنياء الذين ينطبق عليهم قول القائل

ينامُ الفتي حتى اذا يومه استوى تنبه مثلوج الفواد مورما

الفقراء والمسكرات والمغيبات

لا يمنع الفقر والاعسار الفقير من تعاطي المسكرات بل الفقراء اكثر من الاغنياء في تعاطي الخمر ما دامت معامل الخمر كثيرة. والشيطان قد اضلَّ الفقراء بالمسكرات فقد استولى فيها عليهم الشر والمرض وهي معهم لا تذر شيئاً من الامل يرجوه لهم مشفق عليهم. فلا تعجب يا من هداك الله واجتنبت الخمر من اشقائك في الانسانية وقد اوقعهم الشيطان في معاطب المسكرات والمغيبات يتعاطونها طوراً بجلاوة وطوراً بمرارة واوجد فيهم تخيل انبساط في الاولى ولذة في الثانية فاصبحوا لا يبالون بما ينشأ عنهما من الاضرار ما داموا فيها كليهما صريحي نشوات الغي يعطلون صفايا اعمارهم لامر الشيطان وهو وليهم يحثهم ويشوقهم منه الى ذلك يأمرهم بترك الجد واتباع الهزل فيصدعون بالامر ويسرون باقدامهم في طريق احزانهم اعوان الشيطان يرمون ببصرهم نحو حانات الخمر ومعاملها الكثيرة فيروا من الوسائل التي تسهل عليهم تعاطي الخمر بل تجرع السم شيئاً كثيراً في مخازن اعدت لهذا الغرض يسمونها "المعامل" داخلها (خبايا) براميل الاككول (الاسبرتو) والوسائل فيها اما احمر "وهو الكونياك" واما اسود وهو (الروم) واما

بين ذلك وهو (الويسكي) يحلون مرارته بشيء قليل من السكر ويعطرون رائحته بشيء من الأرواح الطيبة يملأون الزجاجات الكبيرة منه بالثمن القليل فيشربها السكير الفقير بقليل من الدراهم متوهماً أنه يشرب خمرة طيبة مثل التي يشربها الأغنياء . فيحرق كبده ويذبل نضارة شبابه ويفسد دمه ودم سلالته ويسلب حياته بتقصير عمره واقلاق راحته بالسقم والأوصاب وجهل الفقير بفائدة الحياة ولذة الصحة مهدي مع الشيطان لتلك المعامل مرشد إليها

ومن مروجات باعة الخمر انتهاز الفرص لشهرة خمرتهم ومعاملهم . فماتت حرب الدولة واليونان الأخير . الأ وتم عمل كونيكا (اد هم باشا) . كما أنه ما تم حرب السودان الأ وتم عمل ويسكي (كشتنر باشا) . ووضعوه في القناني عليها صورة من ذكرنا . وهي نباهة وسياسة عقلية لجر المغنم الكثير من الفقير العسير . حتى لا يكون محور كلام الشاربيين الأ على الحرب ومهارة القائد الذي يشربون خمره . ولا يخفى اتساع باب السياسة سياسة حفظ الوقت عند الأوربيين وسياسة ضياع الوقت عند المصريين فمع الأخذ والعطاء في القول لا يقوم احد هم الأ وينطبق عليه قول القائل

وكل شيء رآه ظنه قدحاً وان رأى ظل شخص ظنه الساقى

في مثل هذا الطريق يتعاطى الفقراء المسكرات ولهم خلاف مشروب الخمر مشروب (البوطة) وهي كائنة أيضاً في محال حقيرة رطبة وكثيرة العدد تبلغ في مصر وحدها اثنتي عشرة بوطة أهمها ما كان في بولاق يشرب فيها الفقراء الى ما يوصلهم الى درجة السكر . اما المغيبات فمن أهمها الحشيش الذي له قهاوي عديدة والحشيش هو عصارة نباتية من نبات يسمى بالقنب الهندي وهو نوع من التيل تاريخه في المشرق قديم وقد ذكر المورخ الشهير المقريزي ان الذي اكتشف هذا

النبات شيخ من الفقراء اسمه (حيدر) اكتشفه اتفاقاً وأكل من اوراقه فحصل له نشاط وسرور فاخبر اصحابه به فاخذوا من اوراقه وأكلوا فحصل لهم من السرور والطرب ما حملهم على كتمان امره وصيانة سره عن باقي الفقراء . وقال لهم ان الله خصكم به ليذهب همومكم الكثيفة ويجلو افكاركم وامرهم بزراعة حول ضريحه بعد وفاته سنة ٦١٨ للهجرة . وكان قد اوصى اصحابه ان يوقفوا ظرفاء اهل خراسان وكبرائهم على هذا النبات فاعلموهم بسرهم فاستعملوه وشاع امر الحشيش في بلاد خراسان وفارس ثم حمل الى العراق والشام ومصر . هذا غاية ما يعلم من امر تاريخ الحشيش . والحشيش محرّم شرعاً بلا نزاع . ولقد افتى الامام المزي تلميذ الامام الشافعي رحمه الله بجرمانه على مذهب الامام الشافعي (رضي الله عنه)

ومما يذكر من نوادر الحشيش ما جاء في كتاب خلاصة تاريخ العرب من ان رجلاً يسمى حسن الصباح سافر كثيراً وتبحر في العلوم وعرف فرق الدين الحمدي اخذ في القرن الحادي عشر من الميلاد يعظ الناس ويحثهم على اتباع مذهب جديد يغلب على الظن انه قريب من مذهب (الكرمانية) فتبعه خلق وجموع ملك بهم عدة قلاع وحصون واستوطن (حصن الموت) المشيد على هضبة قرب قزوين فلقب بشيخ الجبل واعلان العداوة للمسلمين والنصارى ورأى نفسه بمنزلة الاله الثاني الذي شغله الاقتصاص من الظالمين للمظلومين ونفذ اوامره فمين معه . فكان اذا امر بقتل احد منهم بادر بالقاء نفسه من شاهق الجبل على أسنة الرماح او طعن بطنه بخنجر او امر بقتل احد من غيرهم بادروا بقتله ولو وزيراً او سلطاناً او خليفة عباسياً . اخبر قومه ان شارب الحشيش يذوق جميع لذات الفردوس - فكانوا كالبهائم بسبب السكر بالحشيش مستعدين لارتكاب اكبر الجرائم - ولذا سبهم المؤرخون بالحشاشين لا بالحاسين اي

القتالين كما زعم الافرنج - وأذن لهم في النهب فنهبوا وجلالوا باسلمحتهم في الشام حتى بلغوا جبل لبنان وبنوا في الشام اماكن نحصنة ونهبوا جميع القوافل التي تمر بارضهم وقطعوا الطرق وملكوا في غرة القرن الثالث عشر من الميلاذ كثيرا من المنازل في العراق والشام وحصونا أخرى قرب دمشق وحلب وتوطنوا من ابتداء سنة احدى وستين ومائة والى ميلادية بالعراق الفارسي فبذل الملك شاه عزائمهُ في اعدامهم فلم يبالوا بذلك . بل يقال ان نظام الملك الذي كان الوزير الاعظم لهذا السلطان قتله احدى لشدة تعصيه وغيرته على مذهبه الديني . وكان هؤلاء الحشاشون مع الفاطمية كحزب واحد لشدة مخلصاتهم وادمان مشاجرتهم مع اهل السنة (١) ونحن نذكر ذلك وهو غاية ما وصل اليه علمنا ومن شاء زيادة معرفة اصل الحشيش وتاريخه فليراجع ما كتبه المؤرخون الثقات يجد المجال فيها متسعاً والحشيش تأثيره يقرب من الافيون بالنسبة لفعله السام ويزيد عليه انه يحدث التسمم بالتدخين او الاستنشاق فاذا دخنه شخص في السجاير او في النرجيلة او وجد في محال تدخينه فاستنشقه حصلت له اعراض التسمم بدرجات متفاوتة يعلمها الاطباء . كما يعلمها من شاهد الفقراء الحشاشين في مصر اذ هو المتصف بانه المجلب للخفاة بالتدريج واصفرار الوجه والجسم وارتخاء الاجفان واحترقان العينين حتى لا تتحمل الضوء . كما انه يكثر السعال وتتهي حال شاربه بالبله وضياح الاحساس والعمر . فلذا قلّ جداً المعمرون من المدمنين على تدخينه . والحشيش بين الفقراء علة متأصلة فيهم تذهب بنضارة شببتهم وبنشاطهم ونفع البلاد المرجو منهم . فلذا هو آفتهم وعلتهم الكبرى التي دونها علة الحجر . واقدم الفقراء

(١) راجع وجه ١٣٨ من كتاب خلاصة تاريخ العرب للاستاذ (ستيد) المترجم

على تعاطيه ناتجاً عما يجدونه فيه من الفرح والانشراح عند حلول الكدر والكآبة
فتراهم يدلون بعضهم البعض بالاقدام على استعماله في النزاجيل حتى يزول ما بهم
من الاسف والأسى وجهلهم بحرمانه سبب ثانٍ لاقدامهم على تعاطيه اذ في
امثالهم - ان الحشيش لا ينعف ولا ية - ولو كان مخالفاً لما بيناهُ فيما تقدم الا ان
الاقدياء والجهل العام بينهم المنتشر فيهم جعلهم عمياً عن معرفة حقيقة ما يضر وما
ينفع . وتكاد تكون النفس ميالة فيهم الى تعاطيه بكمية تزيد كل يوم حتى يشتهروا
على زعمهم بامكان حل المشكلات وايجاد سرعة الخاطر بالتكلم بالالفاظ
وبالنكت المضحكة التي تضيع الزمن بحيث لا يشعرون . ولقد جرب مفعول
الحشيش كثير من العلماء وكتبوا عنه وحكموا بضرره وانه سبب مهم لافساد
نظام الصحة وتعب الجسم والعقل والامراض العاصية " زيادة عن الامراض التي
تبتلي بها الفقراء والحكومة المصرية تمنع دخوله وتقرض العقاب الشديد على من
يتجر به او يسهل على الناس تعاطيه في القهواوي ولكن جماعة الحشاشين لهم

(١) تناول بعضهم مقداراً كبيراً من الحشيش بقصد التجربة العلمية ولما انقضى فعل

الحشيش به وثاب اليه عقله وصف ما شعر به في اثناء فعله فقال

تمكنت الهواجس من نفسي ثم جعلت تحل قيودها وتنهال على عقلي انهبال السيل وتنشغل
في اشكال هندسية بالغة حد الاعجاز في احكامها والوانها وكانت هذه الاشكال تمر سريعاً
امام بصيرتي حتى يتعذر علي وصفها وصار رأسي اتوناً تنبعث النيران منه وتنفزع نجوماً لم أر
في حياتي ما يشابهها في بهاء الوانها وشدة اشراقها وضاع مني حكم الزمان فلم ادر افي دقيقة
حدثت تلك الحوادث ام في مئة عام . واستولت علي الكآبة كأن قديمي غارتا في الارض
وغرقت فيها الى الخناق لثقل ما علق في برجلي من الاثقال ثم وجدني صرت خفيفاً
كالاسفنج فامسكت بشجرة كانت بجاني لكي لا اطير في الهواه ثم اخذ جسمي يرتعد كأن
مجري كهربائياً جرى فيه وشعرت كان طوقاً من الحديد طوق رأسي وضغطه حتى كاد
يسحقه فاغمي علي من شدة الالم . وحتى الساعة ترتعد فرائصي حينما أفكر بما كنت فيه من

منتهى البراعة في جلبه من الخارج ومنتهى التفنن في تعاطيه من غير ان يشعر بهم احداً^(١) وهم يتعاطونه ضمن المعاجين والملبس وغيرها او قد يذهبون لتدخينه في الجهات الغير مأهولة بالسكان مثل جهات مدافن الاموات البعيدة عن نظر رجال الضبط . وترى شاري الحشيش مع هبوط قوتهم وارتخاء مفاصلهم يهرعون الى محال شرب الحشيش . وانت لو كلفت احدهم بامر من ورائه نفع له لا يقوى على عمله ويعتذر بضعفه . واكثر اقدام الفقراء لتعاطي هذه الاشياء المسممة لاجسامهم يكون في الايام الاول من ايام الزواج . فانهم يوصون بعضهم بعضاً بأخذ المقويات للجماع من مثل المعجون المسمى بدواء المسك والمعجون الهندي والرومي

العذاب . ولا يقاس رعي حينئذ الا برعب من رمي من حالق أو ربط بالسلاسل ووضع تحته الحطب وأضرمت فيه النار وحسبت ان الحالة التي كنت فيها لا تنقضي مدى الدهر فاستولى علي القنوط ووددت ان اترك نفسي وفرق منها لانجو من هذا العذاب . ثم شعرت كأنني أخذت أطول بسرعة حتى علوت فوق الافق ونطح رأسي قبة السماء واقطع فعل الحشيش فثاب الرجل الى نفسه وعاد الى بيته . وبعد قليل خرج منه فعاوده فعل الحشيش وقال في ذلك . شعرت كأن جدران الكون انبسطت حولي وصدرت اصوات مطربة ازال ما في نفسي من الغم والخوف وفتح امامي فردوس النعيم وخضت في بحر من البهجة والحبور جسداً وعقلاً ونفساً وطفح الحب والسرور على نفسي وبعد ساعات قليلة اخذت هذه المناظر نقل وضوحاً وشعرت بجموع شديد فدخلت فندقاً اكلت فيه كل ما قدم لي من الطعام وانا احسبه الذ ما ذقتة في حياتي . ثم عدت الى مخدعي وانطرحت الى سريري فتمت الليل كله ونهضت في الصباح ولم يبق من تأثير الحشيش سوى اصفرار وجهي وتعب جسمي والاسف على ما فات اه (مقتطف جزء ٩ سنة ١٨)

(١) جاء في تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٩٠٠ م بلغ كل الحشيش الذي ضبطته مصلحة خفر السواحل في القطر المصري ١٣٥٥٥ كيلو غراماً والذي ضبطه البوليس ١٥٦٦ كيلو غراماً والذي ضبط في الجمارك ٥٠٤ كيلو غراماً والمجموع ١٥٦٢٥ كيلو غراماً فهو يزيد عما ضبط سنة ١٨٩٩ م ٦٤٧٧م كيلو غراماً ويزيد ٥ اطنان عما ضبط في اي سنة من السنين السابقة

والجراوش والمنازيل الاخرى التي منها الباهنج المستعمل في الهند والجانجاه التي تستعمل على هيئة سجائر في بلاد كلكته والشيرة التي هي مادة راتجيه مختلطة مع اوراق الحشيش وغير ذلك من الاصناف العذيدة

هذا وكهول الفقراء يتعاطون الافيون المحتوي على المورفين الذي قد يحدث الهلاك لمناسبة انه من المواد السميّة . وعلى ذكر الافيون يدعون من يتعاطونه منهم انه غير مضر بسبب انهم يتعاطونه من زمن مديد ولم يسهم بسوء . اللهم الا ما يوجب الكيف وهم يجلونه ويمرمون الخمر ولعمرك ان الشيطان يزين لهم اعمالهم ويزيدهم طغياناً حتى يسوقهم الى اسبتالية المجازيب ومن اوضح الادلة على ما يصيب الفقراء من كثرة الضرر لتعاطيهم المسكرات والمغيبات وما يجب على نفوسهم من التعاسة والويل وضروب الخسف وجهد البلاء ما نذكره من المخازي للعشاق الاحصائيين عن قوم يتعللون من فرائس الجهل الذي هم قائمون فيه رجلاً ونساءً على اسوا ما يتصوره الخيال من سوء الحال مما يستدعي بكاء الحجر الاصم نذكره نقلاً عن تقرير اسبتالية المجازيب الذي عمله جناب المستر ورنوك مدير الاسبتالية المذكورة في سنة ١٩٠٠ م قال

قد بلغ عدد الذين دخلوا الاسبتالية المذكورة من الذكور سنة ١٩٠٠ م ٤٥٤ وقد تبين ان ١٢٥ منهم جنوا من تعاطي الحشيش وان ٢٢٤ مريضاً خرجوا في السنة المحكي عنها مع انهم لم يزالوا مرضى لايجاد محلات لمن هم في اصابات عظمى عنهم . وفي التقرير المذكور بين جناب المدير عدد الموجودين في الاسبتالية من المجانين الغاية آخر سنة ٩٩ م وبين اجناسهم واديانهم فقال بعد ان شكى كثيراً من ضيق المحلات

عدد هم بالنسبة للحرف		عدد المجانين واجناسهم واديانهم	
عدد	وظائف	عدد	الجنس
٩	علماء	٤١٣	مسلمون مصريون
٣١	كتابة	١٤	اتراك
٢٥	معلمون وتلامذة	١٧	برابرة
٢	تجار	٣٥	سودانيون
١٥	عساكر بوليس وتراجمه وخفراء	٣	احباش
١٩	نجارون وحدادون ونقاشون	٠١	هنود
٢٢	بناؤون وسقاؤون وفحامون	٠٣	مراكشيون
٢٩	خدم وساقه ومكارون	٢٥	اقباط
٥٩	مغنون وشحاذون وباعة	٢٥	احباش قبط
١١٩	حرف مختلفة	١٩	سوريون
		٠٣	فرنسيون
		٠٧	طليانيون
		٠١	مالطيون
		١٨	يونانيون
		٠٢	انكليز
		٠١	نمساويون
		٠١	سويسريون
		٠١	ارمن
		٢	اسبانيول
		١٩	يهود

عدد هم بالنسبة لاسباب الجنون

اناث	ذكور	المجموع	
١٨	١٨٧	٢٠٥	حشيش
٠٤	١٢	١٦	الكحول
٠٨	١٩	٢٧	داء الزهري
٠٢	٠٠٠	٠٢	" السل
١٠	٢٩	٣٩	" الصرع
٠٧	٠٦	١٣	قلة غذاء
٠١	٠٢	٠٣	حمى تيفوئيدية
٠٩	١٥	٢٤	اغماء
٠٠	٠٧	٠٧	نزيف دموي
٠٥	٢٤	٢٩	بالوراثة
٠٣	٠٧	١٠	جنون دماغي
٠٧	٠٣	١٠	تقدم في السن
٠٠	٠٣	٠٣	افراط في الجماع
٠٣	٣١	٣٤	حزن وفقر وشقاء
٥٩	١٢٩	١٨٨	اسباب غير معلومة

ثم بين في جدول نمرة ١ ونمرة ٦ من التقرير المحكي عنه الجهات الوارد منها
المجانين من محافظات ومديريات من المحافظات مصري الا هم ثم تليها الاسكندرية
ومن المديريات مديرية الغربية ثم تليها المنوفية فالدقهلية فالشرقية فخرجا
وبالجملة ان ضرر المسكرات والحشيش والمغيبات على الفقراء اشد نكالا من
الفقر بل هم بالحقيقة مرضى في عقولهم داء هم شهواتهم علتهم ضعف ارادتهم تنصرف
قوتهم فيما يضر سفهاً وجهلاً فهل للانسانية من نصير ينظر لهذا الامر الخطير بعين

الرأفة ويقوم بعمل نتيجته انتشار هؤلاء الفقراء من وهدة البلاء والفقير وما تلك
الوهدة الا الجهل

اوهام الفقراء وخرافاتهم

قال حكيم اتركوا الجهالات فنجيوا وسيروا في طريق الفهم

الاوهام هي صورة المرئيات او المحسوسات او المسموعات يكبر حجمها او
يصغر بقدر اشتغال الفكر لقبول الخرافات او رفضها . فهي اذا صورة مأخوذة عن
حقيقة بواسطة منظار عدسته تكبر الاجسام او تصغرها بعامل الميل الشخصي الى
تعظيم الامور او تحقيرها فعليه لا تعتري الاوهام الا ذوي العقول الضعيفة وقلما
تعتري غيرهم الا اذا كان عندهم ضعف في الدماغ او انحراف في الجهاز العصبي .
فنستنتج مما تقدم ان الاوهام مرض عام منتشر مكروبه في كل مكان الا ان العاقل
المتمتع يقوى عليه فيضعفه . والجاهل غير المتعلم لا يقوى عليه فيصبح مرتعاه فيسرح
فيه ويمرح . واعظم شاهد على ذلك ما هو مرئي بين العامة لشدة استعدادهم لقبول
تأثير الاوهام والخرافات عليهم . وما ذلك الا لشدة انغماسهم في الجهالات .
واكثر اوهام العامة في المسائل الدينية وخرافاتهم في المسائل العمومية

اما الاوهام الدينية فنقتصر على ذكر شي منها غير السابق ذكره في الفصول
السالفة اذ عندهم الاوهام معتقد آخر لا يمكن امالتهم وزحزحتهم عنه . فمن ذلك
الاعتقادات الوهمية فيهم في الحجب والاحراز الكثيرة التي يعتقدون فيها البركة
والشفاء من الامراض (والارياح) والالام والاسقام . ويعتقدون فيها النفع حال
الدخول على الوزراء وارباب الاقلام . ويعتقدون فيها انها مجلبة المحبة والقبول .
وانها تنم عنهم كيد الاشرار في سرى الليل وسفر النهار . وتنفع من لدغة العقرب

والثعبان . وهي كثيرة منها "حرز الغاسلة" و"حرز الاسقام" و"رز الانذرون"
 "ودعاء عكاشه" و"الخلفات" و"حرز الجوشن" و"السبع عهد السليمانية"
 وغير ذلك

هذا عدا عن ادعية كثيرة تلى او تكتب في اوعية اما بماء الورد او الزعفران
 ثم يشربونها على امل الشفاء من اسقامهم واوراجهم . ومن قبيل ادعيتهم هذه
 دعاء اوله "لخيثا وشمخينا" الخ وهي وايم الحق دعوات مجهولة لا تعرف لها
 حقيقة ولا اصل ولا معنى في اللغة العربية الا عندهم فيزعمون انها من الاسماء
 العظام والادعية المستجابة . وهي لا تزيدهم الا بعدا من الله وقربا من الشيطان
 وربما كان في اعتقادهم فيها ما يخرجهم عن دائرة الايمان الصحيح . ومن ادعيتهم
 التي يتلونها سبع مرات بعد صلاة الصبح الدعاء الذي اوله (يا كشمه شطليوش
 كشمه شطليوش) اقمي و اقم صورتني وذاتي ووجهي عندك وعند خلقك آمين
 يا ارحم الراحمين

وبخلاف الادعية لهم عزائم نقرأ كثيرا بعضها يعزمون بها لوجع الضرس او
 لتسكين الصداع وآلام الرأس . وللصداع دواء آخر وهو ان الزعفران اذا حلك بخل
 واطخ به الصدغان يسكن الألم ولباقى الام الجسم عزائم . ولهم جملة كتابات لطرد
 النمل وباقي الحشرات منها انه لو كتب على جريدة خضراء او خوصة خضراء
 "اطلع الرب فنظر والعيوب فستر وللذنوب فغفر ارحل ايها النمل كما رحلت الرحمة
 عن شيوخ القرى الذين باعوا الجفن باللحم عسج منسج نمرا" يهرب النمل ولا يوجد
 له اثر . وجملة كتابات لمنع الحبل وما يكثر النسل منعنا عن الايمان على وصفة
 منها قلة الأدب فيها . وللعامه خرافات واعتقادات جمه في نسبة الولاية لكل مشعوذ
 او مشعوذة او مهبول او مهبولة . فلذا كثر المجازيب في هذه الايام من المدعين

الولاية وكثير ما نسمعه كل يوم عن اتيان البدع والمنكر التي تمس الدين وتشتت
الشرع الشريف لان ظهور هؤلاء بهذه المظاهر امر يدعو الى فساد العقيدة وافساد
عقول الناشئة والعامه . هذا بخلاف ما في نفوس العامة من الاعتقادات حتى
في الجنائز فانهم ان اسرع حاملوها في المسير ظنوا في الميت الولاية فيفرحون
ويؤمنون بكرامته ويقلبون له النعال ليطلبوا في سيره .

وكثيراً ما تتجاوز اوهاهم الخرافية سنن العقل حتى انهم قد ينسبون الولاية
الى الحيوانات والنباتات فالجمل لو راوه يرغي ويزبد ينسبونه للولاية ويلتمسون
منه البركة . وشاهدنا على ذلك جمل الحمل واهم النباتات التي يعتقدون فيها الاشجار
الضخمة والاجذاع النخرة فان هذه لو راوها يقرأون لها الفاتحة ويقبلونها . مثال ذلك
الشجرة التي (تدعى الشيخه خضره) في جامع الحنفي رحمه الله فان الزائر يجدهم
يتبركون بها ويقبلونها فضلاً عن ترك اترهم عليها معلقاً بمسار . كما ان كل شجرة
غليظة الساق تكون من مدة سبقت يطلقون عليها لقب "سيدي الاربعين" واغلب
هذه الاشجار من شجر الجميز^(١) وكثيراً ما يقومون بعمل الموالد لهذه الاشجار^(٢)
وكما يعتقدون بالاشجار يعتقدون بالابواب الاثرية القديمة ويتبركون بها ويقرأون
لها الفاتحة لو مروا عليها ولدينا شاهد "بوابة المتولي" فان عليها رجلاً درويشاً
ياخذ النذور وهو معلق راية بجانبه وفانوساً في النهار حتى اذا مر عليه السياح

(١) في خرافات المصريين القدماء انه كان في الصحراء شجرة جميز يسكنها ثالوث من
معبوداتهم وتاوي اليه ارواح الناس بعد الموت . ولعل هذه الخرافة باقية بين العامة من
خرافات المصريين القدماء حافظوا عليها وبقوا ينظرون الى شجرة الجميز نظراً يمزجه الوقار الديني
احمد بك كمال مقتطف جزء ١٢ سنة ٢٤

(٢) في دائرة المرحوم جلال باشا شجرة جميز يعمل لها مولد في غرة مارس من كل سنة
واحياناً يحضر مولدها انجال المرحوم جلال باشا

الاجانب يشاهدونه ويأخذون منه شاهداً على تأثير الاوهام الفاسدة في عقولنا والجهل المتسلط على افكار المسلمين في دينهم .

وفي جامع الامام الحسين "رضي الله عنه" عمود من الرخام يشكو الى الله من فساد اعتقاد الملتزمين له المتبركين به وهذا العمود يدعي العامة وبعض من الخاصة بان السيد البدوي يحضر اليه في كل ليلة « حضرة »

وللعامة وهم واعتقاد في بئر « غير البئر التي في جامع اولاد عنان » في صحن جامع السلطان الحنفي وانها موصلة الى بئر زمزم ويروون رواية كذبها ظاهر من اول مرة وهوان رجلاً كان مرة في مكة المشرفة يشرب من بئر زمزم فسقطت فيها الطاسة التي كان يتناول الماء بها فلما حضر الى مصر وجدها في هذه البئر .

هذا بعض من اوهام العامة الدينية الذين هم كل الامة تقريباً ذكرناها ولا نرجو الا الاجتهاد في صرف افكارهم عنها فقد كفاهم باقي حاضرم الشاهد المعيب وقد ضجت الارض الى بارئها مما ينتهكون به حرمة الله وبه يحجدون « وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون »

اما خرافاتهم على العموم فثي لا يعد ولا يحصى . ومن أهمها اعتقادهم في العرافين بان في امكانهم قتل الانسان او قلب صورته الأدمية الى اية صورة ارادوها بكتاباتهم السحرية وبتكليفهم ارهاط "الجن" عمل ما يريدون عمله لانهم في عرفهم مسخرون لقضاء اغراضهم وهم في استطاعتهم "ربط" الرجل عن امرأته حتى ازالة اعضاء تناسله . وتعويق المرأة عن الحمل وفك المشاهدة منها او اغاظة زوجها ان لم يكن طوع ارادتها او كان في عزمه التزوج عليها . وكل ذلك بما يسمونه "الشبشة" وحلب النجوم " (١) ومن خرافاتهم عدم غسل الملابس في يوم الاربعاء آخر الشهر

(١) انظر الكتاب الثاني من طب الركة ووجه ٦

او تفصيل الملابس يوم الجمعة. ولهم في الاحلام تفاسير كثيرة يتخوفون منها او يفرحون. وللكابوس تأثير مخيف جداً على اذهانهم صغيرهم وكبيرهم وهم يعتقدون بانه روح شيطاني يفاجئ النائم ويسومه اشد العذاب فيتقونه بالاحراز التي تقدم الكلام عليها. او بعمل الاحجبة من اولئك المتخذين الشعوذة والتدجيل حرفة لهم للتحصيل والاكتساب^(١). وعندهم خرافة ان في كل بيت ثعباناً يسمونه "عامر البيت" ولذا هم لا يؤذونه لو نظروه حتى لا يؤذيهم بل يحضرون له احد "الحواة" لاجراجه^(٢). ولهم اعتقادات جمّة في الطير من حمام وغراب وغير ذلك من باقي الاشياء التي ضربنا صفحاً عنها خوف الاطالة المملة. هذا بعض من اوهام العامة وخرافاتهم على العموم التي يأخذونها من صور المرثيات او المحسوسات او المسموعات التي تكبر فيهم بقدر ميلهم الشخصي وعلى قدر عقولهم الضعيفة ذكرناها للقارئ مثلاً ليستعيد من شرها ويسأل الله البعد عنها انه اكرم مسأول

الزار والفقراء

لم يكتب الزمن بما حاق بالمصريين من المصائب والايثار التي تنازعهم وينازعونها بل اخذ يجرهم كل يوم الى هوة التأخر والاضمحلال مستعيناً بالنساء على قضاء لباته بابتداعه كل يوم بدعة جديدة تسقط بها الامة المصرية في اعين الامم الحية الشاعرة بواجباتها

«١» ان شئت ان تعلم حقيقة وعوارضه وقول العلماء المحققين عنه راجع وجة ٢٢٨ من السنة الثامنة عشر من المقتطف الاغر

(٢) الحواة قوم يحملون الاجربة على اكتافهم وينادون في الشوارع والازقة بقولهم بارفاعي مدد غرضهم بذلك التعيش بمسك الثعابين ولهم مهارة وحيل في القبض عليها

فمن أهم هذه البدع بدعة الزار الذي هو عبارة عن جمعية نسائية تشترك الجارية والسيدة فيها ثم يأخذن بدق الطبول دقات مزعجة ويتبادلن فيه الرقص والتمايل والبكاء الهائل. والركوع والسجود وضرب الخدود وحل الشعور وقرع الصدور في وسط نثلي فيه الاكاذيب على الله ورجاله الصالحين. فكم من ولي بعد حياته وصلاحه أنهم بالكفر والشيطنة ونسبت اليه كرامات لا يرضاها ومعجزات بأباها من قوم يدعون بان الشياطين يركبهم متخذين هيئة ملك او سلطان او جوارى وغلمان. مجرد حيل وترهات ادونها حيل ابليس لقضاء شهوات رديئة لا يمكنهم نوالها الا بهذا الكذب والافتراء حتى ان الزار اودى بالعائلات الى حضيض المسكنة والهوان. والزار مع انه عام بين المصريين كافة الا انه يكاد يكون خاصاً بالمسلمين واسبابه الحقيقية عدم التربية وتهذيب الاخلاق بفهم الدين كما مر

والأضعف التربية وعدم تهذيب الاخلاق يزري بالمرء الى اكثر من ذلك وقلة فهم المعيشة الزوجية من أهم مسببات الزار. والمتأمل يعلم ان اسباب الزار هو سيطرة الرجل على المرأة ومعاملة لها بالقسوة والحدة والغضب فتعتمد الزوجة الى الانتقام من زوجها بواسطة تعلها بالزار وبأن عليها "ريحاً" من الجن لا تستريح منه الا بزيارة الاولياء

ومكر النساء وحيالهم اكبر من ان يدركه الرجال وجهل الاهل بالتوفيق بين الزوجين يساعد الزوجة على توفير مبتغاها في هذا الطريق السافل ولذا تاخذ من ادعت بالزار بالاستعانة باهلها في امرها حتى اذا اكتسبت مساعدتهم ضد زوجها فاما ان تجري مشتهاها من الزار في بيتها او في الاماكن المعدة له. وكم من عائلة اتاها الزار وهي مطمئنة فخرب بناؤها وجعلها في اسفل الدرجات والزار له نساء مخصوصات تدعي واحدهن "بالكدية" وله اعوان من النادبات.

وله مطالب من عال ودون فتذهب فيه الاموال جزافاً واسرافاً. ولو كان في شيء تافه من مثل دجاجة بيضاء ونعجة سوداء تأخذ دماًؤها في اناء وتذلك به المفصل وله رقى يرقى به صاحب الزار حتى يجاوب "العفريت" على حقيقة حالته ومقصده وهو "العفريت" لهم اسماء كثيرة بعضها اسماء تشبه الاسماء التركية او العربية وبعضها غير مفهوم لها معنى مطلقاً. واهم محلات الزار في مصر واغلب جهاته المساجد ومقامات الاولياء الذين لا يرضون بهذا العمل ويعضون منه

وقد شاهدنا الزار في مساجد كثيرة ومقامات عديدة في اغلب ايام الجمع ساعة صلاة الجمعة وهو في "جامع البيدق" جهة العشماوي "والشيخ يونس" و"ابو السعود".
والشيخ نجم الدين "وسيدي عوف"

ولا يقتصر الحال فقط على ذلك فان له نقطاً كثيرة ايضاً كجهات السبتية وسوق العصر ومقابر باب النصر كل هذه الجهات هي مأوى الزار وعشه الذي يبيض ويفرخ فيه يجتمع فيها الرجال والنساء مختلفين بدعوى الزار فيضربون على الدفوف ويدقون على كؤوس النحاس رينفخون في عيدان الغاب حتى انه من كثرة هذا الاختلاط لا يصعب على الرجل لو شاء ان يهوى الى اذن المرأة فيوحي اليها ما يوحي بلا حياء من امام او شيخ مقام فان هذا لا يهمله شيئاً سوى اخذ الرسم وهو قرش

هذا والزار محظور عمله شرعاً بفتوى صدرت من مشيخة الجامع الازهر. ومحظور عمله قانوناً بامر من الحكومة فانها فرضت العقاب على من يقدم عليه. ولكنه يعمل في الاماكن المتقدم ذكرها الى الآن وليس هناك من يواخذ عنه من رجال الاوقاف ولا من يخبر عنه الحكومة. من مشايخ الحواري لان الاولين لهم منه مغنم والآخرين يهود منه عليهم بربح وناهيك بحقيقة مشايخ الحواري فانهم من

الرجال المفقودي الذمة المتغافلين عن عملهم بالاستقامة وحقهم ذلك ما داموا مسخرين لقضاء اغراض لا ينالون عليها اجرة فيلتزمون اخذ الرشوة والتغافل عما قضته الشريعة وقرره القانون

الفقراء المرضى

”يقول الله ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي“ فالسعي بدرء ما يعترى اخواننا من المرض مأمور به في ديننا عندما في سجية المرء العاقل من الحنان والشفقة على الفقراء المرضى دون ان يذكره مذكر ليشعر بالالم فيدراه بالوسائط الممكنة . وما الانسانية الأشعور بمحبة تسكن القاب واللب وتدمج في فطرة الانسان نحو اخوانه وبني جلدته . وما دامت هذه العاطفة عاطفة حنان شريفة وحمية سامية تأخذ بالمرء لمشاطرته بني طينته الآمهم ومصائبهم وتحذو به الى السعي في مؤاساتهم . وما دام الواجب على العاقل ان يسدي من هم اقل منه ثروة وجاهاً صحة وعقلاً وينحهم ما يتأتى على يده من الخير ويوفق بين نسبة سعادة حاله وسعادة احوالهم لعلمه ان المرء كثير باخيه قليل بغيره . فليذكر الانسان حينما يرى فقيراً مريضاً انه احد اخوته وان السعي في مؤاساته ومداواته واجب عليه وانه متى اسدى اليه خيراً فقد ائصف بصفة العقلاء الذين يجرون على قول قائل مشهور

”كل رجل في الدنيا نسيب لغيره غير غريب عنه لعلمه انه رجل وهوؤلاء فقراء المصريين كافة والمسلمين خاصة محتاجون الى ما يدرأ عنهم المرض بواسطة انشاء المستشفيات والملاجئ وقيهم ما هم معرضون له بفضل جماعة

المتطبين الجهلاء الذين ان ارادوا ان يفيدوا اضروا " والمرضى اجهل من المتطبيب
طبعاً " بواسطة الحبوب التي يعطونها وكثيراً ما يكون فيها الزئبق فتزيد المرض
وتؤدى الى الموت

علم الله ان اهم حاجة لهم المستشفيات اولاً والتعليم ثانياً . وما التعلیم ازاء
المستشفيات بشيء يذكر لما في المستشفيات من شفاء الجسم وتقوية الابدان .
والجسم بعد شفائه من امراضه يقبل العلم ويتلقى الصنائع ويستعد للحرف
لانه يكون سالماً وفيه طاقة الادراك وقوة العزم وقد قيل ان العقل السليم في
الجسم السليم وما اصح هذا القول

لا يرضى العقلاء برض الفقراء لانهم كل الامة وكيانها افلا يأسفون اذ
يروئهم مرضى الاجسام متحملين كل انواع المرض بين برص ومجدومين وعرج
ومشلولين ومقعدين وخرس وصم ومسلولين

أيظن المصريون ان مستشفيات الحكومة تكفي لمرضى الامة وتفي بجاجاتهم .
واقل طائفة من نزلاء البلاد قد تعاونت وشادت لطائفها المستشفيات والملاجئ
اولا يأسفون اذ يرون فقراء هم يلقونهم في طريقهم او في نزهتهم ويحومون عليهم
طالبين الدرهم وحقهم ان يطلبوا الدواء لو عقلوا . لان الناظر اليهم يقرأ على وجوههم
علامات المرض في قلوبهم والرمد في عيونهم . ام يظن عقلاء المصريين ان
الاطباء منهم يقبلون تطيب الفقراء مجاناً بناءً على ما هو مكتوب على باب كل منهم
" للفقراء مجاناً " تالله لا طيب منهم يطيب فقيراً بغير اجرة ولا رأينا في حياتنا
من واحد منهم فعل ذلك غير المرحوم الدكتور دري باشا الذي كان مستوصفه
شبه مستشفى مجاني للفقراء المنهوكين بالامراض والعاهات وكان يجتمع فيه من

كل الطوائف ذكوراً واناثاً فلما توفاه الله انقطع عن الفقراء كل هذا
الخير العميم

واصبحت مستشفيات الاجانب فيها ملاذ المرضى وعياد ذوي الادواء ولولاها
لعدم الفقراء حياتهم وساء مصيرهم. وكفانا تحذراً بمراتهم انهم ياتقنون اولاد
الفقراء وقد نبذهم اهلهم نبذ النواة فيربونهم ويعلمونهم حتى يبلغوا اشد هم ويقووا
على تحصيل معاشهم. لقد كثرت اللوم وتعدد المنددون وكل يوم نسمع الاجانب
يعيروننا بكثرة مرضانا وقلة اهتمامنا بانشاء مستشفى لهم حتى اصبحت احوالنا تحزن
العقلاء وتبكي المؤمنين

ولكي يكون القارئ على علم بحالة امثنا المصرية نأتي على ذكر بعض مآثر
الاجانب ليتبين له حالتهم الخيرية لقاء حالتنا التعميسة المحزنة فنقول

قامت النزلة الفرنسية في العاصمة بعمل مستشفى خاص لها في العباسية صرفت
عليه ما ينيف على المئة والستين الف فرنك وساعدت الحكومة الفرنسية
القائمين بامرهم بمبلغ ٣٠ الف فرنك فهل لنا شيء من ذلك نحن المصريين وعددنا
زهاء التسعة ملايين والفرنساويون عندنا لا يبلغون الخمسة عشر الفاً اقلنا ننجبل
وننتخب على سوء حالتنا وطول نقاعدنا ونقصيرنا

وفي عزم الايطاليين التشبه بالفرنسويين في بناء مستشفى لهم ايضاً وقدروا المبلغ
اللازم لذلك بمئتي الف فرنك وقد تبرع لهذا العمل الخيري جلالة ملكهم بمبلغ ٥٠
الف فرنك والخواجات روفائيل وفيلكس سوارس بمبلغ ١٨٠٠ فرنك ومحل
كوجيني بمبلغ ١٥٠٠ فرنك وتبرع باقي اغنياء الطليمان بالمعدات والادوات
اللازمة لذلك. هذا بخلاف ما تنفقه جمعيتهم في هذه العاصمة فانها تنفق كل

سنة على فقرائها زهاء ٨٠ الف فرنك وتشاركها في ذلك حكومتها بخمسة عشر الف فرنك سنوياً . وكفاهم نفراً انهم المؤسسون لمستشفى داء الكلب^(١) فاين عملنا نحن التسعة ملايين من عملهم وهم اقل من الخمسة وعشرين الفاً . وفي عزم النمساويين بناءً ملجأً لليتامى بالاسكندرية بدل الدار المستأجرة الآن لهذه الغاية فأين ايتامنا من ايتامهم

وفي الاسكندرية ملجأً رودلف العظيم تحت رئاسة المستر كرفر يطعم فيه الفقير المسكين وقد ظهر من تقريره عام ١٩٠٠ ان ادارة هذا الملجأ آوت في العام المذكور ٥٣٨٣ نفساً او يزيدون . وفي قلوب ملجأً لليتامى ايضاً وهو تابع للارسالية الهولندية فيه على ما بلغنا نحو العشرة من اليتامى . ولليونان مستشفى بالاسكندرية وآخر من تبرع له من اليونان المسيو جورج يوانيدس فانه تبرع بخمس مئة جنيه عن روح قرينته . ولما توفي المسيو اكيلوبولو التاجر اليوناني الشهير بمصر وقرئت وصيته في دار القنصلية اليونانية بالاسكندرية وجد انه اوصى بمبلغ ٩٠٠٠ جنيهه لانشاء مستشفى لبني جنسه في القاهرة

هذا ومن الملاحي العظيمة في مصر ملجأً العجزة بشبرا والنجالة انقام له سوق

(١) بلغ عدد الذين جاؤوا مستشفى الكلب في هذه العاصمة سنة ٩٠٠ م ١٦٠ فصرف منهم ٢٠ اذ تبين بعد مجيئهم ان الكلاب التي عقرتهم غير كلبة وعولج الباقيون فبلغوا ١٠٩ من الوطنيين (تأمل) و ١٢ من اليونان و ٧ من الايطاليين و ٥ من النمساويين و ٣ من الانكليز و ٢ من الترك و ١ من الالمان و ١ من البلجيكيين وقد جاء اكثرهم من مديرتي الشرقية والقبليوية وجاء كثيرون من بلاد اخرى وخصوصاً من سورية " بيروت " والبلدان القريبة . هذا وقد تيسر للمستشفى ان يحسن ائانه ويتقن عدده وآلاته في سنته الثانية بالمال الذي تكرمت به عليه الحكومة المصرية وقدره ٢٥٠٠ جنيهاً والجمعية الخيرية الايطالية بهمة جناب مديره الدكتور تونين المشهور في معالجة داء الكلب

كل سنة تدعى بسوق الشفقة وتباع فيه الادوات والهدايا النفيسة^(١) وفي اصوان ملجأ لمبعوثي اخواننا المسيحيين من الكاثوليك بذلوا جهدهم في انشائه للايتام وفيه الآن ما يقرب من المئتين وخمسة وعشرين طالباً و٦٠ طالبة. وللشركة الانكليزية التي نالت عمل الخزان ملجأ للمرضى تعالج فيه عملها وفيه ما يقرب من العدد الاول من ابناء العبيد. وقد قررت اللجنة التي تألفت لاقامة اثر للمرحومة اللادي كرومر ان يفتح ملجأ للقطاء في جهة القصر العيني وسيسع هذا الملجأ نحو ستين لقيطاً والخلاصة انه لا ينقضي شهر الا ونسمع لهم ما اثر حسنة تجعلنا نغبطهم ونتمنى لنا بعض ما لهم من الملاجيء الخيرية

قال عمرو بن العاص "رضي الله عنه" "ان اهل مصر اعقل الناس صغاراً وارحمهم كباراً" فلم لا نجعل لهذه الشهادة بيننا اثر او نسمع انين المرضى الفقراء ونخفف عنهم الالم في ضيقهم وشدتهم وخصوصاً التي ينالنا منها ضرر بالعدوى ولنا بمجوها واستئصال شأفتها حاجة ماسة

لقد سئمت النفوس من تكرار طلب الاعانات على الدوام ومن عهد قريب فتمت اكتنابات كثيرة حتى ان البعض كان يتبرع بثمن كتب ألفها وما يجمع من ثمنها يقدمه اعانة. فلم لا ندع قول عمرو يتحقق فينا نحن المصريين فنشمر عن ساعد الجِد ونقوم كل طائفة منا بعمل مستشفى لفقراءها خاص بها كما قال جناب اللورد كرومر في فندق "سافوي" حينما اجتمع بعض الانكليز والاميركان للداولة في بناء مستشفى للزلاء الامتين "ان المستشفى الاوربي في العباسية سوف

(١) بلغ ما جمع في هذه السوق سنة ١٩٠١ م ١٨٠٠٠ فرنك بخلاف ما جمع من احياء

ليلة خيرية في الاوبرا الخديوية

يبطل لان كل امة صار لها موضع خاص لنزلائها في مصر "وحتى لا يقال انه لو ترك الافرنج اهل مصر لا يبقى لهم صحة ولا تجد فيهم عافية ولو كانوا كثيرين

مآتم الفقراء

قال علي "كرم الله وجهه" ان الموت طالبٌ حيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب

ان ما يجري في مآتم الاغنياء يجري عند الفقراء مثله او يزيد مما لا يرضى به عاقل ولا يجوز شرع ولا تأمر به عدالة فان الفقراء يفوقون الاغنياء في احزانهم لكثرة ايامها وتعدد اوقاتها. ويكاد "يوم الخميس" عند الفقراء ينعت بيوم الاحزان. اذ تجول فيه النساء من حي الى حي نهراً ويجاريهن الرجال في ذلك ليلاً لحضور المآتم بعضهم عند بعض فترى النساء مبكرات بكور الزاجر للتعزية قاطعات المسافات المترامية مشياً على الاقدام اوركوباً على عربات النقل متزاحات متسابقات لادراك هذه الغاية ومنطلقات من الجمالية الى بولاق او الى النصرية من الاحياء الوطنية ولا يرجعن الى منازلهن حيث تركن اطفالهن الا عند العصر او بعده. وليس لهذه العادة اثر عند نساء بقية الطوائف

اما حديثهن وهن ذاهبات الى المآتم فمقصودهن على مدح النوادب وتشويق بعضهن بعضاً الى ما سوف يسمعه من نديهن الذي يثير الشجون ويحدر صيب الدمع من سماء العيون. ويتمادين في تفصيل احدى النوادب على الاخرى حتى يفضي بهن الامر الى الخصام والمشاحنة وقد يأخذ من بعضهن ذهول ينسين عندهن انهن ماشيات على قارعة الطريق فتزاح عنهن الستور ويظهر ما في اعناقهن من المناديل المطرزة بالسواد علاوة على ما في ايديهن من المناديل التي يعطين بها

وجوههن عند ذرف الدموع وقتما تلقي على مسامعهن النوادب الادوار الشجية الباعثة على النوح والانتحاب والداعية الى الحزن والاكتئاب ومن غريب امر المعددات انهن يعرفن فقيده كل حاضرة في المآتم فيعددن اوصافه على حدة ويشغلن بذلك وقتاً طويلاً. ولا عجب فان هذا العلم الذي تجذقه النادبات فيه من متنوع اساليب التأين والرثاء. ما تعجز عنه خواطر الادباء وقرائح الشعراء. فلذا لا يصعب عليهن ان يقنن ما يؤثر في نفوس السامعات ما دمن قدرات ان يبكين الحاضرات على الشيخ الهرم كما على الفتى اليافع ولكن من العجيب انهن يبكين من حولهن وهن خاليات من الشجو فلا تسمع لهن زفرة ولا ترى في عيونهن دمة. والنساء الفقيرات يفقن الغنيات في الحزن اذ ليس لهن رادع من اهل ولا من جيرة يعلمون ضرر ذلك بهن صحياً فيسرفن في لطم خدودهن والضرب بارجلهن امام رجالهن على المقابر ولو فوق الموقى الذين يبكينهم تحت التراب. والفقراء يتكبدون مع شدة فاقتهم نفقات طائلة في مآتمهم قياماً بما يحبون من الليالي وما يعدون من المآكل مدة الاربعين يوماً ولهم في التعزية أمور مغايرة للسنة فيعززون الاب الذي فجع بابنته بما يقرب من التهنئة بوفاتها كقولهم "ستر العورات من الحسنات ودفن البنات من المكرمات" ومن يتأمل يران هذه التهنئة في صورة التعزية كانت معروفة في الجاهلية الاولى عندما كانوا يثدنون البنات اي يدفنونهن حيات. والغريب ان المشايخ وبعض العلماء يعززون اصحابهم ومعارفهم بمثل القول المتقدم ذكره قولاً وكتابة ولعل هذا سبب كره الآباء للبنات. اما زيارة القبور المقصود منها التذكر بمن سلف والترحيم عليهم والتصدق على المساكين استراحاماً لهم. فهو عند الفقراء جارٍ على وجه نخجل من ذكره اذ انهم يقيمون ليلاً ونهاراً على المقابر طابحين وآكلين وشاربين وقد احضروا معهم الاولاد

والنساء والفرش والاعطية على عربات النقل او على ظهور الحيوانات وفي ذلك دليل على ان لا احترام عندهم ولا اكرام لمدافن الموتى وكفاها امتناناً انهم جعلوها اشبه بفنادق السياح يجلسون فيها فتمثل لهم انواع العاب " الحواة " وتعرض على اذهانهم اقوال " الادبئية "

والمقابر في القطر المصري كثيرة لا تكاد تخلو منها قرية - قاهرة وفي القاهرة وحدها ست " قرافات " لدفن الموتى وكلها خارج المدينة وهي قرافة " السيدة . والامام . وباب الوزير والمجاورين . وقايتباي . وباب النصر " وجميعها أعدت منذ ايام الفتح لدفن اموات المسلمين وواقفت على ذلك بحيث لا يصح فيها تصرف بيع ولا شراء فيذهب اليها الاهالي في ايام معينة من السنة مثل ايام العيدين ويوم اول جمعة من رجب ويوم نصف شعبان وايام الجمع على مدار السنة لمن توفي له اهل او اقارب ولم يحل عليهم الحول . يتعهدوا المرء فيراها مأوى لجمهير كثيرة من انحاء العاصمة وغيرها من المدن من جميع طبقات الشعب الاسلامي على اختلاف الهيئات والازياء من غني وفقير وغرض الجميع زيارة قبور موتاهم وحبذا هذه الزيارة لو كانت وفق الشرع الشريف او لو كانت مجردة عما نهى الشرع عنه وعمل الكل بما يعود على الاموات بالبر والاحسان ذاكرين ما قاله ذلك الفيلسوف الحكيم العربي

خفف الوطء ما اظن اديم	الارض الآ من هذه الاجساد
وقبج بنا وان قدم العهد	هوان الاباء والاجداد
سران اسطعت في الهواء رويداً	لا اخنياً على رفات العباد
رب لحد قد صار لحداً مراراً	ضاحكاً من تراحم الاضداد

نعم حبذا ذلك لو خلا من معائب اللهو واللعب والقذف باقبح الشتائم

وارذل الاشارات . حتى ان " القرافات " تكاد تكون مجتمعا يغشاه لفيف
الشحاذين اصحاب الامراض والعاهاث . ومنزلاً لعصابات المتشردين واللصوص
كلُّ يحنال على اخيه لاجتناء الصدقة منه وهو لا يستحقها . ولا مندوحة لنا عن
ذكر شي من اعمال الخفارين " الترية " وهم الذين يحفرون اجداث الموتى
ويوارونهم التراب وقد ورثوا هذه الحرفة عن آباءهم واجدادهم ولهذا الطائفة
اعمال مردولة وامور تجلب السخط عليهم من جميع طبقات الامة اذ هم الناهبون
السالبون الذين يتلقفون ماتصل اليه ايديهم ويوزعونها سهاماً بعضهم على بعض بعد
ان يريشوا في قلوب منكسري القلوب من ذوي الميت سهاماً لا تشفى جراحها
الى يوم العرض . فان الجنازة لاتصل اليهم محمولة على اعناق الرجال مشبعة بدماء
العيون ووراءها النساء يبكين وينحن بما تنفطر له الكباد ويذوب منه قلب الجماد
إلا يبدأ هوئلاً الترية بطلب اجرتهم بالمنازعة والخصام بما يخمد جذوة الحزن على
الميت " ولا يخمد جذوة الحزن على الميت الا شي أصعب منه " ويحل محلها الغضب
اولاً ثم الاسف ثانياً ثم الحزن مع الغيظ على ما ينال الاعراض من الشتائم
والقذف والكلام البذيء لانهم اذ لا يرضون بالقليل ولا بالجزيل من الاجرة
يضجون ويحلبون ويصيحون ويصخبون ويوغلون في عرض ما عندهم من بضاعة
سفالة الاخلاق وحطة الشأن فيقع ولي امر الميت بين مصيبتين مصيبة اولئك
الطامعين وهي شديدة على النفس الايبة ومصيبة الخجل من اخوانه واصدقائه
المشيعين معه وهي اشد وقعاً في مثل هذا الحال . وهو لا يرضيهم الا اذا فرغ
جيوبه امامهم . فاذا تيقنوا ان لا سبيل الى الزيادة رضوا بما أخذوه ولهم عليه الفضل .
وليس لهوئلاً اجرة معروفة ولا جعل معين فكما رأوا الخجل يزداد ظهوراً على
وجه صاحب الشأن زادوا حجة وجراءة وعلى قدر ما يزيد لهم الاجرة ليتراضهم

ينفرون منه كأنه لم يدفع لهم شيئاً . وقد تدفعهم الجرأة والقحة في أكثر الاحيان الى ان يمسا كرامة الميت بالشتيمة والقذف . تلك حال " الترية " عند وقوفهم على قبور الاموات وهو الموقف الذي يجب ان يكون منزهاً عن كل خصام على حطام الدنيا . وهي حال قد شاهدناها وعرضت لنا في هذه السنة ثلاث مرات وكثيرون غيرنا يشاهدون مثلها كل يوم بل كل ساعة ما دام " الموت طالبٌ حثيثٌ لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب "

وفي الظن انه لو كان المقام مقام شكوى واذنت الحالة للناس في رفع دعاوى واخصام الى البوليس والنيابات والمحاكم لاقتضى لنا عشرة امثال ما عندنا من رجال البوليس والمحاكم لفصل تلك القضايا والحكم فيها . ولكن المقام مقام احترام وفي الوجوه بقية حياة ونجل تحول دون شكوى ولي ميت رجلاً دفن له ميتة . ولما كان الامر على ما ذكر وكل يوم تشعر الامة باجمعها بهذا الالم ولا سيما الفقراء الذين يتجرعون اكثر من غيرهم غصص التقرير والتنغيص ويهانون على مسمع من نساءهم واولادهم واصدقائهم ان للامة باجمعها ان تطالب رجال الحكومة بالضرب على ايدي اولئك الطغام الاوباش ضربة تعلمهم قليلاً من الادب وجزءاً صغيراً من مراعاة الانسانية ولها الحق بهذا الطلب ما دامت الحكومة هي المسؤولة عن راحة الشعب . وهي القادرة على كبح جماح كل معتدٍ يعبت بأقدس شيء لدى الناس ويهين الكبير والصغير بلا موجب سوى قلة الادب والاستطالة على عباد الله . وليس من وسيلة تصلح بيننا وبين من لا مفر لنا من وقوعنا في ايديهم يوماً ما الا ان تجمع الحكومة رجال هذه الطائفة الباغية فتنخب منهم اهل استقامة وادب وتسن لهم لائحة موافقة وتعين لهم رواتب شهرية يتقاضونها من خزينتها وتفرض هي رسماً يسد تلك الرواتب او يزيد عليها وتأخذ من الاهالي

عند اعطاء ورقة التصريح بالدفن من مكتب مفتش الصحة ومهما يكن ذلك الرسم فالاهلون يقبلونه بكل ارتياح اذ يتخلصون به من تلك المعاملة الوحشية والاطاع الاشعية ويقوم التربية بوظائفهم ولا جناح على من شاء ان يدفع لهم شيئاً على سبيل الهبة من الاهالي . وبهذا تلجم سنتهم فلا يعود في وسعها الانطلاق على الناس بالقدر والسباب . والبذاءة التي يندي لسماعها جبين الآداب ولا نظن الحكومة تغفل مثل هذا الاقتراح ولنا في اهتمام عطوفة نظر الداخلية الاكرم وسعادة المحافظ ما يحقق لنا الرجاء وينيلنا الاصلاح المطلوب . اذ لا يصح ان يكون لأحقر حرفة مثل " مساحي الاحذية " و"الحجارة" و"العرجية" لأئمة يجرون عليها ولا يكون لهؤلاء "التربية" قانون ولا لأئمة ليعلم الناس حقيقة من سيلحدهم ويلتقطهم فرادى ومثني الى ملاقاته رب كريم مستقبلين من الكرام البررة "يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي"

الوقوف الاسلامية وحاضرها

قد رأينا بعد اتمام فصول كتابنا هذا وترتيبها ان لا بد للقارئ عند وصوله الى كلامنا عن الفقراء ان يسأل عن حالة الاوقاف الاسلامية المحبوسة على ما فيه تيسير بعض الضنك الموجودين فيه ولذلك نختم كتابنا بذكر حقيقة حاضر الاوقاف حتى يتبين للقارئ مقدار نفع الفقراء من ايراد اوقاف اقل ما يقال عنه انه يزيد عن ايراد كثير من الممالك الصغيرة في العالم "وما سذكروه يعلم

(١) نذكر لك واحدة وهي مملكة سان مارينو في جبال ايطاليا في الجهة الشمالية الشرقية . منها عدد سكانها ١٥٠٠٠ نفس ودخلها يقارب مدخول ديوان الاوقاف المصرية وغيرها كثير تراجع في قوائم البلدان المطولة

علاقة الاوقف بسكان القطر ونفعها من عدمه . فيقلان ما عندها الحبيب
الغابط والعدو الحاسد ويترك محبوبوا الاصلاح الآن النظر في زيادة الايراد
وتقصانه ما دام باب الانتفاع به مسدوداً
الغرض من الاوقف

الغرض من الاوقف امداد ذوي الضعف الذين عجزوا عن الكسب ووقف
بهم الزمن عن العمل لعاهة او آفة . ونشر العلم والادب والدين وحبذا
القصد والغرض

واول من نظر الى الاوقف المصرية نظرة حكيم عاقل وأصدر امره بتشكيل
ديوان لها خاص هو ساكن الجنان "عباس باشا الاول" لما شاهده وقتئذ من
سوء التصرف . وقرّر رحمه الله حق مرجع النظر في أمورها اليه ولما يتولى
الخديوية من بعده وقد مضى من عهده للآن . ما يزيد عن الاربعين سنة
والاوقف يغل سنوياً مبلغاً كبيراً كره مرصود لعمل الخير حسب شروط الواقفين
التي حصرت الحق في ديوان الاوقف هذا . وجعلت له حق الاشراف على كل
ما هو موقوف من املاك وعقارات في المحافظات والمديريات وحق اتخاذ الطرق
الشرعية المؤدية الى تحسين الاطيان والعقارات ونمو ريعها . وهو متولى ذلك
برضى الامة الاسلامية . فلذا كان الواجب على من ولي الامران لا يألو جهداً
في اتخاذ الذرائع لانجاح ما أتمته الامة عليه طارفاً كل او تليداً . ولبعض
الناس حق على الاوقف مثل الاشراف وغيرهم وهذا الحق يختلف باختلاف
درجاتهم . فمنهم المتصل نسبهم بالرسول "صلى الله عليه وسلم" والعلماء والفقهاء
الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ومنهم الصوفية والفقراء والعميان والمرضى
والمجانين وما اشبه ذلك حسب شروط الواقفين التي قصدوا بها التقرب والزلفى

الى الله تعالى . ولعمارة الارواق حق وللساجد حق تجديدها . حتى ان للمصاييح حق معلوم اذا كسرت . ومثل ذلك يقال عن المكاتب والمدارس

هذا هو الغرض من الاوقاف وهذا هو الحق الذي له والواجب الذي عليه اذا عرفنا ما ذكر عن الاوقاف لزمنا البحث عن حالته الحاضرة لنعرف هل ديوان الاوقاف قائم بالغرض الذي جعل لاجله وافاد او لم يفد فنقول

بلغ ايراد ديوان الاوقاف في سنة ١٨٩٩ ٢٣٠٦٦٢ جنية والمصرف

١٨٢٧٧٧ جنية ونسبة المنصرف منه على الابواب الآتية هكذا ٤١٢٩٣ جنية

على مستخدمي ديوان العموم وفروعه اي ١٨ في المئة من الايراد العمومي

١٠٢٧ على مستخدمي لجنة الآثار اي $\frac{1}{2}$ في المئة من الايراد العمومي

٤٦٢٤٤ جنية على المصاريف العقارية والزراعية بما يشمل مستخدميها

الداخلين الهيئة والخارجين وغير ذلك من عوائد املاك وحفظها وترميمها ومال

وعشور اي $\frac{20}{100}$ في المئة من الايراد العمومي

٢٨٧٨٥ جنية على المساجد والاضرحة اي $\frac{12}{100}$ في المئة من

الايراد العمومي

٢٧٥٢٥ جنية على التعليم منها ٦٥٩٢ جنية مقررة لنظارة المعارف نظير

ادارتها لمكاتب الاوقاف ومنها ٥٠٠ جنية لمكاتب يديرها الديوان نفسه و١٤٤

جنية اعانة لمدرسة دمياط الاهلية وهذا المبلغ معه الربح الناتج من نفثيش الوادي

مع فرضنا اياه انه عشرين الف جنية اي ١٢ في المئة من الايراد العمومي

٦٨٠٠ جنية على التكايا سواها كان يديرها الديوان بمعرفته او بمعرفة

مشايخها اي $\frac{32}{100}$ في المئة من الايراد العمومي

١٥٦١٠ جنية على عمل الخير مثل مرتبات واعانات للكتبتخانه ومعاشات

ومصرفات متنوعة اي ٦ في ائمة من الايراد العمومي
 ١٠٦٨٠ جنيه على اقامة شعائر اي ١/٢ في المئة من الايراد العمومي
 هذا هو ايراد ديوان الاوقاف ومقدار صرفه على الابواب المتقدمة .
 ولعمري انه يظهر من اول وهلة ان الديوان يصرف على جماعة المستخدمين
 الذين يأكلون خبزهم كما تعودوا جالسين على الارائك في ظلال السجوف خوفاً
 من حرارة الشمس والسعي في معترك الحياة أعظم مما يصرف في السبل التي
 أوقفت عليها هذه المنافع من عمل الخير ولبيان ذلك نأتي على حالة كل باب
 من الابواب المتقدمة فنقول

” مستخدمو ديوان العموم وفروعه ”

هم أظهر عضو في جسم الاوقاف اهل الحل والعقد فيه . وهم أكثر المستخدمين
 علاقة بمن يتصل امره بالاوقاف ويسوءنا ان نذكر هنا كثرة الشكوى منهم
 ومن اعمالهم وقلة الرضى عنهم ويسوءنا ايضاً ان نقول بانحطاط معارفهم وان
 اغلبهم استخدم في الديوان وكان الفضل باستخدامه للحسوية والقرابة عند من
 ساف وتولى نظارة هذا الديوان . ومع ذلك هم ارقى خدمة هذه النظارة
 واحسن عملاً من امثالهم في المحافظات والمديريات . ولا بد ان سمع القارئ
 ببعض اعمال تسيء الظن فيهم . اما عددهم فعلى ما يقول الخبيرون زيادة عن
 حاجة الديوان ولذا يقول العارف بامرهم انه يلزم لهم نظرة من اولي الامر . واخرى
 يمتنع بها عنهم ما يرمون به من التهاون بالاعمال ومن تعطيل الامور وتصعيبها
 ولو كانت منجزة سهلة

” مستخدمو الفروع الاخرى ”

هؤلاء مستخدمو المحافظات والمديريات واغلب اشغالهم بعد العقارات

المزروعات وهم يعدون في الطبقة الثانية بعد مستخدمي ديوان العموم . الا انهم اكثر منهم فائدة ولو كانوا اقل منهم مرتباً . غير ان في سير بعضهم ايضاً ضرباً من الفوضى وضعف الادارة والكسل وكثيراً ما تؤدي بهم اطماعهم الى ما فيه دمار كثير من الاوقاف المزروعة والعقارات المؤجرة وسوابق ذلك كثيرة يعلمها الديوان نفسه

” المساجد والاضرحة والزوايا ومستخدموها “

قال المرحوم علي مبارك باشا في خططه الجديدة اما عدد الجوامع الآن في مصر فهي مائتان واربعة وستون جامعاً اه .

والله اعلم بعدد الجوامع في باقي داخلية القطر وبعدد الزوايا المبثوثة في انحاءه التي تقام فيها الصلاة . وبعض هذه الجوامع تابع مباشرة الى ديوان الاوقاف وبعضها تابع للاوقاف الاهلية . يصرف عليها وعلى مستخدميها مما خصص لها من الربيع الموقوف عليها وبعضها يمتد تاريخه من عهد دخول الاسلام في مصر كجامع ” عمرو “ وبعضها تاريخه من سنتنا الماضية او الحاضرة ولكي يكون القارىء على علم من حقيقة حالتها وحالة مستخدميها نقول

حالة الجوامع كحالة الافراد تسعد حيناً وتشقى احياناً حتى تندثر معالمها وتعفو لعدم اعتناء الخلف بما تركه منها السلف وكرور السنين وثقلب الايام اوجد كثيرين ممن كانوا ياخذون من عمارة هذا الجامع وانقض ذلك المسجد ومخلفات تلك الزاوية ليبنوا بها عمارة أخرى لهم يسمونها باسمائهم فينقرض عمل الاصل ويظهر عمل الفرع وانت لو سألت الاعمدة في المساجد لانبأتك عن كثرة تنقلها من مواضعها في سنين عدة . والميل لحب الافتخار في من حكم الديار المعمرية معي أثر الكثير من الجوامع فعدمت بالمرّة او بقيت ذكراً ناطقاً بسوء عمل

الخلف لما تركه السلف . غير اننا لا نتكر ان بعض هذه المساجد حفظت
ورمت أخيراً وبالاخص الاثرية منها اذ لولا زخرفها ونفامتها لمحت بالمرّة كما
محي كثير منها وكما محيت آثار دور التعليم وملاجئ الخبير والمستشفيات التي
كانت بجوانب الجوامع المذكورة في كتب السير واسفار التواريخ ولا يزال بعض
تلك الجوامع مهملًا امره متروكًا يعمل فيه ضد الغرض المنشأ له كجامع
الظاهر^(١) وجامع قلاوون وغيرها

الاول منها خالف القصد الذي بني لاجله وواضح مخزنًا ومذبحًا ومخبرًا
توقد فيه النيران بدلاً من اقامة الصلاة . وثانيها تلعب فيه الاولاد وتمرح
وقاعته مؤجرة مخزن آواني النحاس وبضائع التجار وليس فيه مكان لاقامة
الصلوات سوى غرفتين مع ان سعته عظيمة ولا يبعد ان يصير مصير الاول بعد
زمن . واني يرضى المسلمون عن الاول وهو بين مبانٍ نخيمة باذخة جميلة ولا يمر

(١) "جامع الظاهر" قال المقرئ رحمه الله . هذا الجامع خارج القاهرة بالحسنية
انشأه الملك الظاهر بيبرس البندقداري العلاني وكان موضعه ميداناً يعرف بميدان قراقرش
وكان منتزه الملك ومحل لعبه بالكرة . فلما اهتم بعمارتها اختاره فرسم الجامع في قطعة منه ورسم
بان يكون بقية الميدان وقفًا على الجامع بمحكر (تأمل ما حوله الآن) ورسم بين يديه هيئة
الجامع وشاران يكون بابهُ مثل باب المدرسة الظاهرية وان يكون محرابهُ قبة على قدر
قبة الامام الشافعي رضي الله عنه وكتب في وقته الكتب الى البلاد باحضار عمد الرخام
وكتب باحضار الآلات من الحديد والاششاب النفيسة برسم الابواب والسقوف وغيرها
وولى عدة مشدّين على عمارة الجامع وشرع في العمارة سنة ٦٦٥ هجرية ثم في سنة ٦٦٦
سافر السلطان الى بلاد الشام فنزل على مدينة بافا وتسلمها من الافرنج وهدم قلعتها وقسم
ابراجها على الامراء واخذ من اخشابها جملة ومن الالواح الرخام التي وجدت فيها ووسق منها
مركبًا سيرها الى القاهرة ورسم بان يعمل من ذلك الخشب مقصورة في الجامع والرخام يعمل في
المحراب فاستعمل كذلك وكملت بناية الجامع سنة ٦٦٧ هـ . فتأمل حاضره الآن

عابر سبيل بقربه إلا ويأسف على ما حاق به . ولو درى بانيه رحمة الله عليه بانه
سيأتي يوم يصبح فيه الجامع مخبزاً لما وضع فيه حجراً
”خدام الجوامع“

خدام الجوامع جماعة ممن جمعهم جامعة الفشل في تعلم علم الدين ولم ينجحوا
فيه واكسلهم وخمولهم وحبهم للحياة خالية من التعب وأكل الخبز بلا تعب ولا
عمل التزموا مساجد الله باسم خدمة . فاحتكروها او التزموها قل ما شئت عنهم
يورثونها ابنائهم من بعدهم واحفادهم من بعد ابنائهم . وهوؤلاء خدمة المساجد تدفع
لهم مرتبات قليلة من قبل ديوان الاوقاف لقاء خدمتهم فيها ومباشرة نظافتها
ومع كل فترى كثيراً من الجوامع المذكورة مهملتها فيها شروط النظافة بالمرّة .
ونحن نقص عليك شيئاً من حالة الجوامع الكبيرة وتترك لك القياس عليها في
المساجد الصغيرة . نذكر لك جامع ابنة البتول وبنت ابنة الرسول وبنت ابن
”عمه رضوان الله عليها جميعاً“ ففي كل يوم احد من كل اسبوع تُقرش ارضه
بقشور ”القول“ وفتات الخبز وجذور ”الكراث“ وهناك يمر المار حافياً
فيزلق بالاوساخ ويمجد بفضل خدمة هذا المقام الشريف عكس الآية الشريفة
”فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين“ فيه يسحب البق بعضه
بعضاً على جدرانها من فضل الجالسين مطمئين وهم بثياب رثة ولباس قدر تنن
وليس من يزرهم او يجبرهم على النظافة او من يعمل بالحديث الشريف ”ابنوا
المساجد وأخرجوا القمامة منها فمن بنى لله بيتاً بنى الله له بيتاً في الجنة“ يتعلقون
بازيال الزائر عند الزيارة ويتجادون من كل جانب رجاء ان يعطيهم شيئاً لله
وغرضهم ان ينشلوا منديله من جيبه وما شاكل ذلك وما من رادع يردعهم ولا
عجب ان يكون ذلك كذلك ما دام خدمة الجوامع يدركون معنى ”وثيابك طهر“

والرجز فاهجر " ولا يعملون . او كيف يرجي ممن جمعتهم جامعة الفشل رجاءً وهم اذا ارادوا الكنس كنسوا بسعف النخيل مع علمهم ان ذلك لا يزيل وسخاً بل يزيد الطين بلةً وهم لاهون عن مباشرة النظافة باستقبال الوفود من اصحاب النذور وملاقات الاصحاب والاحباب بالطبع تلهي المحب

وجامع السيدة نفيسة رضي الله عنها يأتي اليه الناس من جهات متعددة بحجة الزيارة والتبرك غير ان بعضهم يتفقون مع خدمة الجامع للنامة فيه ولا حاجة اللاطالة وغير ذلك في مصر من امثال هذه الجوامع الشهيرة يجري فيها الامور لمخالفة للسنة والدين والادب والنظافة على حطٍ مستقيم فهل لا يعلم بذلك ديوان الاوقاف او يمكنه ان ينكره . او لا يعلم ان في جامع الامام الحسين "رضي الله عنه" بيع ويشترى ما يباع ويشترى في الاسواق من قصص وحكايات ومساوك وسج وسعوط وكحل وعلب داخلها الافيون . ذلك كله يراه خدام الجوامع الكبيرة امثال من ذكرنا ويتعاملون عنه ما دام الود بينهم متواصلاً . فيتركون البائع على هواه مع علمهم بقوله تعالى "أفأريت من اتخذ إلهه هواه" هذا وفي علمنا اكثر مما ذكرنا فنحول الانظار اليه . واما الجوامع الصغيرة فليس لها اعتناء بالنظافة على الاطلاق . واذا سألك سائل ما الذي لا يغيره الدهر ويخالف المثل " الدهر بالناس قلب " قل له حصر هذه المساجد التي من اليوم الذي نقرش فيه لا نقام منه ابدًا اللهم إلا ما يعلق منها في ارجل المصلين وسببه ان من يستخدم في هذه المساجد هم من الفقراء المتقدمين في السن وبعضهم من العميان وياخذون المرتبات القليلة جداً . حتى ان المكلف منهم بالاذان وان يك يصعد خمس مرات في اوقات مختلفة متعددة من النهار والليل حتى يبلغ عنان السماء يعطى ثلاثين غرشاً شهرياً . والمكلف بماء الميضة والحلايا مستقيماً من البئر يعطى كذلك

وعليه ان يباشر نظافتها وشؤون خدمتها فكيف يعتني امثال من ذكرنا بالنظافة ويعملون بالآية الشريفة للمصلين الذين لا تصح صلاتهم الاً تطبق ما جاء فيها "يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم للصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين الآية" وبعضهم لو تركوا خدمة الجوامع وعملوا مع الفعلة لتناولوا اجرة لا ثقل عن المئة والخمسين غرشاً في الشهر او كيف يأتمن امثال هؤلاء على ما يصرف لهم من الزيت ونحوه لانه هذه المساجد وهم لا غنى لهم عن بيعه ليعيشوا بثمنه وفي باب الشعرية بمصر زيات يبيعه خدمة الجوامع زيوت الجوامع ليقتاتوا بثمنها. وباليتهم يعرفون ثمنه فيقبضونه ولكنهم يبيعه بأقل من نصف الثمن ومثل تفريطهم في الزيت تفريطهم في انقاض الجوامع ومخلفاتها من من شبابيك وحجارة فسيفساء. وبعض هذه الجوامع الصغيرة ايضاً قد تحولت لصد الغرض المنشئة لاجله وعددها من الاسف كثير في كل بلد وحي نذكر لك منها الجامع الذي في اول باب البحر في رأس حارة "درب الجامع" فان هذا الجامع وان كان ايراده على ما يقال يبلغ العشرة جنيهات شهرياً فانه من مدة قريبة أجر لبعضهم وعمل "بوطة" يجتمع فيها الاوباش من رعا القوم ولما تشكى الجيران "واغلبهم من النصارى" ابطالت منه البوطة وجعل مغلقاً للخشب. ويوجد ايضاً في الجهة المذكورة زاوية وقف العناية أجر بعضها مخزناً لاحد الاروام فجعل ميضتها مخزن تصافي الخمر وقد قدمت شكوى في اواخر سنة ١٩٠٠ للديوان من بعض سكان تلك الجهة المسلمين فلم يلتفت اليها. وفي جهة الصليبية وجهات بولاق جوامع عدة بعضها فيه ورش للحدادة والتجارة وبعضها لعمل الحصر ولحزن اصناف التجارة من سمن وعسل. كما ان بجانب البوستان في الازبكية جامعاً فيه اسطبل لسواري بوليس العاصمة. هذا ولا يذهب عن فطنة القارىء ما تقدم

بيانه من عمل الزار في بعضها . ذلك حال الجوامع وحال خدمتها وهو القول الحق الذي لا مرء فيه نذكره مع الاسف الشديد . ولو كان ذكره يؤلم عواطف البعض من رجال الاوقاف

” الاضرحة وحالتها “

قال المرحوم علي مبارك باشا . الموجود الآن بالقاهرة من الاضرحة مائتان واربعة وتسعون ضريحاً بعضها داخل مزارات وله خدمة والبعض داخل بيوت وفي زوايا الحارات^(١) ونحن نترك الكلام عن الاضرحة الموجودة في البيوت والحارات اذ الله اعلم بما لها وتقتصر على المزارات التي لها خدمة مخصوصة من طرف ديوان الاوقاف فنقول . انه لسبب تعيين الاوقاف مستخدمي هذه المزارات من جماعة المشايخ الجهلة غير حسني السلوك قد اصحت محال هذه المزارات كبيوت الاصنام ولسبب جهل مستخدميها شروط الزيارة الشرعية يتركون الزائر يتبرك بالاضرحة ويتوسل بمن فيها الذين صعدت ارواحهم لبارئها وبقيت عظامهم البالية (وفي حكم العقل ان تلك العظام لا تعني شيئاً) وكذلك كانت عبدة الاصنام يفعلون تماماً^(٢) ولو كان الله امر المؤمنين بقوله ” واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي “ الآية يحصل ذلك ويراه خدمة الاضرحة من الزائرين

(١) خطط جزء اول وجه ٨٩

(٢) ومما يزيد الانسان اسفاً تهاون الكثير من علماء الدين بالانكار على ما يفعله هؤلاء مع علمهم ان هذا ان لم يكن شركاً ف قريب منه وهم يشاهدون هذا باعينهم ويسمعون بأذانهم ولا يتحركون فذا صح السكوت هذا فعلى اي شيء ينكرون اصلحهم الله هل غاب عن علمهم ان الاسلام ما جاء الا لمحاربة هذه الاعمال الوثنية وتطهير الناس منها فكيف يرضى رجال الدين بان تغفل هذه الاعمال المنكرة وهم المطالبون بازالتها وتفهم الناس انها من الشرك الذي لا يجتمع مع الدين وهذا الواجب ملقى على عاتقهم لا يمكنهم التنصل منه مطلقاً

وبالاخص من النساء وهن في داخل الاضرحة حيث يتوسلن اليها كآلهة تفعل ما تشاء ينظرونهن وهن يهززن الاضرحة ويصحن بالفاظ الكفر ولا يمنعنهن بل يصرحون لهن بعمل ما يريدون عمله . ولقاء مبلغ تافه يتركونهن يكتسبن بمناديلهن ارض المقام ويقبلن حصيره على من يردنه صارخات بالاستغاثة بالضريح وصاحبه دون الله الامر رسوله والمؤمنين بقوله "قل لا املك لنفسي ضراً ولا نفعاً" الآية وكيف يلتفت الخدم الى واجباتهم وهم في شغل شاغل مع بعضهم إما في مشاجرة او سباب ومخاصمة

"تكايا الاوقاف"

العرض من التكايا ايواء ذوي العاهات والاسقام والامراض من فقراء المسلمين . وغاية ما يمكن القول عن تكايا الاوقاف ان اكثر من فيها الآن هم من جماعة الترك الاصحاء الابدان الاقوياء العضل يراهم الرائي في تكيي طره بمصر والقباري بالاسكندرية فيعجب لصحتهم كما يعجب السياح الذين يتفرجون عليهم . وبالاخص لو علم ان امثال هؤلاء لهم الحق بالاعتناء بهم وتوفير شروط المعيشة لهم كالعجزة والضعفاء والمنقطعين الذين هم في الحقيقة المقصودون بهذا الخير من اصحاب هذه المبرات وقعد بهم الدهر فاصبحوا في الفقر والخصاصة وما يلاحظ على تكايا الاوقاف غير ما تقدم انها تحتاج للنظر ومضاعفة العناية من اولي الامر لتغل أيدي الخدمة عن الطمع في ارزاقهم . نعم وان كانت نظارة الاوقاف اظهرت اخيراً بعض اعنائاً بشؤون التكايا ولكن لا تزال الشكوى كثيرة وخصوصاً من الصعوبات التي تقام امام الفقراء الذين يرغبون الانضمام الى التكايا . اذ هؤلاء لا يقبلون الا بعد كثرة التردد بين المحافظة والاقواق على انه ينبغي ان يلاحظ في التكايا انها ملجأ العجزة والفقراء الذين لا يقدررون على الكسب فلذا يلزم ان يكون لها

نظام لا يتعدى حدوده ومع ان التكايا التي من هذا القبيل قليلة عندنا فلا يزال نظام الملاحة التي انشأها ابناء الطوائف الاخرى في هذا القطر وسواه ارقى من نظام تكايا الاوقاف واكثر سعياً في سبيل الاجر والثواب . ولو كنا احوج الكل الى الاكثار منها بالنسبة الى كثرة عدد العجزة والضعفاء منا
 "ما يصرفه الاوقاف على التعليم"

لدى ديوان الاوقاف اموال كثيرة مخصصة للمشروعات العلمية والادبية .
 اوقفها موقوفها "رحمهم الله" على اخوانهم في الانسانية اعلاءً لمنار العلم والادب .
 تبارى السالفون فيها ولم يقصروا بل رغبوا في وقفها احياءً لبث التعليم ومكافأة رجال العلم وعاملاً منهم ان الامة لا تبلغ المقام الذي ترومه من العزة والمنعة الا اذا استنارت عقول افرادها بانوار العلم والادب وكثر عدد العلماء والمتعلمين ودليل ذلك الاوقاف الكثيرة التي حبسوها على هذا الخير والتي يبلغ ريعها من ٣٠ الف جنيه الى ما يقرب من الاربعين الفاً كلها موقوف على بث العلم بين الفقراء الذين هم في حاجة كبرى الى التعليم والارشاد . وكفانا ان نذكر منها تفتيش الواديه وزوائد المساحة في المديرية التي اوقفها المرحوم الخديوي الاسبق "اسماعيل" والحصص التي آلت الى بيت المال وغيرها مما يسأل عنه ديوان الاوقاف . ومن الغريب انه قد عمت الشكوى حتى اتصلت بسمو مولانا الخديوي المعظم حفظه الله وشهد بقصور ديوان الاوقاف وعدم قيامه بغرض موقفيه . فلذا لم يسهه حفظه الله الا ان شاور وزراءه والكثيرين من نبلاء الامة ثم امر فضمت تلك الكتابيب التي كان يديرها ديوان الاوقاف الى نظارة المعارف وتقرر ان ما يؤول امره منها في المستقبل يناط بنظارة المعارف حتى يكون امر التعليم كله تحت ادارة واحدة وقد تحسنت امر الكتابيب هذه نوعاً ما كما تقدم لنا بيانها . وان كان ديوان

الاقواق قد عارض في ذلك معارضة شديدة شأن كل مصلحة تحافظ على سمعتها وترغب في عدم تقليل اختصاصاتها. ولكننا نرجع فنقول ان ديوان الاوقاف لم يبسط يده على التعليم ليكون ينبوعاً مساعداً على انتشار العلم وتعليم النشأة الحديثة الفقيرة التي هي في حاجة الى التعليم. ولعمر الحق ان مبلغ ٢٧٥٢٥ جنيه من ايراد قدره ٢٣٠٦٦٢ جنيه مبلغ قليل جداً على امة مثل امتنا تريد ان تباري الامم الحية المتقدمة عليها

” ما يصرف على عمل الخير “

اما ما يصرفه الاوقاف على عمل الخير فلا ندري ما هو. اللهم غاية ما يمكننا ان نقوله انه ربما يقصد بذلك ما يعطيه لجماعته من المستخدمين الذين يستولون على ما يقرب من ربع الايراد او ما يصرفه وهو مبلغ ١٥٦١٠ جنيه فان من هذا المبلغ يُصرف اعانة للكتبخانة ومعاشات لافراد قليلين نعم اننا تجهل حقيقة ما في ذمة ديوان الاوقاف تماماً لعمل الخير. ولكن العقل يرشدنا ان في ذمة ديوان الاوقاف لعمل الخير شي كثير ودليلنا عليه النظر لتبرع السلف الصالح وما هو مكتوب في سير الخلفاء والامراء الذين كانوا يوقفون من سعتهم ما يضمن للفقراء والعجزة راحتهم في حال ضيقهم وشدتهم فكم من خليفة وسلطان وامير بنى بجانب الجامع المستشفى رحمة منه وحناناً على امته من بعده. ومن ذلك وقف اقامه اخيراً الخديوي الاسبق ” اسماعيل “ لانشاء دار للعجزة يراها المطلع ذات شرط في وقفية المذكور وخصص لها اربعة آلاف جنيه وللآن لم يسمع احد ما هو غرض الاوقاف من هذا الشرط. ولو فتشنا الاوقاف نرى مثل هذه الشروط كثيرة كلها في ذمة الديوان المذكور بخلاف المبالغ التي لبعض المستحقين وقد طال عليها الأمد ولم يطالب احد الديوان بها والمرجح عقلاً ان اكثرهم ماتوا ولا وارث لهم وعلى ذلك يمكننا القول

ان في استطاعة الديوان ان يعمل بهذه المبالغ عملاً يخفف به بلاء العجزة والمساكين
 ممن لا سند لهم ولا معين ولولا اولاد وبنات خدمة الجوامع او لجماعة الازهر بين
 الذين هم لكثرتهم في حاجة الى مستشفى وكيف لا ولنا في حادثة الكوليرا واحتياج
 المجاورين أقرب شاهد . فانهم اذا أصيب احدهم بمرض تعدى الى غيره بسهولة .
 ولا اعتراض في ذلك لو اخرج الاوقاف ما ذكر من حيز القول الى حيز العمل .
 فان ذلك اولى بمجدنا ومجدنا الذين اوقفوا عمرهم على تعليم قرآنا وديننا وليس بشيء
 اصعب على الحرم ان يرى ذلك المتعمم بالعمامة والمرتدي بالطيلسان والمتزي
 بزي امة تنفر من المن والاذى يخرب بين يد انكليزي او الماني ليفتح له خراجاً في
 قلبه وما في قلبه الا محبة خالصة وسريرة سالحة بعيدة عن البغضاء بعد الارض
 عن الجوزاء وفي الحديث الشريف "داووا مرضاكم بالصدقة"
 "فضايا الاوقاف"

بما ان للاوقاف حقوقاً وعليه واجبات ولسبب تنوع اختصاصاته في املاكه
 وعقاراته ولغرض استثمار موارد ايراده ترى ديوان الاوقاف كثير المشاكل كثير
 القضايا وهي اما له او عليه واغلب التي تقام عليه من تصرفات مستخدميه فلهذا
 السبب اتخذ الديوان له جملة محامين مستخدمين لديه بمرتبات باهظة كي ينظروا
 في دعاويه ومشاكله واوجد مستشاراً قضائياً خاصاً له "وهو الوحيد الذي يماثل
 المستشار القضائي في نظارة الحقانية من جهة الاختصاصات وما شاكل ذلك"
 والغريب في هذه القضايا ان بعضها يجري فيها التلاعب الكثير بعضه بمعرفة رجال
 الديوان وبعضه بمعرفة المحامين فثلاً القضايا المختصة بجماعة الاغنياء اصحاب الجاه
 والنفوذ فان هؤلاء يراعون لصحبتهم مع رجال الديوان وقد تحفظ قضاياهم من سنة
 الى عشرة . اما المختصة بالفقراء فتظهر بمظهر الاهتمام ويأخذون اصحابها قسراً الى

المحاكم ويطالبون بحق الديوان واما لو كان للفقراء حقاً عليه فهناك الماطلة
وتصعيب الامور ولو كانت سهلة واضحة مذلة وشاهدنا تلك القضية الفقيرة الكبيرة
التي قامت بين الديوان في سنة ١٨٩٥ وبين فقراء العميان الازهرين وحكم لهم
فيها سنة ١٨٩٧ على الديوان بدفع ٣٦٠٠ جنيه والفضل في ذلك لرجل الفضل
والمرؤة والنبل احمد بك الحسيني نصير الضعيف ومرشد القوي للحق . والغريب
ان الديوان لا يطالب بالفوائد في قضاياها ولكن يدفع الفوائد التي تحكيمها عليه
المحاكم يدفعها من امواله المجموعة من اهل البر والاحسان . وهو يجرم على نفسه
اخذها لو اودع شيئاً من ماله في احدى المصارف ولا ندري الحكمة في ذلك ولا
نعلم كيف يحل دفع الفوائد في عرفه . ولو تأملت ابواب ميزانيته سنة ١٨٩٩
لوجدت له في باب المصروفات ٢٤٠٠ جنيه بالقلم العريض تحت عنوان المصاريف
القضائية اي ان ما يذهب على قضاياها ضعف ما يصرف على مستخدمي لجنة الآثار
او ما يقرب من ثلث ما يصرفه على تكاياها

” خلاصة القول عن الاوقاف “

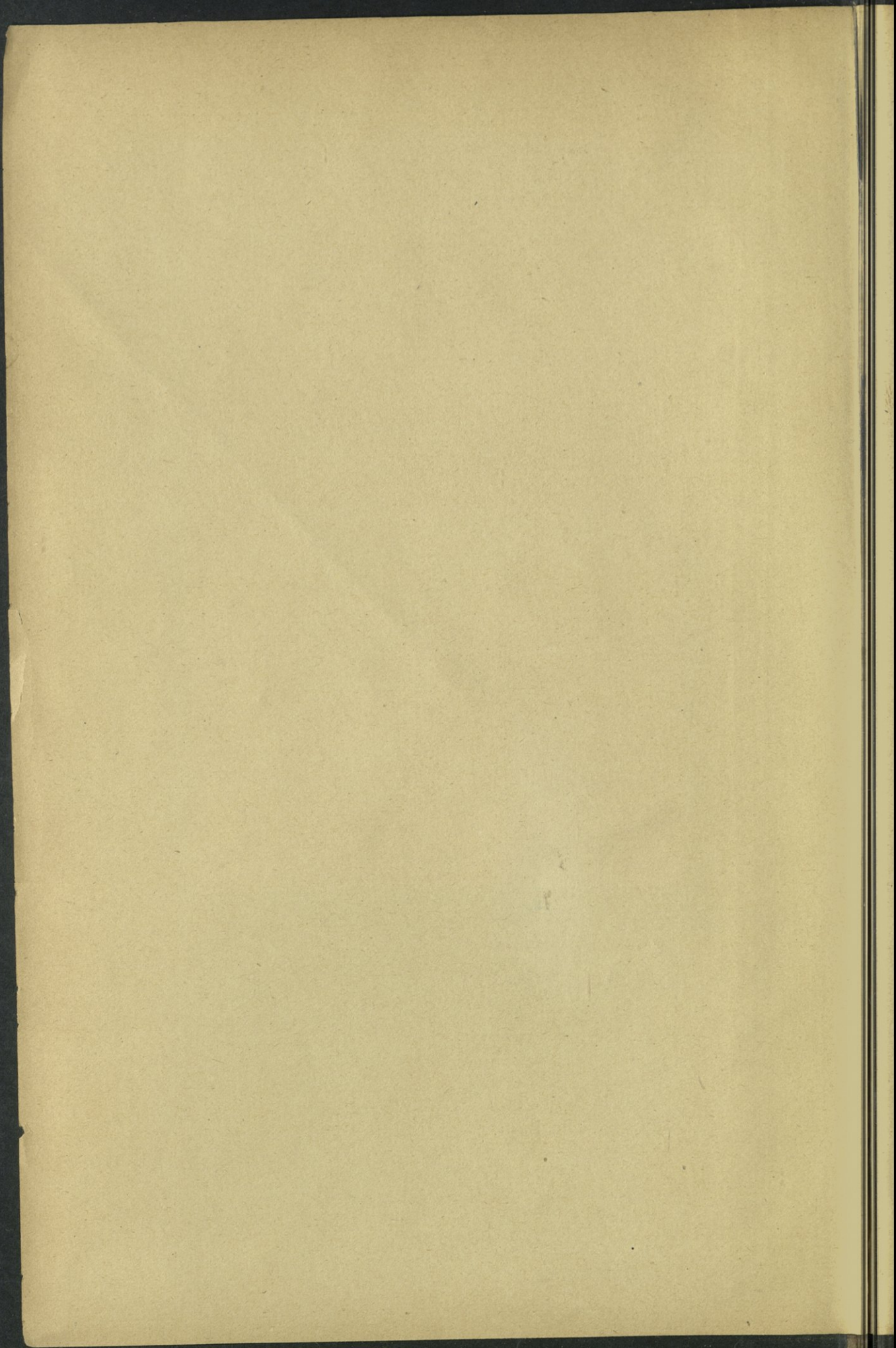
هذا وفي الختام نقول ان ما ذكرناه عن ديوان الاوقاف الاسلامية انما نقصد
به بيان الحالة لا مسكرامة احد وان نوقف القارىء على الحقيقة التي لا مندوحة
عنها ولا بد منها . ولا نقصد بكل ما تقدم بيانه الا ان نعد في مصاف اهل الحق
والحرية الذين بقدر ما تسعهم القدرة يدرون الخلل باشهار الوصيات والنقائص
ليجتمعوا مع امثالهم فينشطوا الى الصعود والرقى من الدركات الهابطة ولا يخفى ما في
الجهر بالحق والقول بالصدق من لذة التقدم القومي واننا لا نرى ما يراه البعض
اصحاب الهمة الفاترة من ان الستر على النقائص اولى ومن اهم الخصائص
تالله لو اتبع رجال الاوقاف سنته التي وجد لاجلها وفظنوا لسر هذه الاوقاف

وما وضعت له لوجدوا من المسلمين من يعضدهم ويأخذ بيدهم والأفاحاضر مشاهد من انه لعدم الثقة فيه الآن . وبسبب ما يلحق شروط الواقفين من التغيير والتبديل في اقرب زمن ترى عدد الواقفين يقل عاماً فعاماً فيتركون مخلفاتهم لابنائهم من بعدهم فتذهب اكثرها ضحية التبذير والاسراف ولنا فيما تقدم من الكلام عن حالة اولاد الاغنياء ما فيه عبرة للمعتبر . على اننا نود لو كان الناس ينشطون للعمل ويرشدون للاشتغال بالاعمال الدنيوية النافعة كالتجارة والصناعة وتحسين الزراعة فلا يكونون عالة على اوقافهم ومتروكات آباءهم لان من اعظم الادلة على اناامة اتكالية وجود هذه الاوقاف بيننا وحصول التنازع فيها دائماً وابدأ سواء بين المستحقين او المتطاولين عليها او الناظرين اليها . وقد مضى على الاسلام قرون متوالية لم يكن فيه اوقاف منتشرة كما هي الآن ولم يكن الا الاوقاف الخيرية المحضة في السبل العامة لا غير وهذا يدلنا على ان السلف الصالح كان همهم وعمدتهم انما هو الاتكال على النفس بعد الاتكال على الله وهذه سيرة " الرسول صلى الله عليه وسلم " وسيرة الخلفاء الراشدين والخيرة من اصحابه والتابعين وتابعيهم تدلنا دلالة ظاهرة لا ارياب فيها على ما نقول ونتكلم عنه فعسى قومنا تهزهم داعية العمل فينشطون وينبذون عنهم مطارف الكسل ويكون الانسان انساناً بنفسه غنياً بنفسه واثقاً بجده لا بجده معتمداً على ما وهبه الله من التدبير لا ما جاءه من متروكات آباءه من الفتيل والقطير . وهكذا الرجل يعيش انما كان بسعيه واجتهاده قال تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأن الى ربك المنتهي) صدق الله العظيم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فهرست كتاب حاضر المصريين "اوسر تأخرهم"

وجه	القسم الاول في الاغنياء
٧٤	اهداء الكتاب
٧٦	المقدمة
٧٩	غرض المؤلف
	الاغنياء والعصبية
	زواج الاغنياء
٨٣	المحبة بين الزوجين الغنيين
٨٤	العشرة بين الزوجين الغنيين
٩٤	تربية اطفال الاغنياء
١٠٢	تعلم اولاد الاغنياء
١٠٦	تعلم بنات الاغنياء
١٠٩	اولاد الاغنياء واللغة العربية
١١٣	دين اولاد الاغنياء
١٢١	المحبة الاخوية
١٢٣	عوائد اولاد الاغنياء المستحدثة
١٢٥	اوهام الاغنياء
١٢٨	كرم الاغنياء الماضي وبخلهم الحاضر
١٣٢	الآباء الاغنياء في نظر الابناء
١٣٧	الاغنياء والموت
١٤٥	سلوك الابناء بعد موت الآباء
١٥٠	

وجه		وجه	
٢٠٤	زواج الفقراء	١٥٣	المطابع والطباعة ونفعها الماضي وضررها الحاضر
٢١٥	الفقراء واطفالهم	١٥٨	الكتب والمؤلفون
٢٢٠	تطبيب الامهات الفقيرات لاطفالهن	١٦٢	كتب مفيدة
٢٢٣	تعليم اولاد الفقراء	١٦٢	كتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين
٢٢٩	كتب الفقراء	١٦٤	كتابا تحرير المرأة . والمرأة الجديدة
٢٣١	المحبة والفقراء	١٦٦	السياسة
٢٣٤	الجن وضعف عزيمه الفقراء	١٧١	الجرائد السياسية المصرية
٢٣٧	حرف الفقراء	١١٧	المجلات العلمية
٢٤٣	الصناع الفقراء	١٨٠	الجرائد الدينية الاسلامية
٢٤٥	دين الفقراء وتعميمهم	١٨٣	خلاصة القول عن الجرائد
٢٤٩	حاضر اهل الطرق والاذكار	١٨٣	الوطن والوطنية
٢٥٥	الفقراء والموالد	١٨٦	الوطنية في عرف الشرقيين وعلة شقاءهم
٢٥٧	الاعباد والفقراء	١٨٦	عدم تنافر الدين والوطنية
٢٥٩	سهر الفقراء	١٨٧	الحاصل الآن في مصر
٢٦١	الفقراء والمسكرات والمغيبات	١٨٨	حقيقة مصلحة المصريين
٢٧٠	اوهام الفقراء	١٨٩	الاسراف او ميزانية الهدم في الامة
٢٧٤	الزار والفقراء	١٩٤	الفناء والحاسية
٢٧٧	الفقراء المرضى	١٩٩	حاجة الشبان
	مآتم الفقراء . حاضر التربية		القسم الثالث - في الفقراء
٢٨٢	اقتراح على الحكومة		من هم الفقراء
٢٨٧	الاقواف الاسلامية وحاضرها	٢٠٣	



916.2:U481A:c.1

عمر، محمد

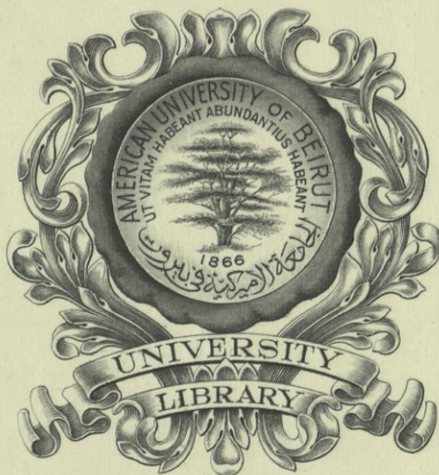
حاضر المصريين او سر تأخرهم

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01048399

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



916.2

U481A

C.1